[٥٢] م. ن: ٩٩.

[٥٣] م. ن: ٨٧.

[٥٤] شعر الهذليين في العصرين الجاهلي والاسلامي: ٣٣١.

[٥٥] اشتيار العسل عند الشعراء الهذليين، قراءة في سياقاته ودلالاته الشعرية، عالي بن سرحان القرشي، مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة واللغة وادابها، ج:١٨، ع: ٣٦، ربيع الاول ١٤٢٧هـ: ٣٦٤.

[٥٦] ديوان الهذليين: ٩٨.

[٥٧] النص الشعري واليات القراءة، فوزي عيسى، الاسكندرية، منشأة المعارف: ٧١.

[٥٨] ديوان الهذليين: ٩٩.

[٥٩] النزعة القصصية في شعر الهذليين، اسماء عبد المطلوب نوري السيد، رسالة ماجستير، إشراف: حبيب حنش الزهراني، المملكة العربية السعودية، جامعة ام القرى، كلية اللغة العربية، قسم الادب،١٤٢٣هـ: ١٤٨.

[٦٠] ديوان الهذليين: ١٥٤.

[٦١] النزعة القصصية في شعر الهذليين: ١٣٨.

[٦٢] ديوان الهذليين: ١٥٩.

[٦٣] م. ن: ١٢٢.

الدكتور نعمة رحيم العزاوي

جهوده في تعليم اللغة العربية ورؤيته لتجاوز الضعف فيها

م. صادق عباس هادي الطريحي

الملخص

يعد الدكتور نعمة رحيم العزاوي واحدًا من العلماء المعاصرين في اللغة العربية، وقد ترك كتبًا وأبحاثًا جمة في التيسير، والنقد اللغوي، وتعليم اللغة العربية، ولعل كتابه (من قضايا تعليم اللغة العربية ـ رؤية جديدة) يمثل جهدًا متميزًا في تعليم اللغة العربية، وتنبع أهمية الكتاب من توظيف الدكتور العزاوي لخبرته التعليمية الواسعة في تعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية والمتوسطة، ناهيك عن عمله في مديرية المناهج التربوية، ومشاركته في تأليف الكتب المنهجية. وقد عرض في كتابه هذا عدة قضايا تعليمية، منها، قضية اكتساب اللغة، وتعليم اللغة بالطريقتين التلقائية والقاصدة، ثم عرض لقضية التعليم الوظيفي للغة، ومهاراتها، وميز في تعليم التعبير بين مفهومي الإنشاء والتعبير، وأخير عرض لمشكلة النحو.

ويرمي هذا البحث إلى ملاحظة هذه القضايا، ومن درسها من الآخرين، ودراسة آراء الدكتور العزاوي حولها، من أجل التوصل إلى رؤية واضحة لواقع تعليم اللغة العربية، وتقديم المقترحات لتطوير تعليمها .

قسم البحث إلى تمهيد لعرض السيرة العلمية للدكتور العزاوي، ثم ثلاثة مباحث وخاتمة، تناول المبحث الأول قضية الاكتساب اللغوي، وعرض المبحث الثاني لقضية النحو الوظيفي، ومشكلة تعليم النحو عند الطلبة، أما المبحث الثالث فعرض لقضية التعبير، وطرائق تعليمه، وأخيرًا خاتمة بالنتائج التي توصل لها البحث.

Dr. Nima Rahim Al - Azzawi

His efforts in teaching the Arabic language and his vision to overcome weakness in it

Sadiq Abbas Hadi Al - Turaihi

Summary

Dr. Naima Rahim Al-Azzawi is one of the modern scholars of Arabic. He has left many books on facilitation, linguistic criticism and the teaching of the Arabic language. His book "A New Vision" is an outstanding effort to teach the Arabic language. In his book, he presented several issues, including presentation of the issue of functional education of the language and its skills, and distinction in the teaching of expression between the concepts of construction and expression.

This research aims at observing these issues, studying them from others, and studying the views of Dr. Al-Azzawi around them in order to achieve a clear vision of the reality of teaching the Arabic language and making suggestions for the development of its education.

The first section dealt with the issue of linguistic acquisition, the second topic on the issue of the functional structure, and the problem of teaching the grammar in the students. The third section presented the issue of expression, the methods of teaching, and finally the conclusion of the findings Her research.

التمهيد : السيرة العلمية للدكتور نعمة رحيم العزاوي

ولد في مدينة الحلة سنة ١٩٣٦، درس في الكتاتيب أولًا فحفظ القرآن الكريم، ثم دخل المدرسة الابتدائية ثم المتوسطة، وبعد تخرجه فيها، عين معلمًا في المدارس الابتدائية، ثم التحق بدار المعلمين العالية، وتخرج فيها سنة ١٩٥٨ بتقدير شرف، ثم عمل في التعليم الثانوي، وشغل منصب معاون مدير تربية الحلة بين عامي ١٩٦٥ و ١٩٦٨ ، وعمل لمدة سنتين بإعارة من وزارة التربية في العراق في معهد المعلمين في المملكة العربية السعودية، ثم شغل منصب مدير المناهج والكتب في وزارة التربية في العراق، حصل على درجة الماجستير بتقدير امتياز من كلية الآداب . جامعة بغداد، سنة ١٩٧٤، عن رسالته (أبو بكر الزبيدي الأندلسي وآثاره في النحو واللغة) ثم نال درجة الدكتوراه بتقدير امتياز من كلية الآداب . جامعة بغداد سنة ١٩٧٧ عن أطروحته (النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري) [١]

ألف الدكتور نعمة العزاوي الكثير من الكتب في اللغة والنحو والأدب والتعليم، وسنذكر منها في هذا البحث ما له صلة بعنوان البحث فقط.

. أصول تعليم اللغة العربية والدين، بالاشتراك مع قاسم خليل، النجف الأشرف، ١٩٦٦ .

. أثر بعض العوامل في لغة التدريس، تقويم تجربة التكلم باللغة العربية الفصيحة، مشترك، بغداد، ١٩٧٨ .

. النقد اللغوي بين التحرر والجمود، بغداد، ١٩٨٤ .

. من قضايا تعليم اللغة العربية، بغداد، ١٩٨٨ .

[١] موسوعة أعلام الحلة، سعد الحداد، مكتب الغسق للطباعة، بابل، ٢٠٠١، ج١، ص ٢٤٥ .

. الإملاء قواعده ومشكلاته وتطويره وتعليمه، بغداد، ١٩٨٨ .

. التطبيق النحوي لمعلمي اللغة العربية، بغداد، ١٩٨٨ .

. في حركة تجديد النحو وتيسيره في العصر الحديث، بغداد، ١٩٩٥ .

. شارك في تأليف أكثر من أربعة عشر كتاباً منهجيا لمراحل مدرسية مختلفة .

. عضو الهيئة العليا للعناية باللغة العربية .

. عضو دائرة علوم اللغة العربية في المجمع العلمي العراقي .

. له أكثر من عشرين بحثًا علميًا، في اللغة والأدب، نشرت في مجلات محكمة، عراقية وعربية .

له العشرات من المقالات المنشورة في جريدة الجمهورية، بغداد، حول التصحيح اللغوي وتيسير النحو وغيرها من الموضوعات .[١]

ويلحظ على سيرته العلمية كثرة اهتمامه بقضايا تعليم اللغة العربية نظريًا وتطبيقيًا، وهو ما يحاول هذه البحث، ملاحظته وتسجيله، من حيث الرؤية والمنهج .

المبحث الأول: قضية الاكتساب اللغوي.

تعد قضية الاكتساب اللغوي القضية الأولى في تعليم اللغات، وقد انقسم اللغويون العرب في هذه القضية على قسمين، فمنهم من يرى " أنّ اللغة توقيف من الله، كأبي الحسن الشعري (٣٢٤ ه) وأبي علي الفارسي (٣٧٧ ه) وابن فارس (٣٩٥ ه) وآخرين، بينما يرى آخرون أنّ اللغة تواضع واصطلاح بين البشر" [٢] ، ومن الواضح أنّ الدكتور نعمة رحيم العزاوي يميل إلى هذا الرأي ويتفق معه، كما وضحه ابن خلدون (٨٠٨ ه) في كتابه المقدّمة، إذ تبنى الدكتور العزاويّ، رأيّ ابن خلدون، وفي ضوئه وضح الطريقة التلقائية في تعليم اللغة، " وعدم الاعتماد في تعليمها على الطريقة

[١] انتظام المعرفة اللغوية، إعداد ، د . مؤيد آل صوينت، د . خالد خليل هويدي، مكتبة عدنان، بغداد، ، المقدمة، ٢٠١٣ .

[٢] أبحاث في فقه اللغة العربة، الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨، ص ٦٧ .

القاصدة، التي تقوم على التلقين وحده. فالطريقة التلقائية هي الطريقة المثلى في تعليم اللغة " [١] .

ويمكن لنا أن نوضح ملامح الطريقة التلقائية في تعليم اللغة من خلال ما حدده ابن خلدون في اكتساب اللغة، بعد أن رفض الرأي الذي يقول بتوريث اللغة، فقد حدَّدَ ثلاث مراحل لاكتساب اللغة، بحسب انعكاس التعلُّم على المتعلم، وتتدرّج هذه المراحل من الصفة إلى الحال إلى الملكة، إذ يقول في المقدّمة " لأنّ الفعل يقع أولًا وتعودُ منه للذات صفةٌ، ثمَّ تتكرر فتكون حالًا، ومعنى الحال أنها صفةٌ غير راسخة، ثمَّ يزيدُ التكرار فتكون مَلَكَةً، أي صفةً راسخةً " [٢] . أيّ أنّ اللغة تكتسب بالتعلم الصحيح، فتصير ملكةً بصورة تلقائية، وربما دون أن نشعر، ويقول في موضع آخر للتوضيح " ثمّ لا يزالُ سماعُهُم لذلك يتجدد في كل لحظة، ومن كلِّ مُتكلِّم، واستعماله يتكررُ إلى أن يصير مَلَكَةً وصفةً راسخةً ويكون –يعني السامع– كأحدِهم " [٣] . ولعل أول شرط لنجاح رسوخ هذه الملكة هو وجود المحيط الملائم للمتعلم، كي يكتسب اللغة بصورتها الصحيحة الفصيحة، لذلك يرى ابن خلدون لمن يروم تحصيل هذه الملكة أن يحفظ كلام القديم العرب الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث وكلام السلف والخطب والشعر وفنون المولدين، " ثم يتصرَّف بعد ذلك في التعبير عمّا في ضميره على حَسَبِ عباراتهم وتأليف كلماتهم، وما وعاه وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظه، فتحصل له هذه المَلَكَةُ بهذا الحفظ والاستعمال " [٤].

ومن خلال آراء ابن خلدون هذه توصل الدكتور نعمة العزاوي إلى العناصر التي تقوم عليها الطريقة التلقائية، وهي:

- أنْ نضع للطالب مُناخاً لغويًا سليمًا يحوطه بأن نسمعه الكلام الفصيح، ونحمله على استعماله في خطابه وحواره داخل الصف.
- أن نكثر من ترويته النصوص البليغة، شعرًا كانت أم نثرًا، وألّا نشفق عليه من كثرة المحفوظ.

[١] من قضايا تعليم اللغة العربية ـ رؤية جديدة، الدكتور نعمة رحيم العزاوي، مطبعة وزارة التربية، بغداد، ١٩٨٨، ص ١٥ .

[٢] المقدمة، ابن خلدون (٨٠٨ هـ)، ط٥، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا ت، ص ٥٦٢ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٥٥٤ . .

[٤] المصدر السابق، ص ٥٥٩ .

- أن نشكل الكتب المدرسية جميعها سواء أكانت كتبَ لغةٍ وأدب، أم كتب علوم. وإذا فعلنا ذلك فإن عين المتعلم لن تقع إلا على كلام مشكول، مما يؤدي إلى طبع لسانه على الفصيح، وتسريب خصائص اللغة وقوالبها وقوانينها إلى ذهنه على نحو عفوي " [١]

ويرى الباحث أنّ من الصعوبة اليوم، أن نجد المُناخ السليم الذي يحوط الطالب، لكي نسمعه الكلام الفصيح؛ فقد رصدت الكثير من الدراسات الخطر الذي يحوط اللغة العربية، نتيجة وسائل الإعلام والفضائيات، ووسائل التواصل الاجتماعي التي لا يحدها ضابط ما، ولا يمكن السيطرة عليها، لتصحيح أخطائها الكثيرة المتراكمة، كما فعل الدكتور نعمة رحيم العزاوي، نفسه عندما صحح الكثير من الكلمات والتراكيب النحوية واللغوية الخاطئة التي وردت في الصحف والمجلات والوسائل السمعية والمرئية في نهاية تسعينيات القرن الماضي في كتابه (التعبير الصحيح) .

وقد عالجت اللسانيات الحديثة مسألة اكتساب اللغات بعدة نظريات، وسيشير الباحث إلى نظرية اكتساب اللغة كما في النظرية البنائية لجان بياجيه، لعلاقتها بقضية اكتساب اللغة، كما رآها الدكتور نعمة رحيم العزاوي. يرى بياجيه " أنّ اللغة عند الطفل بناء يكتسب ببطء؛ لأنه مرتبط بمراحل النمو الجسماني والذهني، وأنّ تكوين البنيات الإدراكية عند الطفل يكون بمثابة الوظيفة الدلالية المرتبطة بثوابت أخرى (المفاهيم، الصيغ الحركية، الصور) ويمكن تلخيص نظرية بياجيه بأنّ عملية بناء العلامات اللفظية عادة ما تكون مشروطة بالاندماج الاجتماعي للطفل." [٢] ويلحظ هنا التقارب الشديد بين رؤية ابن خلدون والدكتور نعمة رحيم العزاوي وجان بياجيه، فمما لا شك فيه أنّ الاندماج الاجتماعي للطفل عند بياجيه هو المناخ السليم نفسه عند العزاوي، وهو نفسه حفظ كلام العرب الجاري على أساليبهم عند ابن خلدون، وقد أشارت الكثير من الدراسات التجريبية في طرائق التدريس إلى أهمية الحفظ (القرآن الكريم،

[١] من قضايا تعليم اللغة العربية، ص ١٦ ـ ١٧ .

[٢] الطفل واللغة (تأطير نظري ومنهجي)، أحرشاو الغالي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٣، الكتاب الأول، ص ٣٤ .

نهج البلاغة، . . .) في القدرة على التعبير الكتابي أو التحصيل الدراسي أو الإملاء عند الطلبة. [١]

المبحث الثاني: قضية النحو الوظيفي، ومشكلة تعليم النحو عند الطلبة.

نشأت نظرية النحو الوظيفي من خلال مجموعة من الباحثين بجامعة امستردام يرأسهم الباحث اللساني سيمون ديك الهولندي، حيث قدّم الصياغة الأولية العامة للنحو الوظيفي سنة ١٩٧٨، وأرسى أسس النحو الوظيفي، ولهذه النظرية نماذج كثيرة متعاقبة، وهي نظرية تستجيب لشروط التنظير والنمذجة، وانتقلت هذه النظرية من مسقط رأسها بهولندا إلى أوربا، ودخلت العالم العربي عبر بوابة المملكة المغربية بجامعة محمد الخامس بالرباط، على يد الباحث أحمد المتوكل، لتنتقل بعدها إلى بقية البلاد العربية كالجزائر وتونس وسوريا، والعراق. [٢]

ويقصد بالنحو الوظيفي ما يؤدي إلى صحة العبارة إثناء الكتابة وسلامة النطق أثناء الحديث أو القراءة، ولا يتطلب هذا النحو حفظ الجمل الجاهزة للإعراب وبعض مصطلحاته الغامضة، وبحسب تعريف عبد العليم إبراهيم، فإن النحو الوظيفي هو: " مجموعة القواعد التي تؤدي الوظيفة الأساسية للنحو، وهي ضبط الكلمات ونظام تأليف الجمل ليسلم اللسان من الخطأ في النطق ويسلم القلم من الخطأ في الكتابة " [٣] أي أنّ علينا كي نتعلم النحو لغرض أداء الوظيفة اللغوية المتمثلة بالاتصال "عدم الإيغال في دقائق الموضوع والوجوه المتعدِّدة له والشّواذّ عن القاعدة، وحِفْظ الشّواهد فيه، واختِلاف الآراء والمذاهب النّحويّة، وضرورة البُعد عن الاستِطْراد في الموضوعات النّحويّة

[١] ينظر مثلاً : اثر تضمين نصوص من نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام في تحصيل طلبة المرحلة الثانية في قسم اللغة العربية بكلية التربية الأساسية في مادة البلاغة العربية، أ .م د . رياض حسين، و م. مؤيد سعيد، مجلة الفتح، العدد ٤٨، ٢٠١٢.

[٢] المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، المملكة المغربية ط: ٠١، ١٤٢٧هـ ٢٠٠٦م، ص: ٥٩ ـ ٦٣.

[٣] النحو الوظيفي، عبد العليم إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط السادسة، بلا ت، المقدمة.

التي لا تُفيد الطّالب في مواقع الحياة؛ كدقائق الإعراب وما يتّصل به من بناء وإعراب تقديري ومحلّي، ويحسن بالمدرِّس العناية ببيان معاني الأدوات اللغويّة وطريقة استِعْمالها في الكلام، وبيان أثرها الإعرابي دون تفصيل " [١]

ويتبنى الدكتور العزاويّ نظرية تعليم النحو الوظيفي للغة متابعًا الدكتور داوود عبدُه، في كتابه (نحو تعليم اللغة العربية وظيفيًا) بل هو يتابعه في معظم آرائه وأمثلته في هذا النظرية، وقد كان لتدنّي مستوى الناطقين بالعربية والكاتبين بها، أثرٌ في تبني هذا الاتجاه الوظيفي. ويرى الدكتور نعمة رحيم العزاويّ أنّ التعليم الوظيفي للغة يركز على أنّ وظيفة اللغة الأساسية هي (الاتصال) الذي يقضي إتقان أربع مهارات، وربما خمس، وهذه المهارات هي: الاستماع والقراءة والكلام والكتابة، وربما يضاف إليها التفكير الذي يسمى في بعض الأحيان المهارة اللغوية الخامسة. [٢].

ويرمي التعليم الوظيفيّ للغة عند الدكتور العزاويّ إلى إبعاد الأنشطة اللغوية التي لا تتعلق بمهارات اللغة الأساسية، أو غايات تعلمها، ويعدّه نشاطًا زائدًا يصرف الطلاب عن اللغة، وقد يدعوهم إلى النفور منها، وعلى المعلم أن يسأل نفسه دائمًا: أيحقق هذا النشاط إحدى الوظائف الأساسية للغة؟ وفي ضوء الإجابة يعدل عن الكثير من التفصيلات التي لا تحقق أيّ هدف. [٣]

ثم قدّم الدكتور العزاويّ مثالاً تطبيقيًا في النحو الوظيفي مستلًا من كتاب الدكتور داود عبده،[٤] وهو استعمال أداة النصب (لن) فالمدرس الاعتيادي يدرّس (لن) بوصفها أداة لنصب الفعل المضارع، ويهتم بسماع (كليشيه) إعرابها واعراب الفعل المضارع بعدها فقط، أما مدرس النحو الوظيفي فيركز على وظيفة (لن) في الجملة، فيسأل الطلبة حول جملة المثال (لن يشترك فؤاد في المباراة) هل تتحدث الجملة عن عدم اشتراك فؤاد في المباراة في الماضي أو الحاضر أو المستقبل؟؟ وما

[١] الموجّه العملي لتدريس اللغة العربية، عابد توفيق الهاشمي، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٧، ص ٢٠٤.

[٢] من قضايا تعليم اللغة، ص ٣١.

[٣] المصدر نفسه ص ٣٣.

[٤] نحو تعليم اللغة العربية وظيفياً، داود عبده، مؤسسة الرسالة، الكويت، ١٩٧٩، ص ١١.

علامة ذلك في الجملة؟؟ وكيف ستكون الجملة لو كانت تتحدث عن عدم اشتراكه في المباراة في الماضي؟ أو عدم اشتراكه في الحاضر؟؟ ثم يخلص الدكتور العزاويّ قائلًا " لقد آن الأوان لأن نُعيد النظر في مناهج تعليم اللغة العربية على هذا الأساس، أعني الأساس الوظيفيّ للغة، وسنجد عند ذلك أنَّ الكتب المدرسية متخمةٌ بتفصيلاتٍ ونشاطاتٍ لا يجني الطالب منها غيرَ الكدح والعناء ... وتهمل لسانه، فلا تشحذُه، ولا تجربه بالاستعمال اللغويّ الصحيح الذي يحتاج إليه الفرد في نشاطه الفكريّ أو الحياتيّ " [١]

ثم يعود الدكتور نعمة العزاويّ ليدرس النحو الوظيفي في موضع آخر من كتابه، عندما يدرس قضية النحو وتدريسه، فينقل لنا أولاً شكوى بعض المربين من النحو المدرسي، ودعوتهم إلى إعادة النظر فيه، بعد أن لاحظوا برم الناشئة منه، فينقل لنا دعوة علي جواد الطاهر لنبذ التطويل في الدرس النحويّ، وينقل لنا رؤية عباس حسن حول التعويق والمشقة والتخليط في الدرس النحويّ، وينقل لنا آراء أخرى لغيرهم، فقد نادى بعضهم بمفهوم (النحو الوظيفيّ) أو (النحو التطبيقيّ) أو (النحو العمليّ) ويقرر الدكتور العزاويّ أنّ هذا المفهوم الذي يدعون إليه غير واضح في أذهانهم، فيرى بعضهم أنه النحو المهذب المصفى، أو النحو المختصر، وجاءت دعوتهم هذه نتيجة إحساسهم بازدحام منهج النحو المدرسيّ بمباحث لا ضرورة لها، ولكنهم لم يضعوا الأسس التي يجب أن ينهض عليها هذا النحو، لذلك يقول الدكتور نعمة رحيم العزاويّ: "وهذا ما سأحاوله في هذا المقام" [٢] ؛ فيطلق الدكتور العزاويّ على النحو المدرسيّ الملائم للتدريس مصطلح (النحو الوظيفيّ) ويحدد العزاويّ هذا المصطلح من خلال مجموعة من الأسئلة، هي : ـ

ما مفهوم النحو؟ وقد عرَّفه بقوله: "إنَّ النحوَ يعني القواعد المتعلقة بأصوات اللغة، وبصياغة مفرداتها، وبطريقة نظم الكلام وتأليفه، وبدلالات المفردات والتراكيب.

ما الأهداف التي تتوخاها من تعليم النحو؟ وقد حددها بثلاثة أهداف هي:

ـ سلامة النطق، وصحة ضبط الكلمة مفردةً ومركبةً.

[١] من قضايا تعليم اللغة، ص ٣٦.

[٢] المصدر نفسه، ص ١١٥ ـ ١١٧.

. معرفة منهج العربية في تأليف الجمل، وصوغ العبارات.

. فهم وظيفة الكلمة في الجملة، ومعرفة الفروق بين التراكيب.

. ما القواعدُ الوظيفية؟ وما القواعد غير الوظيفيّة؟

ومن الواضح أنّ القواعد الوظيفية عند العزاويّ هي التي تحقيق الأهداف الثلاثة المذكورة، وأية قاعدة، غيرها هي قاعدة زائدة.[١] ثم عرض الدكتور العزاويّ مجموعة من الأمثلة التي تحقق هذه الأهداف، [٢] وجميع هذه الأمثلة مستلة من كتاب (نحو تعليم اللغة العربية وظيفيًا) لداود عبده، كما ثبت في الهوامش.

ويرى الباحث أنّ الأهداف التي جاء بها الدكتور العزاويّ، موجودة ضمن أهداف تدريس النحو بشكل عام، وليست مقتصرة على النحو الوظيفيّ، فالهدف الأول يقابله هذا الهدف مثلاً " إقدار التلاميذ على سلامة العبارة، وصحة الأداء، وتقويم اللسان، . . ." والهدف الثاني يقابله " تنمية القدرة على دقة الملاحظة، والربط، وفهم العلاقات المختلفة بين التراكيب المتشابهة، . . ." والهدف الثالث يقابله " وقوف التلاميذ على أوضاع اللغة وصيغها . . ." [٣]، ويرى الباحث أيضًا أنّ الدكتور نعمة رحيم العزاويّ، قد ترك هدفًا مهمًا من أهداف تدريس النحو العربي، وهو " إقدار التلاميذ على محاكاة الأساليب الصحيحة، وجعل هذه المحاكاة مبنية على أساس مفهوم بدلاً من أن تكون آلية محضة." [٤] ومن الواضح أنّ هذا الهدف يحقق مهارتي الحديث والكتابة عند الطالب. ويود الباحث أن يشير إلى أنّ مفهوم النحو الوظيفي الذي دعا إليه الدكتور نعمة رحيم العزاويّ، استنادًا إلى آراء داود عبده يختلف عن النحو الوظيفي الي درسه الدكتور تمام حسان في مصر، أو أحمد المتوكل في المغرب، كما يشير اباحث إلى أنّ الأستاذ عبد العليم إبراهيم قد سبق الأستاذ داود عبده، والدكتور نعمة رحيم العزاويّ في إشارته إلى أهمية النحو الوظيفي، من خلال كتابه (الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية) الذي صدرت طبعته الأولى سنة ١٩٦١، إذا قال موضحًا مفهوم القواعد " القواعد

[١] من قضايا تعليم اللغة العربية، ص ١١٨ .

[٢] المصدر نفسه، ص ١١٨ ـ ١٢٤ .

[٣] المرجع في تدريس اللغة العربية، إبراهيم محمد عطا، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ٢٧٣ .

[٤] المصدر نفسه، ص ٢٧٣ .

وسيلة لضبط الكلام، وصحة النطق، وليست غاية مقصودة لذاتها " [١] وقال في موضع آخر " أن نختار من القواعد ما له أهمية وظيفية، وفائدة في الكلام، ولا داعي إلى كثرة التفصيلات . . . " [٢] ومن الواضح أنّ هذه الآراء هي من صميم النحو الوظيفيّ. ومن ثم عاد لدراسته دراسة مفصلة في كتابه (النحو الوظيفيّ) [٣].

المبحث الثالث: قضية التعبير، وطرائق تعليمه.

للتعبير أهمية بالغة في درس اللغة العربية؛ لأنه غاية في حد ذاته، والدروس الأخرى مثل، القواعد والبلاغة والقراءة والأملاء مساعدة له. والغرض من التعبير أن نمكن الطلبة من التعبير عما في نفوسهم أو مشاهداتهم، بعبارة سليمة، وأن نوسع دائرة أفكارهم، من خلال الموازنات، أو عرض الأسباب لظاهرة ما مثلًا . أي هو وسيلة اتصال بين الطالب والبيئة المحيطة به، وللتعبير أسس نفسية وتربوية ولغوية. والتعبير من حيث طريقة الأداء، نوعان: التعبير الشفويّ، والتعبير الكتابيّ، أما من حيث الغرض فنوعان أيضًا: الأول هو، التعبير الوظيفيّ، الذي يعنى بالمحادثة والمناقشة ونقل الأخبار، والإرشادات، وكتابة الرسائل والتقارير . . . أما النوع الثاني فهو، التعبير الابداعيّ، الذي يعنى بالتعبير عن الأفكار والخواطر والمشاهدات، بطريقة مشوقة مثيرة هي الأداء الأدبي. [٤]

وعندما درس الدكتور نعمة رحيم العزاويّ موضوع التعبير (الكلام والكتابة) فرق أولًا بين مصطلحي (الإنشاء) و(التعبير) فهو يرى أنّ مصطلح التعبير هو المصطلح الأكثر ملاءمة لهذا الموضوع؛ لأنّ " كلمة (الإنشاء) تعني (الخلق) أو (الإبداع)، أدركنا أنّ في إيثارها على (التعبير) خروجًا عن الهدف من الدرس وتجاهلًا لحقيقة مهمة هي أنّ (الخلق) أو (الإبداع) ليس مما يواتي كلَّ فردٍ، أو يتهيّأ لأي إنسان، وإنما هو أمر وراء التعلم، لحاجته إلى ما يسمى بـ (الموهبة) أو

[١] الموجه الفني لمدرسي اللغة لعربية، دار المعارف، القاهرة، ط ٧، ص ٢٠٣.

[٢] المصدر نفسه، ص ٢٠٧.

[٣] النحو الوظيفيّ، عبد العليم ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩.

[٤] الموجه الفني، ص ١٤٥. ١٥٢.

(الاستعداد) . " [١] وهو يرى أنّ الغرض من درس التعبير " أن نعدّ إنساناً قادرًا على أن يعبر عما يواجهه من مواقف الحياة، تعبيرًا واضح الفكرة، صافي اللغة، سليم الأداء، يتلقاه عنه السامع أو القارئ فيفهمه ويتبين مقاصده " [٢]. ومن الواضح هنا أنّ الدكتور العزاويّ، يرى أنّ التعبير الوظيفي هو المناسب للتعليم، لذلك يعود ليدافع عن رأيه هذا في تفصيل أكثر، فيقول إنّ التعبير اللغوي يأتي في درجات، هي (اللغة المفهمة) وهي اللغة التي نفهم منها، ولا تلتزم بقواعد اللغة، ثم (اللغة الصحيحة) وهي التي تحقق الافهام وتلتزم بقوانين اللغة وقواعدها، ثم (اللغة البليغة) وهو نمط من التعبير لا يتأتى إلا للأدباء الموهوبين. ويرى أنّ اللغة الصحيحة هي التي نطلبها لتناسب (التعبير الوظيفي) [٣]. وهو التعبير الذي تقتضيه ضروريات الحياة، والتعامل مع الناس ولا تستخدم فيه اللغة الفنية أو الخيال، إنما يراد للغته أن تكون واضحة سليمة من الناحيتين اللغوية والنحوية، وأن تكون جملها مترابطة ومرتبة ترتيبًا منطقيًا دقيقاً . ويخلص الدكتور العزاويّ إلى " أنّ على معلمي التعبير أن يفرقوا بين ضربين من التعبير، . . . ، وأن يدربوا تلاميذهم على التعبير غير الفني لشدة حاجتهم إليه في حياتهم العامة، وعليهم أن يدركوا أنّ التعبير الإبداعي لا يتاح إلا لقلة من تلاميذهم، فإذا اكتشفوا هذه القلة، كان عليهم أن يرعوها، ويصقلوا مواهبها . " [٤]

ويرى الباحث أنّ دعوة الدكتور العزاوي إلى تعليم التعبير الوظيفي فقط، تحتاج إلى مراجعة النظر فيها، فلقد جاءت الكثير من كتب تعليم اللغة العربية وأدبياتها، وفيها نوع من الموازنة بين التعبير الإبداعي والتعبير الوظيفي، ولم يدعوا إلى تعليم التعبير الوظيفي فقط.

فهذا عبد العليم إبراهيم يقول " وهذان النوعان ضروريان لكل إنسان في المجتمع الحديث، فالأول يحقق له حاجاته من المطالب المادية والاجتماعية، والثاني يمكنه من أن يؤثر في الحياة العامة بأفكاره وشخصيته. " [٥]

ونحن نتفق مع الدكتور نعمة العزاويّ في أنّ التعبير

[١] من قضايا تعليم اللغة العربية، ص ٦٤.

[٢] المصدر نفسه، ص ٦٤.

[٣] المصدر نفسه، ص ٧٣.

[٤] المصدر نفسه ، ص ٧٥. ٧٦.

[٥] الموجه الفني، ص ١٥٢.

الإبداعي لا يتاح إلا لقلة من التلاميذ، ولكن، " ليس من الضروري أن ينتج التلاميذ أدبًا ممتازاً، وإنما يكفي أن يعبروا عما في نفوسهم في مجالات الألوان الأدبية التي يميلون إليها بقدر طاقتهم الفنية، وليس على المدرس إلا أن يهيئ لهم الفرصة للكتابة ... ولكي يستطيع المدرس إتاحة هذه الفرص لهم ـ لابد أن يكون على درجة من الالمام الجيد بألوان الكتابة الإبداعية، والقدرة على التمييز بين الغث والثمين، والمعرفة بمعايير النقد الأدبي، وأن يكون حسن التذوق قادراً على خلق الشعور بتأثير الأدب الصافي الخلاق في النفوس." [١] . وفضلا عن ذلك فإنّ المدرس لا يستطيع اكتشاف المواهب وصقلها إلا إذا كلف الطلبة بكتابة التعبير الإبداعي.

أما الدكتور علي جواد الطاهر، فيقف موقفا مناسبًا، فيسمي التعبير الإبداعي بالإنشاء، ويقول، " أمّا الانشاء فهو أن يبدع الطالب صفحات فيها خيال وصور وعواطف وأفكار، كما يفعل الشعراء أو الكتاب، وليس في مقدور الطلبة كلهم ذلك، لأنه يقتضي موهبة خاصة. وعلى المعلم أن يشجع الطلبة على الابتكار لكي تكون في التعبير بعض مدلولات الانشاء. " [٢]

أما في مجال تعليم التعبير، فقد أشار الدكتور العزاويّ إلى أهمية (مقتضى الحال) وهو ظروف القول ومناسبته، فقال " فإذا اقتصرنا في تعليم التعبير على الاهتمام بجانب السلامة اللغوية ... دون مراعاة ما تستدعيه حال الحديث كان تعليمنا ناقصًا ... أي على الطالب أن يكتسب مهارة التصرف بالبنى اللغوية على وفق ما تقتضيه حال الحديث. " [٣]

وأشار أيضًا إلى أهمية (الرصيد اللغوي) في تعليم التعبير، وهو مشروع تبنته المنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم، وعممته على جميع الدول العربية. وقد حددته بما يأتي " يهدف هذا المشروع إلى ضبط مجموعة من المفردات والتراكيب العربية الفصيحة والجارية على قياس كلام العرب التي يحتاج إليها التلميذ في مرحلة التعليم الابتدائي والثانوي حتى يتسنى له

[١] ص ٢٣٤ .

[٢] أصول تدريس اللغة العربية، الدكتور علي جواد الطاهر، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٤، ص ٤١ . الأصول الحديثة لتدريس اللغة العربية والتربية الدينية، علي الجمبلاطي، وأبو الفتوح التوانسي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٣، ١٩٨١،

[٣] من قضايا تعليم اللغة، ص ٦٦ ـ ٦٧ .

التعبير عن الأغراض والمعاني التي تجري في التخاطب اليومي من ناحية ومن ناحية أخرى التعبير عن المفاهيم الحضارية والعلمية الأساسية التي يجب أن يتعلمها في هذه المرحلة من التعليم. " [١]

ومن الواضح أنّ الغرض من هذا المشروع هو ضبط الرصيد اللغوي من الكلمات في كل مرحلة من مراحل التلميذ، للإفادة منها في التعبير وفي التواصل مع المجتمع، بحيث لا تزيد ولا تنقص في الوقت نفسه، ويرى الدكتور العزاويّ أنّ كتب المرحلة الابتدائية أو الثانوية قد اشتملت على مفردات سيقت من غير نظر إلى ما يحتاج إيه التلميذ . [٢]

وأشار الدكتور العزاوي إلى جانب مهم في التعبير، وهو الجانب الصوتي في التعبير الشفهي، لم يلتفت له الباحثون الآخرون، ويرى أنّ تنمية هذا الجانب يستعي الاهتمام بما يأتي:

- " أن نعلم التلميذ التحكم في جلسته ووقفته وتنفسه، فالوقوف أو الجلوس مع رفع الرأس والأكتاف والتنفس العميق يساعد على وضوح الصوت، واكسابه الجهارة.
- أن نوجه التلميذ إلى تجنب الخيشومية والصوت العالي الحاد .
- أن نعلمه لاسترخاء وعدم التوتر .
- أن نعلمه الاستفادة من قدرات غيره في الجانب الصوتي، والمعلم خير قدوة في هذا الشأن. " [٣]

أما من حيث موضوعات التعبير، فيفرق الدكتور العزاويّ بين موضوعات التعبير الوظيفي والتعبير الإبداعي، وهو يفضل التعبير الوظيفي كما رأينا مسبقًا، لذلك هو مع الموضوع الذي له موقف حياتي، يتكرر في حياة الناس، بحيث يعبروا عنه تعبيرًا لا تشترط به الإثارة، ولا يراد للغته تتسم بالأناقة والتجويد، وهو يرى أنّ " إهمال موضوعات التعبير الوظيفي، هو الخطأ الذي يسود تعليم التعبير في مدارسنا، والذي نجم عنه أنّ الطلاب يتخرجون في الكليات، وهم غير قادرين على التعبير عن شؤون حياتهم ..." [٤] ومن المؤسف أنّ الدكتور نعمة العزاوي لم يشر إلى تجارب عربية مهمة في موضوعات التعبير الحر للطلبة توصلت إلى أنّ التعبير الحر ينتج عنه

[١] المصدر السابق، ص ٦٩ .

[٢] من قضايا تعليم اللغة، ص ٧٠ .

[٣] المصدر نفسه، ص ٧١ .

[٤] المصر نفسه، ص ٧٧ .

الانطلاق وحب الكتابة والاجادة فيها . [١]

أما مهارات التعبير، فقد توصل الدكتور نعمة رحيم العزاويّ إلى مجموعة من مهارات التعبير الشفهي (الكلام أو الحديث) ومجموعة من مهارات التعبير التحريري (الكتابة) فمن مهارات التعبير الشفهي: " ترتيب الأفكار وتواصلها في الحديث، المهارة في حسن صوغ البدء وحسن صوغ الختام، صياغة العبارة وعرض الفكرة في ضوء مستوى السامعين، القدرة على المشاركة في حوار حول موضوع يهم المتعلم أو يهم مجتمعه، القدرة على الاستجابة لمشاعر السامعين، ..."

أما مهارات التعبير التحريري، فمنها " قدرة المتعلم على وضع خطة لما يكتب، موضحًا هدفه، وأسلوب تحقيقه، وقدرة المتعلم على تحديد أفكاره واستقصاء جوانبها ومراعاة ترتيبها وتكاملها، تمكن المتعلم من وصف ظاهرة أو حادثة أو مشهد وصفًا شاملًا . " [٢]

ولكن يلحظ أنّ الدكتور نعمة رحيم العزاويّ قد غفل عن معايير تصحيح التعبير، كما هو في الكتب التي تناولت موضوعات تعليم اللغة العربية، وكان يفترض أن يشير إلى هذه المعايير، لأنّ كتابه يعد رؤية جديدة في تعليم اللغة العربية، وأنه دعا إلى تعليم التعبير الوظيفي، وهو ما يستحق منه وضع معايير لتصحيحه.

الخاتمة وأهم نتائج البحث

الدكتور نعمة رحيم العزاويّ، واحد من علماء اللغة العربية المعاصرين، وقد أثرى المكتبة اللغوية العربية بعشرات الكتب والبحوث والمقالات، في اللغة والتصحيح والتيسير، والأدب وما يتصل به من شؤون اللغة، فضلًا عن مجموعة من الكتب والمقالات في تعليم اللغة العربية وما يتصل به من موضوعات، وقد تناول في كتابه (من قضايا تعليم اللغة العربية ـ رؤية جديدة) عدة موضوعات، اختار الباحث منها ثلاثة موضوعات لدراستها في هذا البحث. وتوصل الباحث أنّ الدكتور العزاوي تبنى وجهة نظر ابن خلدون في تناوله لموضع اكتساب اللغة، وفي ضوء هذه الرؤية تبنى الطريقة التلقائية في تعليم اللغة، وليس الطريقة لقاصدة، أما في موضوع تدريس القواعد، فقد

[١] طرق تعليم التعبير، محمد عبد القادر أحمد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٥، ص ٥٣ .

[٢] من قضايا تعليم اللغة، ص ٨١ ـ ٨٣ .

تبنى طريقة أو أسلوب النحو الوظيفي للتخلص من المشكلات التي تواجه المتعلمين، ويرمي التعليم الوظيفيّ للغة عند الدكتور العزاويّ إلى إبعاد الأنشطة اللغوية التي لا تتعلق بمهارات اللغة الأساسية، أو غايات تعلمها، ويعدّه نشاطًا زائدًا يصرف الطلاب عن اللغة، وقد يدعوهم إلى النفور منها . أما في موضوع التعبير، فقد تبنى الدكتور العزاويّ موضوع التعبير الوظيفي ورأى أنه التعبير المناسب للطلبة للتواصل مع المحيط من خلال موضوعات ذات مواقف حياتية. ويستطيع الباحث أن يقول بثقة إنّ الدكتور العزاويّ قد تناول هذه الموضوعات بعلمية، واقد استند في الكثير من آرائه إلى خبرته الطويلة في التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي، فضلًا عن عمله لسنوات طويلة في مجال تأليف الكتب المنهجية لدروس اللغة العربية، في وزارة التربية في العراق.

المصادر

. أبحاث في فقه اللغة العربة، الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي، مطبعة التعليم العالي، بغداد، ١٩٨٨.

. الأصول الحديثة لتدريس اللغة العربية والتربية الدينية، علي الجمبلاطي، وأبو الفتوح التوانسي، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٣، ١٩٨١.

. أصول تدريس اللغة العربية، الدكتور علي جواد الطاهر، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٤.

. انتظام المعرفة اللغوية، إعداد، د. مؤيد آل صوينت، د. خالد خليل هويدي، مكتبة عدنان، بغداد، ٢٠١٣.

. طرق تعليم التعبير، محمد عبد القادر أحمد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٨٥.

. الطفل واللغة (تأطير نظري ومنهجي)، أحرشاو الغالي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩٣، الكتاب الأول.

. المرجع في تدريس اللغة العربية، إبراهيم محمد عطا، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦.

. المرجع في تدريس اللغة العربية، إبراهيم محمد عطا، مركز الكتاب للنشر، القاهرة، ٢٠٠٦.

. المقدمة، ابن خلدون (٨٠٨ هـ)، ط٥، دار الكتاب العربي، بيروت، بلا ت.

. من قضايا تعليم اللغة العربية . رؤية جديدة، الدكتور نعمة رحيم العزاوي، مطبعة وزارة التربية، بغداد، ١٩٨٨.

. الموجه الفني لمدرسي اللغة لعربية، دار المعارف، القاهرة، ط ٧.

. موسوعة أعلام الحلة، سعد الحداد، مكتب الغسق للطباعة، بابل، ٢٠٠١، ج١.

. النحو الوظيفيّ، عبد العليم ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٩.

الرسائل

أثر تضمين نصوص من نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام في تحصيل طلبة المرحلة الثانية في قسم اللغة العربية بكلية التربية الأساسية في مادة البلاغة العربية، أ.م د. رياض حسين، و م. مؤيد سعيد، مجلة الفتح، العدد ٤٨، ٢٠١٢.

اختلاف المخاطبين في النص القراني واثره في تعدد المعنى

د . نوار محمد اسماعيل الحيالي

الملخص:

لقد اعطي المخاطب في النص القراني اهمية خاصة لأكتساب النص دلالة متفاعلة ذلك ان شكل الاتصال بالناس على اختلاف مستوياتهم وتحقيق تفاعلهم مع المعطيات الجديدة يتطلب استراتيجية خاصة يتحول بموجبها الخطاب الى علم يحمل دلالات مزدوجة، فالنص القراني يعنى بالملتقى عند تالفيه لعناصره الاقناعية وكثيرا مايحدد النص شكلا للمتلقي بطرائق متعددة وهذا التحديد يتفاعل مع معطيات النص في توليد البعد الدلالي كونه يدخل عنصرا من عناصر بناء النص فمن خلال خصوصية توجيه الخطاب يتضح للقاريء معالم معاني متعددة تنشط من النص نفسه ويكشف من خلالها اتساع افق النص في التعامل معه.

The difference of the speakers in the Qur'anic text and its effect on the multiplicity of meaning

Dr. Nwar mhamaed AL-heialy

:Summary

The communicator in the Qur'anic text has given special importance to the acquisition of the text. An interactive indication that the form of contact with people at different levels and their interaction with the new data requires a special strategy that turns the discourse into a science with double connotations. The Qur'anic text means the forum when its elements are masked. In a variety of ways and this identification interacts with the data of the text in the generation of the semantic dimension as it enters a component of the text structure through the privacy of the guidance of the speech is clear to the reader features multiple meanings that are active from the text itself and reveals the breadth of the text horizon in dealing with it

تمتد افاق التصور عن انواع المتلقين انطلاقاً من تشكلات الخطاب في النص القرآني وتتركز فاعلية النص في إنشاء وعي المخاطبين، او تشكيله وتحقيق أثر القول فيهم، فالنص القرآني يعنى بالمتلقي عند تأليفه لعناصره الاقناعية، وكثيراً ما يحدد النص القرآني شكلاً للمتلقي بطرائق متعددة، وهذا التحديد يتفاعل مع معطيات النص في توليد البعد التأويلي، كونه يدخل عنصراً من عناصر بناء النص، فمن خلال خصوصية توجيه الخطاب تتضح للقارئ معالم تأويلية يستنبطها من النص نفسه، ويكتشف من خلالها اتساع افق النص في التعامل معه، فضلاً عن كونها توجد لديه أثاراً لمفاهيم جديدة لا يصرح النص بها بل يقولها ضمناً، وانطلاقاً من خصوصية النص القرآني، فإن الخطاب فيه يبتغي الإقناع ويهدف الى صياغة واقع جديد؛ ((لان الغرض الأكبر للقرآن هو إصلاح الامة باسرها فإصلاح كفارها بدعوتهم الى الايمان، واصلاح المؤمنين بتقويم اخلاقهم وتثبيتهم على هداهم وإرشادهم الى طرق النجاح وتزكية نفوسهم))[١]، وقد أعطي المخاطب في القرآن الكريم أهمية خاصة لإكساب النص دلالة متفاعلة ، ذلك ان شكل الاتصال بالناس على اختلاف مستوياتهم، وتحقيق تفاعلهم مع المعطيات الجديدة ، يتطلب استراتيجية خاصة يتحول بموجبها الخطاب الى علم يحمل دلالات مزدوجة، من هنا عد الزركشي المخاطبات في القرآن علماً من علومه، فصنف الخطاب استناداً الى انواع المخاطبين داخل النص الى ((خطاب تهييج وإغضاب وتشجيع وتحريض وتنفير وتحبيب وتعجيز وتحسير وتكذيب وتشريف))[٢]، ويجعل الغزالي عنوان مبحث له: في طريق فهم المراد من الخطاب[٣]، فيقرر منذ المنطلق ان اللغة معطى موضوع يعرف معناه بسبب تقديم المعرفة بالمواضعة ثم يفكك عناصر التخاطب الدلالي إلى ركائز ثلاث: المتكلم وما نسمعه من كلامه ، ثم مراده من كلامه ، وهي دعائم الباث وبنية الدوال وبنية المدلولات ، وثلاثتها تتضمن في صلبها بطريقة طبيعية عنصراً رابعاً هو عنصر المتقبل[٤] ((ان طريقة فهم المراد هو تقديم المعرفة بوضع اللغة التي بها المخاطبة))[٥]. فنلحظ في النص القرآني كثرةالمخاطبات، والمخاطبون فيه بحسب تقسيم (عبدالله صوله)[٦] نوعان: نوع يذكر داخل النص القرآني وهو قسمان: قسم مذكور معين باسمه او لقبه او بضمير الخطاب الذي يعينه شأن خطاب الرسول(ﷺ) وخطاب الكافرين، وخطاب بني اسرائيل واهل الكتاب، وخطاب الذين امنوا وهو كثير فيه، والنوع الاخر من المخاطبين يقع خارج النص القرآني غير مذكور فيه، ولكنه مع ذلك معني بخطاب القرآن وهو جمهور السامعين والمتلقين على اختلاف عصورهم وامكنتهم .ان شكل الاتصال الذي تتحدث

عنه خاص، وخصوصيته تنبع من كونه حاصلاً بين طرفين لا ينتميان الى نفس المرتبة الوجودية ((الذات الألهيةﷻوالرسول ﷺ))[٧] وقد جاء مفهوم الوحي في الثقافة العربية مستوعباً لكل النصوص الدالة على خطاب اللّه تعالى للبشر، وهو في اطار اللغة قبل القرآن كان دالاً على كل عملية اتصال تتضمن نوعاً من الاعلام، والاعلام بالوحي خفي سري بين طرفين[٨]((وليست الرسالة المتضمنة في عملية الاتصال بالوحي سواء كانت رسالة لغوية ام كانت رسالة خاصة (بالمتلقي الاول)، ولكنها رسالة مطلوب تبليغها للناس واعلامهم بها))[٩] فهي حقيقة لايحتاج الى ابرازها، لذا فالنص القرآني حينما يجعل المخاطب معطى حضورياً قائماً بذاته بعد ان كان في الفعل اللغوي الاعتيادي غائباً مختفياً وراء ما يؤديه، كان لابد لتأكيد ابراز المتلقي وابراز فعل الاتصال لغوياً من وجود اختلاف في حالة عن أخرى، وهذه العملية تستلزم اختلافاً في المستوى الدلالي للمعنى، فعندما يحاول النص ان يبني صيغة من صيغ الحوار المباشر مع المتلقي من خلال فرض حضوره الدائم مكاناً وزماناً، إما عن طريق (كاف) الخطاب او فعل الامر[١٠] فالمهمة الاصلية المنوطة بالرسول(ﷺ)وهو المتلقي الاول هو التبليغ، لذا فاستخدام الفعل (قل) مثلاً يؤكد التمايز بين حالتي (الاتصال / الوحي) الاولى والثانية ((إذ ليس من الفصيح ان يقول الرسول للمرسل اليه ، قال لي المرسل: قل كذا وكذا، ولانه لا يمكن اسقاطها، فدل على ان المراد بقاؤها، ولابد لها من فائدة وتكون امراً من المتكلم للمكلم بما يتكلم به أمره شفاهاً بلا واسطة كقولك لمن تخاطبه: افعل كذا))[١١] فيكون بمثابة(مكون نصي) يسهم في عملية التواصل ويحقق الاقناع والتأثير فيأتي هذا الشكل الذي يستعمل هنا تمهيداً وحجة على أي اعتراض قد يبدر من المتلقي المقصود بهذا الخطاب ، ويتحقق بهذا المستوى الاتصالي تفاعل بين الظاهر والباطن ، من حيث كونه ابرازاً لفعل مقصود به خطاب الرسول (ﷺ) في حين ان باطنه تعديل فكرة وتقوية حجة ، وهي تشكل دلالة مزدوجة تعالج مواطن اعتراض المعترضين عليه ؛ لان اعتراض الكفار ((انصب على مضمون كلام الوحي ، أو على شخص الموحى إليه ولم يكن الاعتراض على ظاهرة الوحيذاتها[١٢]))[١٣]؛ ولان في هذا الفعل تأكيد كون القائل مأموراً من جهة لا تخالف ابداً ، وفيها تأطير لمشروعية فحوى القول ووجوبه لانتسابه إلى جهة الذات العليا فتوحي بالاهتمام بما بعد القول ((بأنه كلام يراد ابلاغه الى الناس بوجه خاص، منصوص فيه على انه مرسل بقول يبلغه، والا فأن القرآن كله مأمور بإبلاغه))[١٤] .اولاً: المجال التأويلي لفعل الامر (قل):وقد اتخذ فعل الامر (قل)

شكل التحاور بين الذات الالهية عبر الوحي والمخاطبين الاولين ومنهم الى الجمهور المحتمل، وقد حققت حكاية اقوال الكافرين والمتخاطبين والرد عليها نسبة تواتر عالية بهذا الفعل، فضلاً عن كونها اتخذت شكل الجوابعن سؤال بصيغة حكاية السؤال (يسألونك/قل) او بالاستفهام بأدواته المتنوعة، أو أن تأخذ شكل الجواب عن سؤال مفترض ممكن الوقوع، كما ان فاعلية فعل الامر (قل) واثرها وطاقتها الاقناعية تمثلت في سياقات (الاسلوب الحكيم) او(ظاهرة الانتقال الدلالي) ببعديه الحياد عن الجواب الى غير المتوقع، أو الجواب الذي يأخذ مساحة اكبر مما يتطلبه فعل (الاستفهام) والذي هو (طلب الفهم)، فيفيد النص الذي ترد فيه من طاقتها الايحائية تلك في توجيه ذهن السامع الى ما هو اصلح له، فضلاً عن كون فعل الامر (قل) للرسول (ﷺ) فيه اعمام للخطاب، للجهة التي صدر منها فهي تفتح فضاء الزمان والمكان ليحتوي اكبر جمهور محتمل او معاصر وتكثر في النص القرآني بالشكل (يقولون – قل) واحياناً ترد جواباً عن تقولات خارج النص. لذا فتمركز البنى الامرية في النصوص التي وردت فيها كان بقصد استحضارها دور الذات الالهية في مقامات معينة، ذلك ان البنى الامرية تحتوي ثنائية الذات المرسلة والمرسل اليها، وبذا فانها تضيف حمولة دلالية للنص، لان دلالتها المركزية تبقى حاضرة مع ورودها وهي تأكيد مصدر القول (الوحي) وتجديد حضور النبي (ﷺ) رسولاً من عند الله وتأكيد اهمية القول الذي يأتي بعدها . وفي قوله تعالى: (وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاء اللّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاء وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاء وَلِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ) [الآية ١٨ / سورة المائدة]. فالنص فيه ادعاء على لسان اليهود والنصارى متضمن في حكاية قولهم ، وتحمل طريقة حكاية هذا القول (وقالت) دلالة كونها واحدة من مقولات كثيرة قالوها ويقولونها فهو ديدنهم الذي اعتادوا عليه وفحوى المقالة: (نحن ابناء الله واحباؤه) يعكس معتقداً وتصوراً مترسخاً في نفوسهم بنوا عليه تصرفاتهم ، واكد هذا المنطلق ورودها بالجملة الاسمية الدالة على الثبات والاستقرار واليقين: (نحن ابناء الله واحباؤه) فتصديرها بالضمير المنفصل (نحن) العائد على المتكلمين (النصارى واليهود) والدالة على تحقيق حضور الذات المتكلمة بوصف انفسهم الصفوة المختارة منسوبة الى الله سبحانة، وهم يقولون هذه الفكرة التي تأسست في اذهانهم بثقة ؛ لان اتخاذهم ابناء ((يعني تخصيصهم بمزيد الشفقة والمحبة، فالقوم لما ادعوا ان عناية الله بهم اشد واكمل من عنايته بكل ما سواهم لاجرم عبر الله

تعالى عن دعواهم بكمال عناية اللَّه بهم بأنهم ادعوا انهم ابناء اللَّه))[١٥] او ان يكون قولهم هذا ((بما هو ناظر الينا به من جميع صفات الكمال و(احباؤه) أي غريقون في كل من الوصفين كما يدل عليه العطف بالواو))[١٦] فلما توافرت كل عناصر الثبات في مقالتهم جاءت الجملة التي اخذت موضع الهدم لهذا المعتقد الذي بنوا عليه تصورهم، أو حجتهم ليفكك مقالتهم فيقدم البرهان والحجة ليحقق الاقناع؛ لان تقبل امر ما يقتضي الاقتناع به، فأفتتح النص بالبنية الامرية (قل) التي جاءت بحمولتها الدلالية ووظيفتها الاقناعية بالرسول(ﷺ) لانها تحتوى ثنائية الأمر والمأمور، لتشكل عمقاً دلالياً لما يستدعيه المقام وليقوض الدعامة التي اصدروا بها قولهم ((فان كنتم جامعين بين كونكم ابناء واحباء "بين عطف البنوة وحنو المحبة"، أي فإن كان المراد بالبنوة الحقيقية فابن الاله لا يكون له ذنب فضلاً عن ان يعذب به، لأن الابن لا يكون الا من جنس الاب ... وإن كان المراد المجاز أي بكونه يكرمكم اكرام الولد او الحبيب كان ذلك مانعاً من التعذيب))[١٧] فقد علم اللَّه (ﷻ) رسوله (ﷺ) ان يبطل قولهم بنقضين اولهما:- من الشريعة وهو قوله: (فلم يعذبكم بذنوبكم) يعني انهم قائلون بان نصيباً من العذاب ينالهم بذنوبهم، فلو كانوا ابناء اللَّه أحباءه لما عذبهم بذنوبهم والثاني:- متضمن في النتيجة من البرهان بقوله: (بل انتم بشر ممن خلق) أي ينالكم ما ينال سائر البشر[١٨]، ولابد من ان يكون في ذكر العذاب إحالة على عذاب يعرفونه مقطوع بثبوته؛ ((فقيل معنى (يعذبكم) عذبكم ؛ فهو بمعنى المضي؛ أي فلم مسخكم قردة وخنازير؟ ولم عذب من قبلكم من اليهود والنصارى بأنواع العذاب وهم امثالكم ؟ لان اللَّه سبحانه لا يحتج عليهم بشيء لم يكن بعد))[١٩]، وقد أشار الرازي الى انهم لما كانوا من جنس اولئك المتقدمين حسنت هذه الاضافة[٢٠]، أو ان يكون فحوى السؤال (فلم يعذبكم اللَّه بذنوبكم) يحمل وجهين من المعنى كما قال القرطبي: ((اما أن يقولوا هو يعذبنا فيقال لهم: فلستم اذن ابناءه واحباءه فإن الحبيب لا يعذب حبيبه ، وانتم تقرون بعذابه ؛ فذلك دليل على كذبكم او يقولوا لا يعذبنا؛ فيكذبوا ما في كتبهم وما جاءت به رسلهم ويبيحوا المعاصي، وهم معترفون بعذاب العصاة منهم ولهذا يلتزمون احكام كتبهم))[٢١].وتحافظ لفظة (قل) على حضورها بكثافتها الدلالية في سياقات الفعل (يسألونك) بوصفها بنى جوابية يتواتر حضورها، وتختلف وظيفتها في هذه السياقات فقد وردت في اثنى عشر موضعاً متصدرة الجواب وقد أرتأينا ان نشير إلى وجودها في سياقات الانتقال عندما يتجاوز الجواب الذي تتصدره منطقية السؤال، وهي هناك

احتملت التأويل لموقعها الذي احتلته في السياق في حين انها وردت في ثماني نصوص جواباً حقيقياً عن اسئلة افاد معناه الفعل يسألونك ((وان لم يكن في الجملة عنصراً من العناصر المباشرة في إفادة الاستفهام))[٢٢] ويعد مجيء كلمة (قل) في صدر الجواب الاصل في ورودها ، وهي تحدد معنى الرسالة بين اللَّه تعالى والعباد ، كما تحقق الامر باداء الرسول (ﷺ) وحي الله تعالى الى عباده[٢٣]، وفيما يأتي جدول موضح للمواضيع التي سئل عنها وشكل الجواب:ففي قوله تعالى: ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا * فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا * لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا)) [الآيات ١٠٥-١٠٧ / سورة طه].وفي خضم تصوير هول يوم القيامة الذي سيحل بهم ، وبما تعارفوا عليه في عالمهم يعود لبيان موقف من مواقفهم المتعددة الرافضة تجاه هذا الحدث العظيم، فيحكي سؤالاً عنهم يسألونه في الدنيا عن الجبال التي تعني عندهم رمز الثبات والقوة والعظمة ؛ لالتصاقها بالارض ولكونها اعظم واكبر ما هو موجود عليها ، فلما كان هذا مفهومهم عن هذه الاجسام المهولة العظم يكون سؤالهم في هذا المقام انعكاساً ((لشكهم في البعث وقوفاً مع الوهم في انها تكون موجودة على قياس جمودهم لا محالة؛ لانها اشد الاشياء قوة، وأطولها لبثاً وابعدها مكثاً..))[٢٤]، أو ان يكون سؤالهم شكاً فيما ذكر لهم من قوله: (يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين) ((فكأنهم قالوا: كيف يصح ذلك والجبال حائلة))[٢٥]؛ فتمنع بعض الناس من سماع النفخ في الصور، وتخيل للبعض بحكم رجع الهواء الحامل للصوت انه آت من غير جهته فلا يستقيم القصد الى الداعي[٢٦] فيكون بذلك سؤالهم (سؤال تعنت لا استهداء...))[٢٧] وسواء كان سؤالهم سؤال استهداء أم استرشاد، فقد أنبأهم اللَّه تعالى بمصير الجبال؛ إبطالاً لشبهتهم وتعليماً للمؤمنين ؛ فجاء الجواب متصدراً بفعل الامر (قل) التي تحمل كثافة دلالية في ثنائية (القائل والمقول له)، الذات الالهية والرسول(ﷺ) لتؤدي دلالة التوكيد لفحوى القول ((فأكد بنسفها لاثبات انه حقيقة لا استعارة))[٢٨] ولتكتسب العبارة قوتها من قوله: (ينسفها) لتقابل عندهم مركز القوة والثبات بأنها تفرق وتذروها الرياح فتصير مستوية كأنها لم تكن بدلالة قوله: (لا ترى فيها عوجاً ولا امتاً) وفي قوله: (لا ترى فيها) تبرز دلالة النفي بـ(لا) الذي يؤذن امتداد لفظها بامتداد معناها[٢٩]، والعرب تنفي بها ما كان ممكناً عند المخاطب مظنوناً انه سيكون [٣٠]، ونلحظ ان ((الآيات الكريمة مع وصفها لما يصيب الجبال من التبدل المادي فإنها وصفت الاحباط والفشل الذي يواجه الكافرين حين يحشرون دون ان يفلت منهم احد

وعندها يواجهون نتائج اعمالهم في الدنيا فتبدو لهم سراباً خادعاً))[٣١]، هذا وقد تناول محمود شلتوت خصوصية تصدر فعل (قل) في هذا الموضع بالذات بانه ((دل في هذا المقام على طلب سرعة الاجابة ، أي اجب ولا تمهل حتى لا تذهب بهم الشكوك في امر هو في اصول الدين وهو البعث وذلك كما في دلالة القاء على التعقيبوالمباشرة))[٣٢] ، ويدخل فعل الامر (قل) بوصفه بناءً حوارياً مفتوحاً بين اللّه (ﷻ) ورسوله (ﷺ) في سياقات قصصية ليعلن بذلك انفتاح زمن الخطاب، وتواصل تأكيد قدرة اللّه تعالى بامتداد الزمان والمكان. ففي سورة النمل وبينما النص القرآني يتوارد على ذكر قصص الانبياء ومعاناتهم مع الاقوام التي أرسلوا اليها فالمجابهة التي يلاقونها واحدة تقابلها دعوة ناطقة بلسان واحد على اختلاف الزمان والمكان والشخوص فقوله تعالى: (قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ) [الآية ٥٩ / سورة النمل]. جاء بعد ان امتد السياق بمساحته الدلالية في عرض عواقب بعض الامم التي كذبت الرسل ، وهي اشبه بأحوال المكذبين بمحمد (ﷺ) وبالكتاب الذي انزل عليه فالشخوص التي عرضها كانت تمتد الى افاق زمنية بعيدة، (موسى) عليه السلام وقومه ووصفهم بقوله: (انهم كانوا قوماً فاسقين فلما جاءتهم اياتنا مبصرة قالوا هذا سحر مبين وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلماً وعلوا فأنظر كيف كانت عاقبة المفسدين)[٣٣]؛ فنلحظ من هذه القصة التي استهل بها الحديث عن الانبياء واقوامهم تأكيداً واضحاً على إدخال (المتلقي الاول) بوصفه عنصراً مساهماً في الحدث؛ لانه عده كالمشاهد او المبصر للحالة التي آل اليها هذا الصنف من الاقوام، وقد تحققت مقابلة بين (اياتنا مبصرة) وفعل الامر (فانظر) وأسند الابصار الى الايات ليعيد دلالتين الاولى: ان الآيات مبصرة بذاتها فهي تبصر غيرها . والثاني: انها تجعل غيرها مبصراً وذا بصيرة [٣٤]، ووصف الآيات بأنها مبصرة يحتمل دلالة المبالغة؛ لانها سبب في إبصار الناس وسبب في اهتدائهم والسياق العام يرشح دلالة الاعتبار المتحصلة من الفعل (فأنظر كيف) ؛ لان فيه حث على استرجاع الاستدراك للحصول على الفائدة، ونلحظ ان الصيغة نفسها تؤكد حضورها في الحديث عن قوم صالح(عليه السلام) (ومكروا مكراً ومكرنا مكراً وهم لا يشعرون* فأنظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمرناهم وقومهم اجمعين)[٣٥] وفي قصة قوم لوط(عليه السلام)الذين جاهروا بالمعصية مصرين عليها آخذوا بالعذاب لذلك ولكفرهم بتكذيبهم رسولهم ((فلما رأهم قد سفلوا الى رتبة البهيمية، رتب دعاءهم منها الى رتبة الانسانية، ثم الى رتبة الوحدانية، ويدل على هذا التقدير قوله

مشيراً الى ان اللَّه تعالى اهلكهم وجميع من كفر من قبلهم، ولم تغن عنهم معبوداتهم شيئاً))[٣٦] ، فقد كان سلوكهم ان طلبوا من نبيهم ان يغادرهم وهموا بإخراجه بحجة انهم اناس يتطهرون ((وما كان من عاقبتهم بعد إذ هاجر لوط (عليه السلام) من بينهم وتركهم للدمار، ولقد همت قريش باخراج الرسول(صلى الله عليه وآله)، وتامرت في ذلك قبل هجرته من بين ظهرانيهم بقليل فإذا انتهى القصص بدأ التعقيب بقوله: (قل الحمد لله)[٣٧]، فالفعل (قل) الذي يفيد التأكيد يحقق من جهة اخرى استشعار معية اللَّه سبحانه وقدرته التي اهلكت الأمم السابقة، وهو القادر على تحطيم تكبرهم وعنادهم على امتداد الزمان وفي تأكيد تضمن مقول القول (الحمد والشكر) من الرسول (صلى الله عليه وآله) إشارة الى النعمة التي خص اللَّه النبي محمداً (صلى الله عليه وآله) بها، لانه ((لما ذكر احوال الانبياء (عليهم السلام)، وكان محمد (صلى الله عليه وآله) كالمخالف لمن قبله في أمر العذاب؛ لان عذاب الاستئصال مرتفع عن قومه، أمره تعالى بان يشكر ربه على ما خصه بهذه النعم، وبأن يسلم على الانبياء (عليهم السلام) الذين صبروا على مشاق الرسالة))[٣٨]. وأشار إلى تشريف الانبياء بنسبتهم اليه بقوله: (عباده) جاء بالموصول وصلته: (الذين اصطفى) للدلالة على الاحاطة والشمول في الزمان والمكان ((فالموصول من صيغ العموم))[٣٩]، فالاستمرار بانجاء الرسل واتباعهم وهلاك الكافرين واشياعهم فيه دليل قطعي على ان الاحاطة لله تعالى في كل أمر فيه دليل على وحدانية اللَّه وعلمه وقدرته وهي إشارة ضمنية للرسول (صلى الله عليه وآله) في هذا المقام ((بأعتبار ما افاد سوق تلك القصص من الايماء الى وعد الرسول (صلى الله عليه وآله) بالنصر على اعدائه...))[٤٠]؛ لانه ذكر نصرهم ورفعة درجاتهم جزاءً على صبرهم ، كما ان الاستفهام الإنكاري الذي جاء بعد الامر بالحمد (الله خير اما يشركون) ((أكد مبدأ الوحدانية لله بين ان ما يشركون به من اصنام وأوثان، او ملائكة وجن، او خلق اللَّه على آية حال لا يرتقي ان يكون شبيهاً بالله سبحانه فضلاً عن ان يكون خيراً منه . . ثم يبدو هذا السؤال بهذه الصيغة وكأنه تهكم محض ، وتوبيخ صرف))[٤١] ؛ لانه ((لا يؤثر عاقل شيئاً على شيء الا لزيادة خير ومنفعة. فقيل لهم هذا الكلام تنبيهاً على نهاية ضلالهم وجهلهم))[٤٢] لذا يأتي السياق اللاحق في بيان نعم اللَّه تعالى على العباد وفضل على عباده. وقد بدأ بتصوير الخالق لأصول النعم وفروعها فكيف تحسن عبادة ما لا منفعة منه البتة، فبغية توصيل تلك الدلالة تدخل البنى الامرية بكثافتها الدلالية، وبتأكيدها حضور اللَّه (جل جلاله) الأمر والمأمور الرسول (صلى الله عليه وآله) لتوكيد اهمية العبرة المستخلصة من توالي هذه الاحداث ولتؤكد احادية القدرة الالهية

وانفتاحها على الزمان والمكان.ان الموقع الذي تحتله (قل) في النص القرآني يضفي عليها دلالات جديدة فضلاً عن دلالتها المركزية التي هي تأكيد كون الكلام من اللَّه (ﷻ)، والتركيز على حضور المأمور وقربه؛ لانه لا يؤمر الغائب، فضلاً عن تأكيد أهمية المقول بعد فعل القول، لذا فانه من خلال إحصاء اولي لمواقع هذا الفعل نجده يعكس بحركته وموقعه استراتيجية نصية مقصودة للتأثير في المخاطب الممتد عبر الزمان والمكان، وقد تصدر هذا الفعل أربع سور، وقد اختلفت دلالاتها أو وظائف ورودها في سورتي الإخلاص والكافرون عنه في المعوذتين؛ ذلك انها جاءت في سورة الاخلاص والكافرون لتحيل الى عناصر غائبة في النص فنلحظها في السياقين جاءت رداً على تقولات واصوات خارج النص في حين تكون الردود داخل النص فتحيل الى ذلك الخارج ففي قوله تعالى مخاطباً الرسول (ﷺ) ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص] نلحظ فيه رداً على اليهود عندما طلبوا من الرسول (ﷺ) وصفاً لربه فقالوا: ((صف لنا ربك فان اللَّه انزل نعته في التوراة، فأخبرنا من أي شيء هو ومن أي جنس هو))[٤٣]، فتصدر الجواب على سؤالهم بفعل الامر(قل)، الذي فرض استحضار دلالته المركزية في حقيقة الوحي واحقية محمد (ﷺ) بالرسالة ، وليحمل معه قوة الدلالة لكونه صادراً من اللَّه سبحانه، وليجيب سبحانه أمراً نبيه (ﷺ) لتكون اول كلمه فيها دالة على رسالته رداً على من كذبه في خاصة نفسه [٤٤]؛ فتكون (قل) بدلالتها رداً على ما في نفوس هؤلاء المنكرين للدعوة، والذين يُعرِضون الرسول (ﷺ) لتساؤلاتهم شكاً به ويكون في ((اطلاق الامر بعدم التقييد بمقول له يفهم عموم الرسالة ، وان المراد كل من يمكن القول له سواء أكان سائلاً عن ذلك بالفعل أو بالقوة حثاً على استحضار ما لرب هذا الدين الذي حاطه هذه الحياطة ورباه هذه التربية من العظمة والجلال والكبرياء والكمال ؛ ففي الإطلاق المشير الى التعميم رد على من اقر بارساله (ﷺ) الى العرب خاصة ويدل على ان مقول القول لا ضرر فيه على احد، فإن ظواهر مفهومة لكل احد ...))[٤٥]، وللاعمام انطلق من كون القول توجه الى الرسول(ﷺ) ومنه الى جمهور محتمل، كما ان تخصيصه بالقول يفهم منه اعراض عنهم وبيان انه افهم الخلق عنه لتلك الصفات؛ لان الامر يأمر شخصاً يريد منه تبليغ امر لابد من ان يكون مقتنعاً به: قل هو الذي عرفته صادقاً يقول لي (قل هو اللَّه احد)، فعرفك الوحدانية بالسمع وكفاك مؤونة النظر والاستدلال بالعقل ((وجاء بالضمير (هو اللَّه احد) للإيذان بأنه من الشهرة والنباهة بحيث يستحضره كل أحد واليه يشير كل

مشير، واليه يعود كل ضمير كما ينبئ عنه اسمه الذي اصله القصد ... فالضمير لا يفهم منه من أول الامر الا شأن مبهم له خطر جليل فيبقى الذهن مترقباً لما أمامه مما يفسره ويزيل إبهامه فيتمكن عند وروده له فضل تمكن))[٤٦] وفي هذا الاطار نفسه او الغرض يرد قوله تعالى: (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * لَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ) [سورة الكافرون] ، ففيه رد على الكفار من قريش عندما قالوا: ((يا محمد هلم اتبع ديننا ونتبع دينك تعبد الهتنا ونعبد الهتك سنة فإن كان الذي جئت به خيراً مما بأيدينا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه))[٤٧]، فتلتقي دلالة (قل) هنا بدلالتها في سورة الاخلاص ، من حيث كونها ترد بثقلها الدلالي للرد على تقولاتهم واقتراحاتهم فهي اجابة داخل النص على اصوات خارج النص ، فلما كانوا يريدون منه ان يشرك جاء الرد ((بالأمر الالهي الحاسم الموحي بأن أمر هذه العقيدة أمر اللَّه [تعالى] وحده ليس لمحمد [ﷺ] فيه شيء انما هو اللَّه الامر الذي لا مرد لأمره الحاكم الذي لا راد لحكمه))[٤٨]، ونلحظ في ندائهم بـ(يا أيها الكافرون) تضميناً لدلالة ((الذم والاهانة لانه خطاب مواجهة وهذا قليل في القرآن ؛ إذ الاصل في خطاب الكافرين على الغيبة إعراضاً عنهم))[٤٩]؛ فيكون في تأكيد خطابهم بلقب، أو بوصفهم مدلول آخر غير المدلول الظاهر، ففيه تشديد كبير على إبراز هذا الوصف الذي ينفرون منه؛ لانه اكره ما يكون عليهم وقد يراد به كفرة مخصوصون من قريش قد علم اللَّه تعالى انه لا يتأتى منهم الايمان ابداً[٥٠] الا ان ظاهر النص يوحي بأكثر من ذلك فلعل في ندائهم مبالغة لطلب اقبالهم لئلا يفوتهم شيء مما يلقى اليهم ونداؤهم بـ(يا أيها الكافرون) دون الذين كفروا؛ لان الكفر كان ديدنهم القديم ولم يتجدد لهم ، أو لأن الخطاب مع الذين يعلم استمرارهم على الكفر فهو كاللازم لهم[٥١]؛ فيكون في الرد عليهم بهذه الطريقة قطع لأي اواصر يريدون اقامتها بين مذهبهم في عبادة الاصنام، ومذهبه عليه الصلاة والسلام التوحيد؛ فتكون كل تلك الكثافة الدلالية حداً قاطعاً بني ليفصل بين ما هم عليه وما هو عليه ، في حين اختلفت دلالة تصدرها في المعوذتين عن ذلك، مع بقاء المعنى المركزي لفعل الامر (قل) الا ان تصدرها هنا اضفى عليها دلالة جديدة ((تقتضي المحافظة على هذه الالفاظ ، لانها عينها الله تعالى لنبيه ليتعوذ بها فإجابتها مرجوة، إذ ليس هذا المقول مشتملاً على شيء يكلف به، أو يعمل حتى يكون المراد: قل لهم كذا))[٥٢] .

ثانياً: المجال التأويلي لـ(ما ادراك ، وما يدريك):لقد شكل التركيب (ما ادراك ما) محوراً رئيساً في تحريك المعنى من خلال العلاقات الممتدة بينه وبين الحقول الدلالية التي امتد وجوده فيها، فصور لنا ركيزة بنائية في تكوين النص؛ لكونه يقيم محاورة مع المخاطب بغية إثارة انتباهه، فضلاً عن كونه يفتح له ابواباً لرؤى جديدة تعرفه مكانته في هذا الكون وتبين ضآلته أمام القدرة الهائلة التي أوجدت أموراً تحيط به، أو تخصه ويقصر إدراكه عنها ، وبالاعتماد على المرجعية المعجمية للفظ (درى)؛ لكونها الكلمة المركزية نلحظ ان ((الدراية تكون أخص من العلم، وقيل ان درى يكون فيما سبقه شك وما علمته بضرب من الحيلة ودرى الصيد يدريه دريا ختله))[٥٣] ؛ فهو اذن في اصله اللغوي يستدعي استخدام متاحات عقلية اكثر من غيره ؛ لانه ((المعرفة المدركة بضرب من الختل، يقال دريته ودريت به درية نحو: فطنت))[٥٤]، وذهبت الدكتورة عائشة عبد الرحمن الى ان ((الدراية أخص من المعرفة والخاصة البيانية لهذا الاسلوب استعماله فيما يجاوز دراية المسؤول، إما لجلال الامر وعظمته وإما لكونه من الغيب المتعلق بالمصير في اليوم الاخر، يتجاوز دراية البشر ويعييهم إدراكه وتمثله))[٥٥] وقد توارد استخدامها في النص القرآني في ثلاثة عشر موضعاً بصيغة الفعل الماضي ، وما الاستفهامية (وما ادراك ما) ((أي أي شيء ادراك))[٥٦]؛ فنلحظ الترطيب الجملي الذي قوامه (ما) بوصفها الوحدة الاستفهامية التي تفتح للنص افقه الفكري ، وقد كان تكرار هذه البنية ضمن النصوص جميعاً مدعاة لملاحقة هذا الحضور بغية تحديد انماطها وتحولاتها، والمخاطب في هذه البنى هو مستمع ينتمي إلى هذا العالم فإن (النص) لا يقصر الخطاب على مخاطب، بل يمتد ليشمل كل فرد يمكنه تفرده من الدخول في دائرة السامعين، ومن المفسرين من ذهب الى ان المخاطب بها هو المتلقي الأول الرسول (ﷺ) ومنه إلى كل سامع، وبمقاربة إحصائية لانماط حضور هذه البنى يقف البحث على مجموعة من المقاربات والاراء لتحولات هذه البنى دلالياً وخطابياً، ويمكن ان تجد الدلالات التي صيرتها القوى التعبيرية بؤرتها تهويل الأمر ، وتفخيمه وتعظيمه كما انه يقصد بها إفهام المخاطب اموراً يغفلها، أو يغفل عظمتها ودورها في عالمه؛ لقصور ادراكه العقلي عنها، فإذا ما انطلق من اللَّه سبحانه إلى الرسول (ﷺ) اسبغ عليها هالة من التعظيم؛ لان الرسول (ﷺ) هو المبلغ عن ربه تعالى إلى البشر بكل مميزاته لا يدرك هذه الامور الا بتعريف اللَّه تعالى له بها، كما ان فيها بيان ضآلة عقول المخاطبين؛ لان الخطاب مقصود به جمهور محتمل مفتوح على الزمان والمكان. وقد عد ابن عاشور بنية (ما أدراك)

بمنزلة المثل[٥٧] وذلك انها ملازمة لدلالة التعظيم والتهويل والتفخيم فمتى ما أريد عظيم أمر جاءت (ما ادراك او ما يدريك) ، وقد وجدنا بالمقاربة الإحصائية ان هذه البنى تعمل في حقلين دلاليين، الاول: الاخرة ومنه:

١–أوصاف ليوم القيامة (يوم الفصل ويوم الدين ، الحاقة والقارعة) .

٢–أوصاف جهنم سقر الحطمة.

٣–كتاب فيه الجزاء (سجين وعليون) .

الثاني: حقل خاص بأمور دنيوية (الطارق، والعقب، والقدر) وقد تنبه القدماء الى ان كل ما ورد في القرآن الكريم بـ(ما أدراك) فإن اللَّه (ﷻ) اداره وأعلم به المخاطب، وكل ما ورد في القرآن الكريم بـ(ما يدريك) فأن اللَّه (ﷻ) قد استأثر بعلمه [٥٨] فقد وردت بصيغة المضارع في ثلاثة مواضع من غير ما بيان[٥٩]، والاستقراء للنصوص التي ورد فيها هذا (اللفظ) وبيانه قد بقيت المعرفة به غير متكاملة؛ فقد كان ما بينه من الامور التي تلي (ما أدراك) فيها اظهار لما يريد ان يعلم به المخاطب وتبقى جوانب مستترة من ما يرتضيه غامضاً خفياً عن المخاطب؛ فالمسألة تبقى محافظة على عدم الاحاطة بأبعادها التامة الا ما تسمح بفهمه النصوص المبينة لها .

–الحقل الاخروي:

في اطار رصد حركة البنى القائمة على فتح الحوار مع (المتلقي الاول) بنفي الدراية عنه نلحظ انها ترد في سياقين نصيين تقترن فيهما باسمين من اسماء جهنم الاول ترد فيه في سياق سورة المدثر: (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ * لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ * لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ * عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) [الآيات ٢٦–٣٠] ، والثاني في سورة الهمزة في قوله تعالى: (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ * الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ * يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ * كَلا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ) [الآيات ١–٥] ، ولا تخرج دلالة بنية (وما ادراك ما) عن كونها تعظيم الامر الذي يليها وتهويله ، والسقر مأخوذ من سقرته الشمس إذ اذابته ولوحته واحرقت جلدة وجهه[٦٠] وهي هنا ((الدركة النارية التي تفعل في الادمغة من شدة حمومها ما يجل عن الوصف ، فأدخله اياها والوحه في الشدائد حرها وأذيب دماغه بها ، واسيل ذهنه وكل عصاراته بشديد حرها))[٦١] ، وإذا ما استحضرنا السياق الذي ورد فيه هذا التهديد والوعيد ، ومن ثم التجهيل والتعظيم لهذا النوع من النيران التي تقتضي التعذيب لوجدنا انها نزلت في الوليد بن المغيرة[٦٢]: (ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالاً محمدوداً، وبنين شهوداً ومهدت له تمهيداً ثم يطمح ان ازيد كلا انه كان لآياتنا عنيداً سأرهقه صعوداً انه فكر وقدر

فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر ثم نظر ثم عبس وبسر ثم ادبر واستكبر فقال ان هذا الا سحرٌ يؤثر ان هذا الا قول البشر سأصليه سقر)[٦٣]؛ فبعد كل ما انعم به اللَّه تعالى عليه من مال كثير وبنين حاضرين شهود ونعم يتبطر ويحتال[٦٤]، (ثم يطمع ان ازيد) تعجب من حاله بـ(ثم) ؛ فثم هنا ((ليست للنسق ولكنها تعجب)) [٦٥]، ونلحظ الحركة التي تصف فعله ، ((فقد فكر الكافر ودبر ماذا يقول في القرآن وقدر القول في نفسه، وإنما كان تفكيره ليحتال به للباطل ؛ لانه لو فكر على وجه طلب الرشاد لكان ممدوحاً))[٦٦]؛ فهو في كل هذه الحركة المتلاحقة كان يبحث عن مطعن يطعن به فضاقت عليه الحيل ولم يدر ما يقول [٦٧]، وهو ينظر ((متكلفاً مصطنعاً يوحي المنظر بالسخرية منه والاستهزاء ويقطب حاجبيه عابساً ويقبض ملامح وجهه باسراً، ليستجمع فكره في هيئة مضحكة وبعد هذا المخاض كله وهذا الخرق كله لا يفتح عليه بشيء انما يدبر عن النور ويستكبر عن الحق، فيقول ان هذا الا سحرٌ يؤثر))[٦٨] . ونلحظ تكرار الفعل (قدر) في ثلاثة مواضع في السياق نفسه ، والذي يدل على توكيد معناه، فهو التفكير في الامر بحسب التمني والشهوة وبناء الامر عليه وذلك مذموم[٦٩]؛ فهو هنا يؤكد استخدام العقل (فقال) وقد عطف بالفاء ؛ لان هذه المقالة لما خطرت بباله بعد اكتداد فكره لم يتمالك ان ينطق بها فكان نطقه بها حقيقياً بأن يعطف بحرف التعقيب . . فهو يئس من ان يجد ما فكر في اتحاله فأنصرف الى الاستكبار والآنفة من ان يشهد للقرآن الكريم بما فيه من كمال اللفظ والمعنى، ثم ادبر يسعى زيادة اعراض عن تصديق الرسول (ﷺ)[٧٠] و((وصفت اشكاله التي تشكل بها لما اجهد نفسه لاستنباط ما يصف به القرآن))[٧١] من هنا كان استحضاره لوظيفة النار التي يرتكز فعلها على الدماغ فتذيبه، اقتضى هذا المدلول مرجعية الوصف الذي اطلق على النار (سقر) ليكون جزاءً على تفكيره فهو الذي قدره وتخيله وصوره ، ((ولما ثبت له هذا العذاب عظمه وهوله بقوله: (ما ادراك)، أي ما أعلمك وإن اجتهدت في البحث))[٧٢] ، وقد يكون الخطاب موجهاً للرسول (ﷺ) وذلك لظروف النزول التي رافقت هذا النص فيكون انتقاماً منه واخذاً لحق الرسول (ﷺ) ودفاعاً عن الدعوة الاسلامية والقرآن الكريم ، ومن الرسول (ﷺ) الى جمهور محتمل مفتوح على الزمان والمكان؛ فباطن هذا البناء تهويل لحالها إذ ((ان علم هذا خارج عن طوق البشر لا يمكن ان يصل اليه أحد منهم الا بإعلام اللَّه تعالى له، لانه اعظم من ان يطلع عليه بشر. ولما اثبت هذه العظمة زادها عظماً ببيان فعلها دون شرح ماهيتها))[٧٣]؛ فان ((تلك النيران لا تذر من قوتها

وشدتها شيئاً الا وتستعمل تلك القوة والشدة في تعذيبهم))[٧٤]؛ فوظيفة النار هنا مرتبطة بالسياق ؛ لانها تركز على فعل الاذابة التي تحتاج الى وقت يتناسب والتراخي في المراحل التي مر بها (المتحدث عنه)، وهو يحاول البحث عن طريقة للطعن في القرآن الكريم والرسول (ﷺ) ويعبر عن تمرده وأساءته حيث انه كان بين الافعال تراخ وتباعد[٧٥] .وقد جاءت دلالة التهويل والتعظيم في المجال الدلالي نفسه الخاص بأوصاف جهنم في قوله تعالى: (كَلا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ)، وقد لوحظ فيها ايضاً التقابل بين الجرم وطريقة الجزاء وجو العقاب ، فصورة الهمزة اللمزة الذي يدأب على الهزء بالناس وعلى لمزهم في انفسهم وأعراضهم ، وهو يجمع المال فيظنه كفيلاً بالخلود صورة هذا المتعالي السافر المستقوي بالمال تقابلها صورة (المنبوذ) المهمل المتردي في (الحطمة) التي تحطم كل ما يلقى اليها فتحطم كيانه وكبرياءه))[٧٦]؛ لان الحطمة مأخوذة من الحطم وهو الكسر وحطمته أي كسرته[٧٧]، ونلحظ ان السياق يتصعد في بيان هذا النوع من النار وتوضيح اثرها ليتعاضد مع فعل الهامز اللامز ؛ فيقيم النص تعادلاً موضوعياً بين أفعاله هو وفعل هذه النار المخصوصة فيه. وقد اسند الفعل (تطلع) الذي جاء على وزن (تفتعل) ليدل على المبالغة في الفعل للنار والذي يدل على الاشراف[٧٨] هذا الاسناد يفيد ((ان النار تحرق الأفئدة إحراق العالم بما تحتوي عليه الافئدة من الكفر؛ فتصيب كل فؤاد بما هو كفاؤه من شدة الحرق على حسب مبلغ سوء اعتقاده، وذلك بتقدير من اللَّه تعالى بين شدة النار وقابلية المتأثر بها لا يعلمه لا مقدره))[٧٩] وقد ((عدل عن الاحراق الى التحطيم لان ايلام النار المحطمه اقوى ولا يحيط به تصور، كما عدل عن الرؤية الى الظمأ لعمق الصلة بالجسم))[٨٠]؛ فيكون في تنويع اوصاف هذه النار وتعدد تأثيراتها ووظائفها ومن ثم تهويل امرها وتفخيمه بـ(ما ادراك) ليكون حال عذاب جهنم اشد مما يبلغة تصور العقول المعتاد .وفي اطار التعامل مع بنية (ما ادراك ما) التي تعد وحدة لغوية كاملة تحافظ على وجودها في الحديث عن موضعين او كتابين جمعت بينهما علاقة التضاد على صعيد واحد، وذلك في قوله تعالى: (كَلا إِنَّ كِتَابَ الفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ) [الآيات ٧-٩ / المطففين] ، وقوله: (كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ) [الآيات ١٨-٢١ / المطففين] ان طبيعة المنهج الالهي تكره الظلم والانحراف الاخلاقي في التعامل ، فقد تصدت هذه السورة لمسألة التطفيف في الكيل والميزان، والمعاملات بصورة عامة فقد كره هذه الحالة

من الظلم والانحراف الاخلاقي في التعامل وارسل هذه الصيحة المدوية بالحرب والويل على المطففين وهم اصحاب السلطان المهيمن لا على ارواح الناس ومشاعرهم عن طريق العقيدة الوثنية فحسب، بل كذلك على اقتصادياتهم وشؤون معاشهم[٨١]، وفي هذه الاجواء يرد تركيب (ما ادراك ما) ليستوعب البعد الحقيقي لمنهاج التعامل فحضوره في التركيبين جاء ليمد النص بدلالته المركزية (التهويل والتعظيم)؛ فنجد النص يوضح مكانة هؤلاء المتجاوزين الحد في المعصية بدلالة وصفهم بـ(الفجار)؛ لانهم بفعلهم هذا ينكرون وجود البعث والحساب فضلاً عن جرمهم السابق، فيشخص لنا فريقين الاول: الفجار فهم في غاية الخسارة ، وذلك يقتضيه قوله: (ان كتاب الفجار لفي سجين)؛ ((فهو وصف من السجن لقب به الكتاب لانه سبب الحبس))[٨٢]، ذلك ان دلالة (في) على الاحاطة والظرف بينت ان كتاب اعمال الفجار مودعة في مكان اسمه ((سجين او ان وصفه (سجين) يؤذن بتحقيره: أي تحقير ما احتوى عليه من اعمالهم المكتوبة فيه))[٨٣]، أو أن يكون مجازاً عن جعل الاعمال المحصاة فيه في سجين، وذلك كناية رمزية عن كون الفجار في سجين[٨٤]، ولما كان السياق يعتمد على بنية (ما ادراك) الدالة على كون الامر اكبر من الادراك، واضخم من ان يحاط به؛ فإنه يرشح كون هذا الوصف يحمل أثراً معنوياً يشير الى ان اللَّه تعالى يرد اعمالهم التي ظنوا انها تنفعهم الى ادنى المنازل، فدلالة الحبس تلبس عليهم دليلاً يبين خساسة منزلتهم ويحمل الاعراض عنهم والابعاد لهم محل الزجر والهوان ، فـ(سجين) موضع في السافلين يدفن فيه كتاب هؤلاء ، فلا يظهر بل يكون في ذلك الموضع كالمسجون. وهذا دليل على خبث اعمالهم وتحقير اللَّه تعالى اياها[٨٥]، بل ان هذه المنزلة المنحطة اكبر من ان يدركها أي بشر فهو تعظيم وتخويف؛ لان سفولهم ابعد من ان يحده تصور البشر لها وادراكه لكنهها وفي تحديد الموضع تأكيد لمسألة لم يحسبوا حسابها ، وهي ان تكون أعمالهم قد أحصيت في كتاب صغيرها وكبيرها ، بل كتاب له علامة ((كتاب معلم يعلم من رآه ان لا خير فيه))[٨٦] ومعنى ((هذه الحقيقة انهم في غاية الخسارة لانه يقال لكل دون انحط ، صار تراباً ولصق بالارض ثم زاد في هوله بالاخبار انه اهل لأن يسأل عنه ويضرب الى العالم به ... (ما ادراك ما سجين): أي جعلك دارياً وإن اجتهدت في ذلك ما سجين: أي انه بحيث لا تحتمل وصفه العقول وهو مع ذلك اسفل السافلين ،ويشهده المبعدون. ولما اتم ما اراد من وصفه اعرض عن بيانه إشارة إلى انه من العظمة بحيث انه يكل عنه الوصف))[٨٧]، ويقابل هذا الوصف لمنزلة الفجار وصف آخر لمنزلة الابرار (كلا

ان كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ما عليون كتاب مرقوم يشهده المقربون . .) ، فلما كان المقصود من وضع كتاب الفجار في اسفل السافلين وفي اضيق المواضع إذلال وتحقير شأنهم ، كان المقصود من ((وضع كتاب الابرار في اعلى عليين، وشهادة الملائكة لهم بذلك إجلالاً وتعظيماً لشأنهم))[٨٨]، فهو علو اعتباري: أي رفعه في مراتب الشرف والفضل، فـ(كلا) التي فصلت بين المكانتين تدل على ان ((ليس الامر كما يقولون ولا كما ظنوا بل كتابهم في سجين، وكتاب المؤمنين في عليين))[٨٩]. قال الفراء عليون هو شي فوق شيء[٩٠] ((معناه علو في علو مضاعف كأنه لا غاية له)) ، ويمكن ان نوضح هذاالتعامل في الخطاطة الاتية :نلحظ كيف تتغاير بنية (ما ادراك) حسب توظيفها[٩١]؛ فهي حين تأتي في سياق الحديث عن الابرار تصبح تعظيماً للأمر وتفخيماً له بقصد الترغيب فيه ؛ فالمكانة العاليةوالشرف والرفعة التي تصيبهم ترتقي لان تقصر عن ادراكها الاذهان، في حين ان الحديث عن الفجار خرج تعظيم الامر وتفخيمه الى التهويل والتخويف ؛ فالانحطاط والسفول والتحقير يبلغ بهم مبلغاً تقصر عن تحديد ابعاده الاذهان.وتؤكد البنى النصية (ما ادراك) على حضورها في مجال دلالي اخر يختص بأوصاف اطلقت على يوم القيامة. ونلحظ من خلال الاستقراء ان كل اسم اطلق عليها فيه وصف لجانب من جوانب اثارها ، ويحدد ابعاد تصويرها لتقريبها للأذهان ؛ فقد وردت في سورة المرسلات في قوله تعالى: (لايّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ * لِيَوْمِ الْفَصْلِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ * وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ) [الآيات ١٢-١٥] ، وفي سورة الانفطار في قوله تعالى: (وَمَا أَدْرَاكَ ما يَوْمُ الدِّينِ * ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ * يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ) [الآيات ١٧-١٩]. فالحديث في سورة المرسلات عن الموعد المضروب للرسل ؛ لعرض حصيلة الرسالة في البشرية، وقد ذكر السؤال عن أي يوم اجلت لبيان الوجه في التأجيل ((للموعود في يوم الفصل تحديداً لامر الجزاء على جميع العباد فيه بوقوع اليأس من الرد الى دار التكليف؛ لان في تصوير هذا ما يتأكد به الدعاء الى الطاعة والانزجار عن المعصية))[٩١] ؛ لان دلالة الفصل تمتد لتشمل جميع القضايا المعلقة في الحياة الارضية ((لانه تمييز الحق من الباطل بالقضاء والجزاء، إذ بذلك يزول الالتباس والاشتباه والتمويه الذي كان لأهل الضلالة في الدنيا ؛ فتتضح الحقائق على ما هي عليه في الواقع))[٩٢]. ونلحظ ان في ادخال الدلالة المركزية لبنية السؤال التجهيلي (ما أدراك ما) من تعظيم ذلك اليوم وتهويله بوصفه (الفاصل) ((بين حال المهتدي والضال بما يعلمه الله تعالى لأحدهما من حال الثواب والاجلال والاكرام

وللاخر من حال العقاب بالاستخفاف والهوان بما لا يخفى على انسان))[٩٣]؛ فتكون الدلالة على (أي شيء جعلك دارياً ما هو لان محط الفائدة بيان كون يوم الفصل امراً بديعاً لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه [٩٤]؛ لانه لا مثل له يقاس عليه ،وتعاضدت هذه الدلالة بالسياق اللاحق الذي حمل وعيداً وتهديداً للمكذبين بذلك اليوم الذي لا يصل اليه ادراك البشر ؛ ففي (ويل يومئذ) بيان ان في يوم الفصل ستعرض الامور صغيرها وكبيرها للفصل فيها فقد ركز هنا على ابراز الفصل فيه وتعظيمه بكل الجوانب. اما في سياق سورة الانفطار فيرد الخطاب الموجه لمن ينتمي الى عالم البشر فلا يدرك البعد الحقيقي للبعث او يفهمه ، ولعظمة اليوم الذي حدده الله تعالى للقاء الناس بعد بعثهم، ترد صيغة التعظيم والتهويل لبيان قصور الاذهان عن ادراك كنهه ؛ فيصفه بيوم الدين ((وسمي الاسلام ديناً؛ لانه يستحق به الجزاء لان اصل الدين الجزاء))[٩٥]، ونلحظ ان جو السورة العام فيه عتاب لهذا الانسان الذي ((يتلقى من ربه فيوض النعمة في ذاته وخلقته ولكنه لا يصرف للنعمة حقها ولا يعرف لربه قدره ولا يشكر على الفضل والنعمة والكرامة))[٩٦]، (يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك)[٩٧]، فوجهة الخطاب ان تكون للكافر على وجه الزجر له [٩٨]؛ فهو ينكر حق الله تعالى عليه، وهذا مدعاة لتكرار تعظيم هذا الامر وتوكيده بأنه محقق بدلالة (ما ادراك) الذي فيه تعظيم ليوم الجزاء بلفظ الاستفهام، والغرض منه التنبيه على عظم حاله وما يستحق به من ثواب وعقاب ليعمل العباد بما يوصلهم الى الثواب والجنة والنجاة ، وعظم يوم الدين لشدة الحاجة الى نعيم الجنة والنجاة من النار ومن جملة العصاة[٩٩] . وقد تكررت في هذا السياق دلالة التعظيم والتهويل بـ(ما أدراك) مرتين للامر نفسه وعطف عليه بـ(ثم) (وما ادراك ما يوم الدين ثم ما ادراك ما يوم الدين)؛ ((فالعطف بثم جاء للدلالة على علو مرتبة المعطوف على المعطوف عليه على سبيل التوكيد، وذلك ان يكرر الاول بلفظه فيتفق المعطوف والمعطوف عليه في اللفظ))[١٠٠] ، فقد هول امره اعلاماً بانه اهل لان يصرف العمر الى الاعتناء بأمره والسؤال عن حقيقة حاله سؤال ايمان وإذعان لا سؤال كفران وطغيان ، ليكون اقعد في الوعيد به فقال: (وما أدراك): ((أي أعلمك وان اجتهدت في طلب الدراية به (ما يوم الدين) أي: أي شيء هو في طوله واهواله وفظاعته وزلزاله. ولما كانت اهواله زائدة على الحد ، كرر ذلك السؤال لذلك الحال ؛ فقال: معبراً بأداة التراخي زيادة في التهويل))[١٠١]. وفي اطار ملاحقة هذه البنى الاستفهامية نلحظ انها تأتي وعلى الصعيد

نفسه لترافق اسمين اخذا نصيباً من الدلالة على يوم القيامة الا ان هذا الوصف يلتصق بسياق وروده التصاقاً وثيقاً ويمتد بما يبعثه من سياقه التداولي المعجمي بأواصر تتضح معالمها من خلال التأويل ، ففي قوله تعالى: (الْقَارِعَةُ * مَا الْقَارِعَةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ * يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ * وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ) [الآيات ١–٥ / القارعة]. واصل القرع ((الضرب بشدة وقوة ، وتقول العرب: قرعتهم القارعة وفقرتهم الفاقرة ، إذا وقع بهم امر عظيم))[١٠٢]، وأفاد اللفظ المكرر بوصفه كناية عن يوم القيامة دلالة العموم والشمول والشدة والقهر في اثبات معناها لانها من الاسماء التي ختمت بتاء التأنيث ؛ فانتقلت من الوصفية الى الاسمية ، والكناية بلفظ (القارعة) ليست وصفاً لكل ما يقرع، وانما هو اسم لهذا اليوم المخصص [١٠٣]. وتدخل البنى الاستفهامية التي تفيد التفخيم والتهويل والتجهيل على هذا الوصف بقوله تعالى: (وما أدراك ما القارعة) ، ومعناه: ((أي شيء القارعة ومعناه انك يا محمد (ﷺ) لا تعلم كبر وصفها وحقيقة امرها على التفصيل ، وانما تعلمها عن طريق الجملة . . .))[١٠٤] ثم يسكت السياق عن بيانها الى وصفها بانها تقرع القلوب يوم تكون اوصافاً للناس (كالفراش المبثوث) واوصاف الجبال (كالعهن المنفوش) ؛ فنلحظ التركيز على فعل هذا اليوم في تناول إثارة الناس والجبال وهي ((تقرع القلوب والاسماع بفنون الاهوال والافزاع))[١٠٥] ؛ فهي اذن بهذا الوصف نوع من انواع العذاب، يؤطر هذا الفهم لها ورودها في سياق سورة الحاقة حيث ان السؤال التجهيلي (وما ادراك) يأتي ليحتوي وصفاً اخر من اوصاف يوم القيامة في قوله تعالى: (الْحَاقَّةُ * مَا الْحَاقَّةُ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ * كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ * فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ * وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ) [الآيات ١–٦] ، فكان السياق الذي سبق مخصص لسورة القارعة جاء ليحاكي وروده السابق في سورة الحاقة ، والتي تبدو من سياق ورودها اكثر عموماً من القارعة ؛ لان المساحة البيانية التي أتى السياق اللاحق على ذكرها جعلت فعلها يمتد في اتجاهين الاول: دنيوي والاخر: اخروي ، ذلك انه ذكر فيها اصنافاً واقواماً من الناس وانواع عذابهم في نفسه ، وقد جاء على ذكر (ثمود وعاد) الذين خصهم بالتكذيب بالقارعة، ولعلنا نجد لهذا صلة بكون أثار القارعة انها تقرع الكون بالتحطيم والدمار (وثمود وعاد) كما ورد عنهم في سياقات اخرى عرف عنهم تمسكهم بالارض واشتهارهم بعلو البنيان وطموحهم العالي في الخلود ؛ فكان بناؤهم تعبيراً فعلياً عن رفضهم فكرة الموت والاندثار، وان سلوكهم هذا استدعى ان تكون هنالك

قوة تحمي رموز خلودهم بأن يقع بهم ((صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم وأولادهم وأموالهم)) [١٠٦]؛ فاستدعى منحاهم ذلك وظيفة القارعة في ذلك اليوم الذي هو اوسع واعمق من ان يصل الى ادراكه بكل تفاصيله أي ذهن بشري ؛ فالقارعة ((تقرع الناس بالافزاع والاهوال والسماء بالانشقاق والانفطار، والارض والجبال بالدك والنسف، والنجوم بالطمس والانكدار. ووضعت موضع الضمير لتدل على معنى القرع في الحاقة زيادة في وصف شدتها))[١٠٧] تقرع لامتداد المساحة الدلالية التي احتلتها في الحديث عن الاستدلال عليها بوقوع العذاب الذي كان في صنف الافعال في الدنيا، ومن ثم جاء وصف الحاقة في الاخرة ؛ فالقارعة والحاقة من الكنايات عن يوم القيامة. ونلحظ ان وظيفة الوصف هنا جاءت لتضفي على ذهن القارئ أبعاداً جديدة تصور هول هذا اليوم وتعطي وصفاً جديداً لأثره.

-الحقل الدنيوي:

تمارس البنى الاستفهامية المتوجهة الى الرسول (ﷺ) فاعليتها في حقل دلالي اخر استناداً الى مستوى الحضور الذي حققه بيان ماهية هذا الامر، ومن ثم فان هذا الحقل تمتد فاعليته لتكون ثنائية التأثير، ذلك ان الامر يؤسس من خلال دلالات الخطاب العام تفاعلاً بين امور تنتمي الى العالم المحسوس بالنسبة لبيانها ، لكنها تتعالى على هذه الحسية لتصبح دالاً مؤثراً في الحقل الدلالي الاخر الخاص بالاخرة ؛ ففي قوله تعالى في سورة البلد: (فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ) [الآيات ١٢-١٧]. فالعقبة التي يؤكد النص تعظيم شأنها تعني في دلالتها المعجمية ((الطريق الوعر في الجبل))[١٠٨]. ولما كان السياق السابق قد بعث طابعاً إشارياً بعيداً عن المعجم للعلاقة التي اقامها بين الاقتحام والعقبة ، وهو ما اتاح لها ان تتواكب مع دلالات على مستوى آخر دلالته المركزية (اجتياز صعوبة ما) ((والاقتحام أنسب الالفاظ للعقبة لما بينهما من تلاؤم في الشدة والمجاهدة واحتمال الصعب ؛ فالانسان الذي خلق في كبد أهل لان يقتحم اشد المصاعب لما تهيأ له من وسائل الادراك والتمييز وما فطر عليه من قدرة على النضال والاحتمال))[١٠٩]. فالمجال الدلالي الذي اتسعت لتحتويه لفظة العقبة اقام اواصر مع الحقل الدلالي الخاص بالاخرة فأصبحت عظم الذنوب وثقلها وشدتها اشبهبالعقبة))[١١٠]؛ لانها تقف حاجزاً بينه وبين الجنة لو تخطاها لوصل؛ ((فهي الحائل بينه وبين هذا المكسب الضخم))[١١١]، فيكون دخول الاستفهام بـ(ما ادراك) تعظيماً لشأنها عند الله

تعالى ((ليحفز به الانسان الى اقتحامها وتخطيها ؛ مهما تطلب من جهد ومن كبد وحين يبذل لاقتحام العقبة يؤتى ثمره ويعوض المقتحم عما يكابده ولا يذهب ضياعاً))[١١٢]، ثم يأتي بيانها بما يقيمه السياق فيما يعادل العقبة فهي: (فك رقبه او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيماً ذا مقربة)، وهذا البيان يحمل دلالتين الاولى: مرتبطة بظروف القول ((ومتعلقة بأوضاع المجتمع التي سمحت لانسان غرته قوته ؛ فاستعبد مخلوقين مثله وملك رقابهم باغلال الاسترقاق المهين))[١١٣]، ويمكن لهذه الاستهلالة بتلمس بعد عظم شأن هذه العقبة؛ (فك رقبة) والثاني: يتعالق مع عالم الحرية بكل تجلياته ((بأن يفك المرء رقبة نفسه بما يتكلفه من العبادة التي يصير بها الى الجنة؛ فهي الحرية الكبرى ويتخلص بها من النار))[١١٤]، وذلك ان الصورة التي تمثل بها وهي قيد رقبة فيه اشعار بأنه قيد مهين لانسانيته حتى تنزل به الى منزلة البهائم والدواب ، ولعلنا نرى فيها مقصدية عالية نابعة من كون ((أي اصلاح او خير لابد من ان يسبقه رد الكرامة الانسانية))[١١٥]، ثم يتدرج في بيان ماهية العقبة التي يراد اجتيازها ((اطعام المسكين ذي المتربة أي: اللاصق بالتراب من بؤسه وشدة حاله في يوم المسغبة يقدمه السياق القرآني حظوة في سبيل اقتحام العقبة، لانه محك للمشاعر الايمانية من رحمة وعطف وتكافل وإيثار ومراقبة للّه تعالى في عياله، في يوم الشدة والمجاعة والحاجة))[١١٦]، ولما كانت هذه الخطوات التي يتجاوز بها الانسان العقبة جاء تأكيد لزوم الايمان؛ لانه شرط الانتفاع بهذه الصعاب التي تخطاها الانسان.لقد رافقت البنى الاستفهامية المتكررة بصيغة الماضي (أدراك) بوصفها صورة بنائية لنصوص عديدة دخلت ضمن خارطة (شكل المتلقي لتعطي دلالة التفخيم والتهويل والتعظيم بحسب السياقات التي وردت فيها، ومتابعة النظر في تتالي هذه البنى يحيلنا الى ورودها بصيغة المضارع (ما يدريك) أي: تحول صيغة الفعل فيها من الماضي وطاقته النصية الى المضارع وقدرته على الاستمرار والانفتاح الزماني والتجدد، وقد تعالقت دلالة هذه البنى بالامور الغيبية التي سكت النص عن بيانها، فقد وردت في ثلاثة سياقات اثنان منها تعلقا بموعد قيام الساعة والاخر تعلق بأمر نفسي يخص باطن الشخص وذاته؛ فقد ورد في قوله تعالى: (يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا) [الآية ٦٣ / سورة الاحزاب]. استهل النص بالفعل المضارع (يسئلك)؛ ليثبت دلالة التجدد والاستمرار والتواصل في حصول هذا السؤال عبر الزمان والمكان من الناس، ويبدو من اسناد حصول السؤال اليهم بلفظ الناس الدال على العموم والشمول، وكأن فيه إنكار

لصدور هذا السؤال منهم مطلقاً عن موعد قيام الساعة التي هي اعظم من ان يحدها موعد، أو ان يعرف موعدها أحد من جنس (الناس) بدلالة تأكيدبشريته (ﷺ) لانه صدر الجواب بفعل الامر (قل) الذي يعني توكيل الاجابة بالله تعالى وتأكيد ان ما يقوله وحي من اللَّه؛ ((فالساعة غيب قد اختص به اللَّه سبحانه ولم يشأ ان يطلع عليه احد من خلقه جميعاً بما فيهم الرسل والملائكة المقربون))[١١٧]، كما ان في طريقة حكاية سؤالهم دلالة على طلب استعجال وقوعها وهذا الاستعجال يحمل معنى ((الشك فيها والتكذيب بها او السخرية منها، بحسب النفوس السائلة وقربها من الايمان وبعدها))[١١٨]، وقد توجه الخطاب في النص الى الرسول (ﷺ) بدلالة السياق فقال: (ما يدريك)؛ ((فأشار الى شدة خفائها بإخفائها عن اكمل خلقه مرجياً تقريبها تهديداً لهم))[١١٩]، ويكون في نفي الدراية التي تستغرق زمن الفعل المضارع المستمر ترك الناس في توقع دائم لها وفي استعداد مستمر لفجأتها، ونلحظ في السياقات التي ترد فيها (وما يدريك) اقترانها بـ(لعل)، وقد اشار البقاعي الى اثر ورودها في تلك السياقات الى انه ((يشار بها الى حال المستعجل بها حال المترجي لشيء محبوب وهو جهل منه عظيم))[١٢٠]، ويبدو السياق محافظاً على تغيب فحوى المعرفة عن الأمر الذي هو وقت وقوعها إشارة الى عظيم قدر هذا اليوم بحيث استأثر اللَّه تعالى وحده بعلمه ونفى وجود حق أي ذات مهما كان قدرها ؛ فيكون في توجيه الخطاب للرسول (ﷺ) تجهيل لها ودعوة الى الايمان بوقوعها ؛ فتتأكد دلالة (ما) في دواخل السائلين عنها من الشك والتكذيب؛ لاننا نجد السياق يأخذ في الحديث عن مشهد طرد الكافرين من رحمة اللَّه تعالى وكيف ان ما ينتظرهم هو نار مستعرة ؛ فيكون ((إخباراً بحال السائلين عنها بقوله مؤكداً في مقابلة انكار الكفار ان يكون في حالهم شيء من نقص..[١٢١]))، وكأن (لعل) في السياق تقيم اواصر دلالية مع الفعل المضارع المفتوح على الزمان باستمراريته وتجدده لتدل على إمكانية وقوع الامر المجهول في أي لحظة كانت.

فالمقام الذي وردت فيه بصيغة المضارع (يدريك) ترافقه دلالة الترقب وإحتمالية الحصول على تجدده واستمراريته ؛ لان الامر قابل للوقوع في أي وقت ، الا ان السياقات التي وردت فيها بصيغة الماضي (أدراك) كان المقام مقام احجام امور دنيوية او اخروية يجهل المتلقي بعدها الحقيقي واثرها في حياته ، من هنا تنوعت اغراض ورودها بحسب السياقات.

ثالثاً: المجال التأويلي لمخاطب يحاوره النص:

أ–سياقات عامة:

لما كان الخطاب في النص القرآني يهدف الى الاقناع والتأثير في المقابل، وكان شكل المتلقي يشغل موقعاً وسطاً بين التأويل والبيان بوصفهما انعكاساً لعملية التواصل وأنموذجاً للتواصل يمثل تجميعاً لكل الامكانيات التي يمكن ان تتحقق ونحن نمر عبر النصوص؛ فإنه في لحظة ما قد يخاطبنا النص بوصفنا الجمهور المقصود، وفي لحظة اخرى قد نسمع محادثة بين الشخصيات ولابد من ان تترك هذه الحركة في توجيه الخطاب اثراً مغايراً .فيتخذ شكل المتلقي بعداً تأويلياً من خلال توجيه القول الى مخاطب معين فعلياً على سطح النص، لكنه ليس المراد بهذا القول؛ فيكون تفاعل الظاهر والباطن حاصلاً من الوجهة الحقيقية للكلام؛ لان المخاطب لا يتوارد عليه ما نسبه اليه النص الا انه يكون وسيطاً ليؤدي دوراً توصيلياً من خلال حضوره المستمر في النص. ففي قوله تعالى: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [الآية ٦٥ / سورة الزمر]. الخطاب في النص القرآني للرسول (ﷺ) يراد به اثبات حقيقة خالدة عبر الزمان والمكان من خلال الانفتاح الزمني الذي امتدت لتحتويه هذه القضية التي اثبتها الوحي للرسول (ﷺ) ولكل الرسل الذين سبقوه ؛ لانه قال: (والى الذين من قبلك) وقد جيء بالفعل (أوحي) مبني للمجهول؛ ذلك لوضوح المصدر، واختلاف وسائل الاتصال بالرسل والكتب التي ارسلت اليهم ، ولعظم الفاعل (الله) تعالى بحيث لا يحتاج الى ذكر من الذي أوحى ، فتغييب ذكر الفاعل مقصود منه تركيز الثقل الدلالي على القضية المحورية التي هي (فحوى الوحي)، وبالاشارة الى ما يدعو اليه الرسول (ﷺ)، ليتحد في مضمونه وما جاء به من سبقه ، بتوجيه الخطاب الى من لا يتوارد عليه الشرك وهو الرسول (ﷺ) فانبثق لدينا مستويان من التلقي:

المستوى الاول: خاص بالمتلقي الاول وهو ما أداه ظاهر النص الذي يتم حضوره (بكاف الخطاب) او (التاء) التي تعالقت مع الطرف الاول وفق تشكلها الدلالي في السياق.

والمستوى الثاني: وهو المراد من باطن النص خطابه وهو كل من تسول له نفسه الاشراك بالله تعالى، بوصفها طريقاً للوصول الى المتلقي الحقيقي المقصود ، ويبقى النص مفتوحاً على متلقين بتجدد الزمان والمكان.ومحور القضية الذي تشكل بأسلوب الشرط الذي يقتضي وجود معادلة بين طرفين فعل الشرط وجوابه (لئن اشركت ليحبطن عملك) فيها حقيقة تلتقي فيها الامم وتقبلها منهجاً عاماً يحقق حضوره بعداً شرعياً فبمجرد توافر أي بادرة إشراك ؛ فإنها تؤدي سريعاً الى إتلاف كل عمل صغير او كبير ((والاشراك بحد ذاته يعني بلوغ القمة في العصيان؛

فكل الذنوب مغفورة الا ذاك، ولام التوكيد التي دخلت على الفعل تعضد دلالة بطلان كل عمل وتؤدي الى اظهار معنى حسي بانحدار كل عمل الى احط المراتب بحيث لا يبقى له أية قيمة)) [١٢٢]، وتتجسد دلالة الانحطاط تلك بانفتاح الحقل الدلالي الخاص (بالبشر) الى حقل دلالي ادنى خاص (بالحيوان) استطاع ان يستوعب هذه الدلالة المحتوى الذي قدمته لفظة الحبط ((وهو من قولهم حبطت الدابة حبطاً إذا اصابت مرعى طيباً فافرطت في الأكل حتى تنتفخ فتموت)) [١٢٣]((فهو داء ترم له اجواف الابل فيكون سبب هلاكها وانقطاع اكالها))[١٢٤]؛ فتكون اللفظة قد جاءت لتحقق ما من شأنه ان يحط من قيمة المشرك ، فان المشرك يرتكس الى مرتبة ادنى مما كان عليه ؛ لان عمل الانسان قورن في هذا المقام بسلوك الحيوان، عندما كان مشركاً، ونلحظ كيف ان التركيب يجعل هذه المسألة مسلمة لا تحتاج الى تراخٍ، لذا اقترن فعل الشرط (الشرك) بالجواب (حبط) اقتراناً تلازمياً اصبح بموجبها الخسران سريع الوقوع، كما انه لم يسند الفعل (حبط) الى فاعل ظاهر، فلم يقل (يحبط الله عملك)، وكأن القضية لشدة توكيدها لم تحتج الى بيان الفاعل، والنون التي اتصلت بالفعل المضارع احالت الفعل ليبدو كأنه قسم محقق ؛ فحملت العبارة معنى الحسم والشدة والقوة في الاجراء المتخذ حيال الجرم الذي افترض النص وقوعه من لدن المخاطب وهو لا يتوارد عليه مثل ذلك الفعل؛ فيكون ((في هذا الانذار الشديد الموجه من اللَّه تعالى الى نبي الرحمة المؤيد منه بالكرامة والعصمة وعيد وتشديد على الامة على حد (اياك اعني واسمعي يا جارة) فإن الله تعالى يخاطب الناس كافة في شخص النبي (ﷺ) كما جرى عرف التخاطب مع الرؤوساء والزعماء))[١٢٥]، وقد جاء التعبير بالماضي، ليدل بلفظه على ان من وقع في الشرك فقد ضر ولتوسع مساحة التهديد وبعث النفرة في نفوس المتلقي. وقد يأتي المعنى المقصود من ايجاد اواصر بين النص والمتلقي الاول ففي قوله تعالى: (فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ) [الآية ٩٤ / سورة يونس]. تنبثق لدينا مستويات من الدلالة تتولد من وجهة الخطاب الذي اتخذ شكل المعادلة المتحققةباسلوب الشرط بالاداة (إن) التي افترضت بفعل الشرط (كنت في شك) المتوجه للرسول (ﷺ) الذي لا يتوارد عليه معنى الشك (انه شاك) والذي هو ((الوقوف بين نقيضين من غير تقوية احدهما على الآخر))[١٢٦]، في حقيقة ما انزل اليك اهو الحق ام لا ؟، وتتصدر الفاء الدالة على التعقيب هنا الطرف الثاني من المعادلة لبيان الجواب (فأسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) ؛

فيكون في باطن النص مستوى آخر للمتلقي الذي يراد خطابه ، وهم أهل الكتاب ومن يسير على هديهم ؛ فتوجيهه لسؤالهم دلالة على انه لا يستطيع القراءة. كما أن فيه إثباتاً للوحي وتكذيباً للذين يقرؤون الكتاب ولا يقرون بالرسول (ﷺ) وبما جاء به بأنه الحق كما ان فيه إشارة الى ان الذين يقرؤون الكتب الخاصة بالانبياء (عليهم السلام) والذين يدعون اتباعهم لهم يعلمون بما جاء به محمد (ﷺ) وان ما انزل عليه فيه ما يؤيده ما هو موجود في كتبهم الا انهم ينكرون هذه الحقيقة من هنا صلحت مسألتهم ؛ فوصفهم بالاسم الموصول وصلته الفعل المضارع (الذين يقرؤون) فيه توبيخ لهم بوصفهم مستمرين على فعل القراءة مـنغير ان تجدي قراءتهم نفعاً ، وقد خاطبهم بهذه الطريقة بان وجه الخطاب لمن لا يتصور منه الشك ((ولذا عبر بـ(أن) التي تستعمل غالباً فيما لا تحقق له حتى تستعمل في المستحيل عقلاً. .))[١٢٧] ؛ فيكون بذلك استقرار حاصل المحاورة في نفوسهم امكن مما لو القي اليهم مواجهةً[١٢٨]، ثم يأتي الجواب بالحقيقة الحاسمة بأدوات التوكيد (لقد جاءك الحق من ربك)، فـ(لام) القسم و(قد) جاءتا لدفع إنكار المنكرين فما انزل عليه الحق وما عندهم يؤيده؛ فافتراض وقوع الشك ممن لا يقع منه الشك، أرشدت الى ما يقطع دابر هذا الشك ليكون الايمان عن حجة وبرهان لا خضوعاً لقهر واستسلاماً لتقليد، وبذلك يخلع الانسان نفسه من طائفة الشاكين المكذبين بعد ان ثبت لديهم الحق الذي تقدم الاخبار عنه من أمر القبلة، وعناد من كتم النبوة واقناعهم عن الاجتماع على ما قامت به الحجة. فالخطاب وان كان موجهاً الى النبي (ﷺ) المراد به امته [١٢٩]؛ فالخطاب فيه حياد عن المخاطب المقصود الى مخاطب آخر بقصد التأثير في المخاطب المقصود. فظاهر النص خطاب للرسول (ﷺ) وباطنه تهديد لكن من يقع منه شك في الوحي، وان كان الخطاب في ظاهره محصور في مخاطب واحد الا انه مفتوح في باطنه على كل من يستمع القول. وفي قوله تعالى: (وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ) [الآية ٤٥ / سورة الزخرف]. فهذا القول يحتمل التأويل من جانبين الاول: وجهة الخطاب لمن يعرف الحقيقة التي يراد تأكيدها، وهي (التوحيد) وهو الرسول (ﷺ). والثاني: لكون الجهة التي يراد سؤالها(جماعة الرسل) المرسلين قبله ، وقد يتعلق هذا السؤال بقرينة خارج النص تنطلق من ان سبب هذا الامر ((ان اليهود المشركين قالوا للنبي (ﷺ) ان ماجئت به مخالف لمن كان قبلك ؛ فأمره الله تعالى بسؤاله الانبياء على جهة التوقيف والتقرير ؛ لا لانه كان في شك منه))[١٣٠] ؛ فمن خلال مخاطبة الرسول (ﷺ) اريد ايصال معلومة خالدة للأمة كلها

تقتضي نفي الاشراك بالله تعالى ؛ فالامر بالسؤال هنا ((تمثيل لشهرة الخبر وتحققه))[١٣١] ، إذا لم يكن الرسول (ﷺ) في شك حتى يسأل. فالمراد من باطن اللفظ مخاطبة جمهور السامعين اقتضاه عدم استيعاب فكرة وحدة الاله ؛ فقد جاء في القرآن الكريم حكاية عنهم (اجعل الالهة الهاً واحداً ان هذا لشيء عجاب)[١٣٢] ونلحظ استخدام اسم (الرحمن) في هذا السياق من دون (الله) تعالى ، وقد قال الزمخشري عن خصوصية استخدام هذا الاسم بانه ((اسم مذكور في الكتب المتقدمة ولم يكونوا يعرفونه فقيل: فسل بهذا الاسم من يخبرك من أهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ..))[١٣٣] ، وكأن في الامر بسؤال الرسول (ﷺ) ((إشارة الى ان ابعاد الزمان والمكان والموت والحياة تتلاشى امام الحقيقة الثابتة المطردة وحدة الرسالة المرتكزة كلها على التوحيد وهي كفيلة بأن تبرز وتثبت حيث يتلاشى الزمان والمكان والموت والحياة وسائر الظواهر المتغيرة ويتلاقى عليها الاحياء والاموات على مدار الزمان متفاهمين متعارفين))[١٣٤]؛ فهذه الحقيقة التي تدعو اليها تؤكد انتماءك الى الرسل وتؤكد واحدية الدعوة وكذب ادعاءات اهل الكتاب بمضمون الدعوة التي التقت عندها كل الرسالات ((فإذا كان هذا لامر متفقاً عليه بين كل الانبياء والرسل وجب ان لا يجعلوه سبباً لبغض محمد (ﷺ)[١٣٥]؛ فيكون في هذا القول مخاطبة لعقول المشركين ودعوة لان يتدبروا بفهمهم حقيقة الدعوة.ويأخذ البعد التأويلي في نوع المخاطب شكلاً آخر؛ فيتحقق باستخدام تقنية (الحوار الداخلي) ، فينتقل الخطاب الى المستوى الداخلي؛ ذلك انه ((لا يجري بين اثنين حيث توظفه الشخصية للتعبير عما تحس به وعما تريد قوله إزاء موقف معين ، ويتميز ذلك الحوار بأنه صامت، فهو غير طليق وتلقائي بالنسبة للقارئ))[١٣٦]، فضلاً عن كونه حواراً يستغني عن الجواب، لان الشخصية تقيمه مع ذاتها؛ ففي قوله تعالى حكاية عن الرجل الصالح في سورة ياسين (وَجَاء مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ * وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [الآيات ٢٠-٢٢]. فالاستفهام الذي أقامته الشخصية داخل الحدث مع نفسها بالاستفهام الانكاري (مالي) أي: أي شيء وجد لكي يمنعني من ان اعبد الذي اوجدني ((فابتداه بإسناد الخبر إلى نفسه لابرازه في معرض المناصحة لنفسه وهو مريد مناصحتهم ليتلطف بهم ويداريهم فيسمعهم الحق على وجه لا يثير غضبهم ويكون اعون على قبولهم اياه حين يرون انه لا يريد لهم الا ما يريد لنفسه))[١٣٧]، ويتضح انه لجأ إلى هذا الاسلوب من خلال السياق، الذي أوضح انهم

كذبوا رسولين معاً ، ثم كذبوا الثالث فلمعرفته المسبقة بتعنت اهل القرية، انكر على نفسه عدم عبادته من يستحق العبادة؛ لأنه اوجده وابدعه على هيئته الى عبادة ما لا ينفع ، ونلحظ الانتقال في الضمائر، حيث انه اوقع فعل الفطر على نفسه؛ لان فيه دلالة على ما ركز فيه من معرفة الايمان، فهو محافظ على الهيئة التي رشحها اللَّه تعالى لفعل من الافعال وهي معرفة الله تعالى [١٣٨] ، في حين اوقع فعل الرجوع على ضميرالجمع، وبحذف الفاعل واسناد الفعل للمفعول مبالغة في التهديد فبدا وكأنه يخاطب نفسه، وهو يخاطبهم هم او يخاطب كل نفس في هذا الشكل. وقد يتوجه الخطاب الى شخص والمراد من خطابه بعث معانٍ جديدة متولدة من بنى الخطاب وظروف القول، فعندما تتوافر في شكل الخطاب ونوع المخاطب عناصرلا يمكن ان يراد ظاهرها تتولد في النص دلالات تنبعث من ورائها لتحقق أثراً يقصده النص بل ويعمد الى إبرازه .

الخاتمة:

لقد حقق المتلقي حضورا فاعلا في مجال التأويل البياني، لأنه اتخذ أشكالا في وجوده داخل السياقات القرآنية، رفدت النص بدلالات جديدة ومعانٍ مضافة وفق محاور متفاوتة المستويات، منها القريب ومنها البعيد والأبعد، فقد حقق بناء فعل الامر (قل) وفق استراتيجية خاصة داخل السياق القرآني معنى مضافاً يؤكد حضور الذات الالهية وحضور الرسول (ﷺ) لأنه لا يؤمر الغائب في تلك المواطن ويؤكد مصدر الرسالة وصدق الرسول (ﷺ) فيما يبلغه عن ربه كما يؤشر وجودها اهتماما خاصا في تلك المواطن يحددها دور السياق، وقد اتخذ وجودها شكل جواب عن سؤال صريح توجه إلى الرسول(ﷺ)، أو ان تشير الى أصوات (تقولات) خارج النص يأتي الرد عليها داخل النص (أقوال الكفار واعتراضاتهم وطريقة تفكيرهم) ، وقد كان لهذا الفعل بثقله الدلالي دورا فاعلا في هدم معتقدات المخاطبين، فضلا عن وجودها داخل السياقات القصصية خصوصاً في مواطن العبرة والعظة.ووجدنا للبناء التركيبي (ما ادراك) و(ما يدريك) داخل النص إشارات معينة في مواضع توطرها وتخاطب بها عقول المتلقين وقد رصد البحث حركة التركيب (ما ادراك) الذي يعقبه بيان خاص بالامر المعني به، في حين يسكت النص عن بيان ما يعقب (ما يدريك) ؛ ففيها تجهيل ، ويتعاون التركيبان لبيان عظمة القدرة الالهية وضآلة العقل البشري وقصوره أمامها ؛ فتبقى الابعاد الحقيقية للمواضيع التي اطرها كلا التركيبين اكبر من الادراك ، ويكون فيها تأكيد ضمني لمسالة التوحيد ، وان يد

القدرة الواحدة هي التي أوجدت هذا العظم ، وهذه العظمة تقتضي قدرة عظيمة على ايجادها تتناسب عكسيا وضالة العقل البشري أمامها وقد كان موضوع (ما ادراك) في اتجاهين دنيوي وأخروي وكلاهما يؤكد بعد (ما ادراك) في توسيع افق المتلقي لاستيعاب الامور التي تؤثر تأثيراً مباشر أو غير مباشر في عالم المخاطبين في حين ارتبط موضوع (ما يدريك) بأمور معنوية.وقد اجرى النص تحاورا مع المتلقي داخل النص اتخذ له شكلين، الاول: كان في سياقات عامة واكثرها كان في مقام المحاججة يوم القيامة لشخص بعينه او لمجموعة أو أن ينتقل الحوار إلى الداخل؛ فيكون حوارا داخليا؛ فتقوم شخصية نموذجية بمحاورة نفسها مشخصة خطأ ما لابد من معالجته بذلك الاجراء، أو بان يتوجه الخطاب الى المتلقي الاول الفعلي الرسول بامر لا يمكن ان يتوارد عليه؛ فيكون القصد من ورائه اسماع الامة والتاثير فيها واكثر ما كانت تقدمه تلك الطريقة يركز في قضية التوحيد، والثاني: كان يجب ان يجري في السياقات القصصية، فلا نلبث داخل الحدث القصصي ان نجد اشكالاً من الانفتاحات في زمن الخطاب تحققت بعدة أدوات منها تركيب (ما كنت لديهم) او احد مشتقات فعل الرؤية او الاستفهام في (هل اتاك)، ولعل فعل الرؤية والنظر الذي وجد داخل الحدث القصصي جاء ليعبر عن مستوى عالٍ من مستويات المتلقين ، لان هذا المخاطب ينظر بعين النص فهو يرى ما يراد منه رؤيته ويعتبر بما يراه سواء أكان فرداً أم جماعة.

الهوامش:

(١) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، المسمى (تفسير التحرير والتنوير)، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، دار الجماهير للنشر والتوزيع ، ١٩٧٢م. : ١/ ١٨

(٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين بن عبدالله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، خرج حديثه وقدم له وعلق عليه: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م:٢/٢١٧

(٣) المستصفى من علم الاصول ، ابو حامد محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ، المطبعة الاميرية ، بولاق ، مصر ، ط١ ، ١٣٢٢هـ. :١/١٤٨

(٤)التفكير اللنساني في الحضارة العربية ، الدكتور عبدالسلام المسدي ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ١٩٨١م. ص/١٢٤

(٥) المستصفى: ١/١٤٨ .

(٦)الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الاسلوبية ، عبدالله صولة ، منشورات كلية

الاداب ، جامعة منوبة ، تونس ، ط١ ، ٢٠٠١م: ٤٤/١-٤٥.

(٧)مفهوم النص ، دراسة في علوم القرآن ، د. نصر حامد ابو زيد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٤ ، ١٩٩٨م. . ص/٤٥

(٨)لسان العرب ، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت ٧١١هـ) ، دار صادر للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م. الجزء: ٣٧٩/١٥-٣٨٠

(٩)مفهوم النص ، دراسة في علوم القرآن ، د. نصر حامد ابو زيد ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط٤ ، ١٩٩٨م. ص/٥٥

(١٠)استقبال النص عند العرب ، محمد المبارك ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر –بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م. ص/٣٣

(١١) البرهان في علوم القرآن . الجزء: ٢٥١/٢-٢٥٢

(١٢) فقد تناولت نصوص قرآنية كثيرة مواطن اعتراض الكفار ، منها بشرية لرسول وذلك في قوله تعالى: (ما نراك الا بشر مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا) من الآية (٢) من سورة هود ، او على قضية التوحيد: (وعجبوا ان جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحرٌ كذاب اجعل الالهة الهاً واحداً ان هذا لشي عجاب ... أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب) الآيات (٤-٨) من سورة (ص) او على قيام الساعة: (ان الساعة اتية اكاد اخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها واتبع هواه فتردى) الآيتان (١٥-١٦) من سورة طه ، او على البعث في قوله: (أأذا متنا وكنا تراباً وعظاما أأنا لمبعوثون) الآية (١٦) من سورة الصافات.

(١٣) مفهوم النص . ص/ ٣٤ .

(١٤) تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، المسمى (تفسير التحرير والتنوير) ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، دار الجماهير للنشر والتوزيع ، ١٩٧٢م. ٥٨٩/٣٠.

(١٥)التفسير الكبير المسمى بـ(مفاتيح الغيب) ، فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، طهران ، ط٢ ، د. ت. :١٩٢/١١.

(١٦)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ، برهان الدين بن الحسن بن ابراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ-١٩٦٩م.:٦ /٦٦

(١٧) المصدر نفسه.: ٦٧/٦ .

(١٨) التحرير والتنوير. الجزء: ١٥٦/٦ .

(١٩) الجامع لاحكام القرآن ، ابو عبدالله محمد بن احمد الانصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) ، تحقيق وتصحيح: احمد عبدالعليم البردوني وابو اسحاق ابراهيم طفيش ، مطبعة دار القلم ، طبعة مصورة عن دار الكتب المصرية ، ط٣ ، ١٩٦٦-١٩٦٧م. الجزء : ١٢١/٦ .

(٢٠) التفسير الكبير : ١٩٣/١١ .

(٢١) الجامع لاحكام القرآن : ١٢٠/٦-١٢١ .

(٢٢) في التحليل اللغوي . ص /١٥٢ .

(٢٣) ينظر: تفسير القرآن الكريم ، محمود شلتوت . ص /٥٤٣ .

(٢٤) نظم الدرر .: ٣٤٥/١٢ .

(٢٥) التفسير الكبير: ١٠٦/٢٢ .

(٢٦) =: نظم الدرر: ٣٤٥/١٢ .

(٢٧) التحرير والتنوير: ٣٠٦/١٦.

(٢٨) المصدر نفسه.: ٣٠٧/١٦ .

(٢٩) ابن القيم وحسه البلاغي ، عبد الفتاح لاشين. ص/٥٤ .

(٣٠) بدائع الفوائد : ٩٧/١ .

(٣١) المشاهد في القرآن الكريم . ص/١٦١.

(٣٢) تفسير القرآن الكريم . ص /٥٤٥.

(٣٣) سورة النمل ، الايات / ١٢-١٤.

(٣٤) التحرير والتنوير:١٤٤/١٥ و ٤٣/٢٠ .

(٣٥) سورة النمل ، الايات / ٥٠-٥١.

(٣٦) نظم الدرر .:١٨٥/١٤.

(٣٧) في ظلال القران سيد قطب ، دار الشروق ،ط٨ ،١٣٩٩ه -١٩٧٩م.ا :٢٦٢٥/٥ .

(٣٨) التفسير الكبير .: ٢٠٥/٢٤ .

(٣٩) مناهل العرفان .: ١١٨/١ .

(٤٠) التحرير والتنوير . : ٦/٢٠ .

(٤١) في ظلال القرآن .: ٢٦٥٥/٥ .

(٤٢) التفسير الكبير.: ٢٠٥/٢٤.

(٤٣) اسباب النزول ابو الحسن علي بن احمد الواحدي السيابوري (ت٤٦٨ه)عالم الكتب ،بيروت ، د.ت، ص /٣٤٥ .

(٤٤) نظم الدرر .: ٣٥٠/٢٢-٣٥١ .

(٤٥) المصدر نفسه .: ٣٥٠/٢٢.

(٤٦)إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، أبو السعود محمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ) ، التصحيح بإشراف: محمد عبد اللطيف ، مطبعة محمد علي صبيح واولاده ، مصر ، ١٩٥٢. الجزء :٢٩١/٥

(٤٧) اسباب النزول . ص /٣٤٣ .

(٤٨) في ظلال القرآن: ٣٩٩٨/٦ .

(٤٩) البرهان في علوم القرآن .: ٢٣٠/٢ .

(٥٠)التفسير الكبير المسمى بـ(البحر المحيط) ، اثير الدين ابو عبدالله بن حيان الاندلسي الشهير بابي حيان (ت ٧٤٥هـ) ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٩هـ.:٨ /٥٢٠.

(٥١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين ابو الثناء محمود بن عمر الالوسي البغدادي ، (ت ١٢٧٠هـ) ، دار احياء التراث العربي ، بيروت ، د. ت. الجزء:٣٠/٢٥٠

(٥٢) التحرير والتنوير: ٣٠/٦٢٥ .

(٥٣) تاج العروس ، السيد محمد مرتضى الزبيدي ، (ت ١٢٠٥هـ) ، بيروت ، ١٩٦٦م. الجزء:١٠/١٣٦ ، و=: لسان العرب الجزء: ١٤/٢٥٤ ، مادة (دري) .

(٥٤) المفردات في غريب القرآن ، الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصبهاني ، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، د. ت. ص/١٦٨

(٥٥)التفسير البياني للقرآن الكريم ، الدكتورة عائشة عبدالرحمن ، دار المعارف ، مصر ، ط٢ ، ١٩٦٩م. ٢/١٧٨.

(٥٦)جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) ، حققه وعلق على حواشيه: محمود محمد شاكر ، راجعه وخرج احاديثه: احمد محمد شاكر ، القاهرة ، ١٣٧٤هـ- ١٩٥٤م.: ٢٩/٤٧ ، الجامع لاحكام القرآن: ١٨/٢٥٧.

(٥٧)التحرير والتنوير . الجزء :٣٠/١١٣ .

(٥٨)معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٨٥هـ) ، تحقيق: محمد علي النجار واحمد يوسف نجاتي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٢، ١٩٨٠م. معاني القرآن: ٣/٢٨٠ ، المفردات في غريب القرآن. ص/ ١٦٨-١٦٩، بصائر ذوي التمييز.: ٢/٥٩٧.

(٥٩) فقد وردت في كل من سورة الاحزاب، الاية / ٦٣، سورة الشورى، الاية / ١٧، سورة عبس، الاية/٣.

(٦٠) =: لسان العرب: ٤/٣٧٢ ، مادة (سقر) .

(٦١) نظم الدرر: ٢١/٥٩ .

(٦٢) لباب النقول . ص/ ٣٠٦ .

(٦٣) سورة المدثر ، الآيات: ١١-٢٦ .

(٦٤) في ظلال القرآن .: ٦ / ٣٧٥٦ .

(٦٥)أساليب العطف في القران الكريم ، د. مصطفى حميدة ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، ط١ ، ١٩٩٩م. ص/ ١٦٨ .

(٦٦) مجمع البيان .:٥/٣٨٨ .

(٦٧)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل ، جارالله محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ١٣٦٦هـ–١٩٤٧م. الكشاف الجزء :٦٤٨/٤ ، والتفسير الكبير الجزء: ٢٠٠/٣٠ .

(٦٨) في ظلال القرآن : ٣٧٥٧/٦ .

(٦٩) المفردات . ص/٣٩٦.

(٧٠) التحرير والتنوير . الجزء: ٣١٠/٢٩ .

(٧١) م. ن . الجزء: ٣١٠/٢٩ .

(٧٢) نظم الدرر . الجزء :٥٩/٢١ .

(٧٣) المصدر نفسه:٦٠/٢١.

(٧٤) التفسير الكبير . الجزء :٢٠٢/٣٠ .

(٧٥) الكشاف الجزء :٦٤٨/٤ ، و=: البنى والدلالات في لغة القصص القرآني ، اطروحة دكتوراه ، عماد عبد يحيى ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٢ /٧٥ .

(٧٦) في ظلال القرآن .: ١٣٩٧٧/٦

(٧٧) =: لسان العرب : ١٣٨/١٢ ، مادة (حطم).

(٧٨) الجامع لاحكام القرآن: ٣٠٣/١٠ .

(٧٩) التحرير والتنوير: ٥٤١/٣٠ .

(٨٠)جماليات المفردة القرآنية في كتب الاعجاز والتفسير ، اعداد: احمد ياسوف ، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع ، سورية ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٥هـ–١٩٩٤م. جمالية المفردة القرآنية ، نور الدين عتر . ص/ ٢٩٧–٢٩٨ .

(٨١) =: في ظلال القرآن: ٣٨٥٧/٦.

(٨٢) روح المعاني . :٣٢٠/٣٠.

(٨٣) التحرير والتنوير:١٩٥/٣٠ .

(٨٤) ينظر : المصدر نفسه: ١٩٥/٣٠ .

(٨٥) الجامع لاحكام القرآن . ٢٥٧/١٩–٢٥٨ .

(٨٦) روح المعاني :٣٢٠/٣٠.

(٨٧) نظم الدرر:٣١٩/٢١ .

(٨٨) التفسير الكبير : ٩٧/٣١ .

(٨٩) الجامع لاحكام القرآن : ٢٦٢/١٩ .

(٩٠) معاني القرآن : ٢٤٧/٣.

(٩١) الجامع لاحكام القرآن : ٢٦٢/١٩ .

(٩٢)تفسير المنار ، محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، د. ت. ٢٢٦/١٠ .

(٩٣) التحرير والتنوير .: ٤٢٦/٢٩.

(٩٤) تفسير المنار ٢٢٥/١٠–٢٢٦.

(٩٥) المصدر نفسه .: ٢٩٤/١٠.

(٩٦) نفس المصدر: ٢٩٤/١٠.

(٩٧) في ظلال القرآن .: ٣٨٤٥/٦.

(٩٨) سورة الانفطار ، الآيات: ٦–٨.

(٩٩) التفسير الكبير: ٣٠/٨٥–٨٦.

(١٠٠) تفسير المنار:١٠/٢٩٤ .

(١٠١) اساليب العطف في القرآن الكريم . ص/١٨٠–١٨١ .

(١٠٢) نظم الدرر:٢١/٣٠٨ .

(١٠٣) لسان العرب: ٨/٢٦٥ ، مادة (قرع) .

(١٠٥) =: معاني الابنية في ، الدكتور فاضل صالح السامرائي (د.ط)/١٩٨٠–١٩٨١. العربية /١٢٢ والكناية في القرآن الكريم ، اطروحة دكتوراه ، احمد فتحي رمضان ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٦ . ص /٢٧٩ .

(١٠٦) جامع البيان: ٣٠/٢٨١ .

(١٠٧) التفسير الكبير: ٣٠/١٠٣ ؛ =: ارشاد العقل السليم.: ٥/١٨٩.

(١٠٨) الكشاف .: ٤/٥٩٨.

(١٠٩) المصدر نفسه .: ٤/٥٩٨.

(١١٠) المفردات في غريب القرآن . ص / ٣٤١ .

(١١١) التفسير البياني للقرآن الكريم: ١/١٧٤ .

(١١٢) الجامع لاحكام القرآن: ٢٠/٦٧.

(١١٣) في ظلال القرآن: ٦/٣٩١١.

(١١٤) في ظلال القرآن : ٦/٣٩١١ .

(١١٥) التفسير البياني للقرآن . الجزء: ١/١٧٦ .

(١١٦) التفسير الكبير: ٣١/١٨٥ .

(١١٧) التفسير البياني للقرآن: ١/١٧٧ .

(١١٨) في ظلال القرآن: ٦/٣٩١٣ .

(١١٩) في ظلال القرآن: ٥/٢٨٨٢ .

(١٢٠) المصدر نفسه: ٥/٢٨٨٢.

(١٢١) نظم الدرر . ١٥/٤١٦ ؛ و=: فتح القدير .: ٤/٣٠٦ .

(١٢٢) نظم الدرر.: ٧/٢٧١–٢٧٢.

(١٢٣) نظم الدرر .:١٥/٤١٦ .

(١٢٤) الجملة التعريضية في القرآن الكريم انماطها ودلالاتها ، رسالة ماجستير ، نوار محمد اسماعيل ، كلية الاداب ، جامعة الموصل ، ١٩٩٩ / ١٣٢.

(١٢٥) لسان العرب: ٧/٢٧٢ ، مادة (حبط) .

(١٢٦) تلخيص البيان / ١٢٨.

(١٢٧) تفسير المنار: ١/٤٤٥.

(١٢٨) الفروق اللغوية /٧٩ .

(١٢٩) روح المعاني :١١/١٨٩ .

(١٣٠) التحرير والتنوير :١١/٢٨٥ .

(١٣١) =: التبيان في تفسير القرآن: ٢٣/٢ .

(١٣٢) الجامع لاحكام القرآن: ٩٦/١٦.

(١٣٣) التحرير والتنوير: ٢٢٢/٢٥.

(١٣٤) سورة ص ، الآية: ٥.

(١٣٥) الكشاف: ٩٨/٣ .

(١٣٦) في ظلال القرآن: ٣١٩١/٥ .

(١٣٧) التفسير الكبير: ٢١٦/٢٧ .

(١٣٨) تيار الفكر الحديث الغروي الداخلي ، ليون سرمليان ، مجلة الثقافة الاجنبية ، العدد ٣ /١٩٨٢/ ص٨٦ .

التوازي التركيبي في سورة الفيل

م.د. عبد الله خليف خضير الحياني

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد ، وعلى آله وصحبه اجمعين.

أما بعد :

فإنّ هذه الدراسة تهدف إلى الكشف عن جماليات النص القرآني ، وإبراز عددٍ من جوانب إعجازه التركيبي ، وبديع نظمه ؛ لفهم ترابط آياته وتماسكها على الوجه الذي نراه ، وكذلك تهدف إلى الكشف عن تشكيل نحوي يتابع أنماط التوازي في سورة الفيل ، إذ إنّ التوازي التركيبي يتموسق في دلالته النظمية والإيقاعية معاً ، وهو معنى جامع لعلوم لغوية وادائية شتى ، إذ تنسجم أساليب وسياقات نحوية مرتسمة على شكل متواليات لغوية تنتظم إلى بعضها على هيئة أنماط سياقية فنية متسقة يبرزها النظم شكلاً وإيقاعاً ؛ ولأنّ هذه الأنماط لا ينتظمها في بنائها التركيبي سوى هيكل نحوي محدد يحاول أن يرتسم العلاقة بين النحو والأداء من جهة وبين النظم والممارسة الإيقاعية المتسلسلة المتوالية من جهة أخرى . رأينا أن التوازي التركيبي يشكل مدخلاً يجدد تلك العلاقة المستديمة المتحدة في تشكيلة نسق سورة الفيل . ذلك أن التوازي منهج بحثي علمي قرآني شائع في نظمه ، وفي إيقاعه ، وهو معنى جامع يسهم في بناء وحدة النص ضمن سياق إيقاعي معين يشكل اعتداله وهبوطه وربّما تصاعده بوساطة دالات لغوية معينة تتضافر مع الإيقاع لإبراز التوازي بوصفه ظاهرة لغوية دلالية تدرس متواليات اللغة على وفق مديات إيقاعية معينة هي نفسها تكون جرساً صادحاً للغة القرآن في تناسق آياته وتناسبها وانسجامها على هذا النحو الخاص.

Synthetic parallelism in the Al-Fil Surah

Dr. Abdullah Khalif Khudair al-Hayani
Rank: Teacher
Department of Arabic Language
Faculty of Arts - University of Mosul

Abstract

The purpose of this study is to uncover the aesthetics of the Qur'anic text, and to highlight a number of aspects of its structural miracles, and to set them up in order to understand the coherence of its verses and its coherence in the way we see it. Both syntactical and rhythmic, which are the collective meaning of various linguistic and

performance sciences, as they are consistent with grammatical styles and contexts, in the form of linguistic sequences arranged in the form of coherent artistic contextual patterns, which are shaped by rhythm and rhythm. Painted The relationship between grammar and performance on the one hand and successive sequential rhythmic systems and practice on the other. We have seen that the structural parallelism is an entry that renews this permanent relationship united in the composition of the Al-Fil. The parallelism is a scientific, Qur'anic research methodology that is common in its systems and in its rhythms. It is an inclusive meaning that contributes to the construction of the unity of text within a particular rhythmic context, which is moderation and decline and may be escalated by certain linguistic functions that combine with the rhythm to highlight parallelism as a linguistic linguistic phenomenon that examines the sequences of language according to dimensions A certain rhythmic rhythm is itself an authentic testament to the language of the Qur'an in the harmony of its verses, its appropriateness and harmony in this particular way.

التوازي التركيبي في سورة الفيل

سورة الفيل

عرضت سورة الفيل العذاب الحسي للكفار ، فبعد أن عرضت سورة الهمزة العذاب الغيبي الذي هو وعيد بما يحدث في الغيب ، اراد الحق أن يدلك على صدق نفاذ ذلك الوعد ، وأن وعيده لا يتخلف ، فأجرى بعض الأشياء على الكفار في دنيانا المحسوسة لننتقل من الغيب إلى المحسوس ، قال تعالى : اَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (١) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (٢) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (٣) تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ (٤) فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ (٥) .

[سورة الفيل] ، فكأن الحق نقلنا من الوعيد بأمر غيبي إلى الامر المحسوس ، فوقع التناسب بين سورة الهمزة وسورة الفيل[١] .

فضلاً عن ذلك وقع التناسب بين سورة الفيل وسورة قريش ، فسورة قريش بدأت بـ(**شبه جملة جار ومجرور**) ، قال المفسرون فيها : «إنّ الجار والمجرور متعلق بالسورة التي قبلها ـ سورة الفيل ـ . أي : فعلنا ما فعلنا بأصحاب الفيل ؛ لأجل قريش ، امنهم ، واستقامة مصالحهم ، وانظام رحلتهم في الشتاء لليمن ، وفي الصيف للشام ، لأجل التجارة والمكاسب .

(١) ينظر : المنتخب من تفسير القرآن الكريم ، محمد متولي الشعراوي : ٦٩/١ .

فاهلك الله من ارادهم بسوء ، وعظم امر الحرم واهله ، في قلوب العرب ، حتى احترموهم ، ولم يعترضوا لهم ، في أي سفر ارادوا»[١] .

التوازي من اللغة الى الاصطلاح :

التوازي لغةً

لمادة (وزي) في المعاجم العربية معانٍ متعددة منها ما يدلُّ على تجمُّعٍ في شيءٍ واكتناز ، يقال للحمار المجتمع الخَلْق: وَزِيً ، وللرجل القصير: وزًى ، والمستوزي المنتصب المرتفع ، واوزى ظهره إلى الحائط اسنده ، ووزي فلاناً الأمر غاضه ، والوزي الطيور ، والموازاة المقابلة والمواجهة[٢] .

والذي يهمنا من هذه المعاني المقابلة والمواجهة ، «قال أبو البَخْتَرِيّ : فَوازَنّا العَدوَّ وصافَفْناهُم ؛ والموازاةُ المقابلة والمواجَهةُ ، قال : والأصل فيه الهمزة ، يقال آزَيْته إذا حاذَيْته»[٣] .

التوازي اصطلاحاً

للتوازي تعاريف كثيرة فعُرِفَ بأنّه : عبارة عن تماثل قائم بين طرفين من السلسلة اللغوية نفسها ، وقد فُسِرَ ذلك بأنّ هذين الطرفين عبارة عن جملتين لهما البنية نفسها ، بحيث يكون بينهما علاقة متينة تقوم أما على أساس المشابهة ، أو على أساس التضاد[٤] . كما عُرِفَ بأنه : «بمثابة متواليتين متعاقبتين أو اكثر لنفس النظام الصرفي النحوي المصاحب بتكرارات أو باختلافات إيقاعية وصوتية أو معجمية (دلالية)»[٥] . وهناك من عرَّفه بأنه : «تشابه البنيات واختلاف في المعاني»[٦] . وعُرِّفَ أيضاً بأنّه : «توازن المنطلقات على مستوى التطابق أو

(١) تفسير السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، خرج احاديثه وعلق عليه : السيد بن احمد أبو سيف ، مكتبة الايمان ، المنصورة ، (د.ت) ، (د.ط) : ١٠٢٣.

(٢) معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م : ١٠٧/٦ ، وينظر القاموس المحيط ، تأليف : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي الشيرازي ، دار الجيل ، بيروت ـ لبنان : ٤٠٢/٤ .

(٣) لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، ط ٣ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م : ٣٩١/١٥ .

(٤) ينظر: (التوازي ولغة الشعر) ، محمد كنوني ، مجلة فكر و نقد ، السنة الثانية ، ع ١٨ ، ١٩٩٩م :٧٩

(٥) ينظر: المصدر نفسه :٧٩

(٦) (مدخل إلى قراءة النص الشعري) ، محمد مفتاح ، مجلة فصول ، مج ١٦ ، ع ١ ، ١٩٩٧م :٢٥٩

التعارض»[١] . كما عرِّفَ بأنّه : «نسق التقريب والمقابلة بين محتويين أو سردين بهدف البرهنة على تشابههما أو اختلافهما . ويتم التشديد على تطابق أو تعارض الطرفين بواسطة معاودات إيقاعية أو تركيبية»[٢] . وجاء في المعجم الفلسفي : «الموازاة عند الحكماء هي الاتحاد في الوضع وتسمى بالمحاذاة أيضاً»[٣] . و«بالرجوع إلى معاجم الآداب الأجنبية تبين أن للتوازي معنيين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي ، أما المعنى اللغوي فيقصد به المحاذاة أو المجاورة ، وأما المعنى الاصطلاحي للتوازي فهو عبارة عن عنصر بنائي في الشعر يقوم على تكرار أجزاء متساوية»[٤] .

يمكن أن نعرف التوازي التركيبي بأنّه : سلسلتين متواليتين أو اكثر للنظام الصرفي النحوي نفسه المصاحب بتكرارات أو باختلافات إيقاعية وصوتية ومعجمية دلالية[٥] .

وبذلك يكون التوازي التركيبي «تأليفاً لمجموعة من الثوابت والمتغيرات : فالثوابت عبارة عن تكرارات خالصة في مقابل المتغيرات التي هي بمثابة اختلافات خالصة»[٦] .

فالموازاة تأليف ثنائي ، والموازاة هي تعادل (تماثل) ، وليست تطابقاً ، إلا أن مفهوم التماثل ، فضلاً عن ذلك ، يمحو بطريقة ما عدم التساوي بين طرفين[٧] .

---

(١) (التوازي في لغة القصيدة العراقية الحديثة . . . شعر (سامي مهدي) . . . مقاربة تطبيقية) ، د .فهد محسن فرحان ، مهرجان المربد الشعري الرابع عشر ، بغداد ، ١٩٩٨م : ٢٩ .

(٢) نظرية المنهج الشكلي ، نصوص الشكلانيين الروس ، ترجمة : إبراهيم الخطيب ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، ومؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت .لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٢م : ٢٢٩

(٣) المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية والإنكليزية واللاتينية ، د .جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٨٢م :٢/٢٣٧

(٤) (ظاهرة التوازي في قصيدة للخنساء) ، موسى ربابعة ، مجلة دراسات .العلوم الإنسانية ، مج ٢٢ (أ) ،ع٥ ، ١٩٩٥م : ٢٠٣٠

(٥) اللغة الشعرية ، دراسة في شعر حميد سعيد ، محمد كنوني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد .العراق ، ط ١ ، ١٩٩٧م : ١١٧ .

(٦) المصدر نفسه : ١١٧ .

(٧) ينظر : قضايا الشعرية ، رومان ياكوبسون ، ترجمة : محمد الولي ، ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء .المغرب ، ط١ ، ١٩٨٨م: ١٦ .

«ويمكن أن نحدد الخصائص الملحوظة في التوازي بهذه الطريقة : التوازي مركب ثنائي التكوين ، أحد طرفيه لا يعرف إلاّ من خلال الآخر ، وهذا الآخر ـ بدوره ـ يرتبط مع الأول بعلاقة اقرب إلى التشابه ، نعني أنّها ليست علاقة تطابق كامل ، ولا تباين مطلق ، ومن ثم فإنّ هذا الطرف الآخر يحظى من الملامح العامة ما يميزه الإدراك من الطرف الأول ، ولأنّها ـ في نهاية الأمر ـ طرفا معادلة وليسا متطابقين تماماً فإننا نعود ونكافئ بينهما على نحو ما ، بل ونحاكم أولهما بمنطق وخصائص وسلوك ثانيهما»[١] .

أنواع التوازي التركيبي

يقسم التوازي التركيبي على نوعين هما :

(أ) ـ توازي البنى المتشابهة :

وتتم المتواليات في هذا النوع على «وفق الصورة النحوية نفسها التي تنتظم في صيغ متوازنة»[٢] . ويقوم على مبدأ التماثل إلاّ أن هذا التماثل غير تام ، وذلك أنّ بعض عناصر التوازي المكونة له تبرز اختلافاً ما[٣] ، واساس قيام هذا التوازي هو الاستناد إلى بنى صرفية ونحوية منتظمة[٤] . ومثال ذلك التوازي الحاصل في (**ان**) ، والتوازي الحاصل في (لم) .

(ب) ـ توازي البنى المتغايرة :

يقوم هذا النوع على «أساس التناقض الحاصل بين طرفين متقابلين»[٥] ، و «يتسم هذا النمط بوجود تقابل دلالي بين عنصرين أو بين موقعين في سلسلتي كلّ متوالية على حدة»[٦] ، ومثل ذلك التوازي الحاصل بين النكرة والمعرفة ، وبين النفي والإثبات ، وبين الذكر والحذف ، وبين الاسم والفعل ، وقد يكون في بعض الاحيان على وفق الصورة النحوية نفسها التي تنتظم في صيغ متوازنة نحوية ومختلفة دلالياً ، كالتوازي الحاصل بين (**كان واصبح**) ، وبين (**إنّ ولكنّ**) ، وبين (**لن وحتى**) .

التوازي التركيبي في سورة الفيل

(١) تحليل النص الشعري ، يوري لوتمان ، ترجمة : محمد فتوح احمد ، النادي الادبي الثقافي بجدة ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م : ١٧٧ ـ ١٧٨ .

(٢) اللغة الشعرية : ١١٨ .

(٣) ينظر: الإيقاع في شعر شاذل طاقة ، شروق خليل إسماعيل ذنون الإمام ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٢م : ١٠٣ .

(٤) ينظر : اللغة الشعرية : ١٢٠ .

(٥) المصدر نفسه : ٢٧١ .

(٦) المصدر نفسه : ١٢١ .

كان للتراكيب النحوية دور في تماسك النص وترابطه ، فانبثقت منها توازيات عدة ، منها ما وقع في أساليبه النحوية وعلى بنيتيه السطحية والعميقة ، ومنها ما وقع في تراكيبه النحوية وعلى بنيتيه السطحية والعميقة . ويمكن تقسيم التوازي التركيبي الذي وقع في سورة الفيل على نوعين :

أ . توازي الضمائم الافصاحية .

ب . توازي التراكيب النحوية .

أ . توازي الضمائم الافصاحية :

الضمائم الافصاحية هي أساليب تعبر عن مواقف انفعالية بتقنات واداءات اسلوبية متميزة[١]، وتأتي مع ضمائم معينة من الأدوات والمرفوعات والمنصوبات والمجرورات للكشف عن موقف انفعالي ما والإفصاح عنه[٢]، ويقوم التوازي التركيبي في هذه الضمائم على ما تشترك به من معنىً نحوي ، ويكون هذا المعنى العامل الأساس في قيام التوازي وفي بناء المتوالية إذ إنّ كل أداة من هذه الضمائم تشترك مع الأدوات الأخرى في الضميمة الواحدة بمعنىً عام كما تتميز كلّ ضميمة بمعنى خاص تؤديه فتضفي بذلك على المتواليات دلالة خاصة إلى جانب الدلالة العامة فضلاً عن ذلك تسهم في تنوع البناء النحوي للتوازي من جهة، وتماثله بالمعنى العام من جهة أخرى . اسهمت الضمائم الافصاحية في تماسك النص عن طريق التوازيات التي انبثقت منها ، وعلى بنيتيه السطحية والعميقة .

١ . التوازي في البنى السطحية

استند التوازي في البنية السطحية على نوعين من التوازي ، احدهما توازي البنى المتشابهة ، والاخر توازي البنى المتغايرة . فوقع توازي البنى المتشابهة في المتواليتين الاولى والثانية معتمداً على اسلوب الاستفهام ، والاستفهام كما قال ابن هشام (ت٧٦١ هـ) : «وحقيقته : طلب الفهم»[٣]، وقال السيوطي (ت٩١١ هـ) : «والمراد به طلب الإفهام»[٤] . فـ«الاستفهام أسلوب لغوي أساسه طلب الفهم، والفهم هو صورة ذهنية تتعلق أحياناً بمفرد

(١) ينظر : قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، د .سناء حميد البياتي ، دار وائل ، عمان . الاردن ، ط ١ ، ٢٠٠٣م : ٤٣٣ .

(٢) ينظر : اللغة العربية معناها ومبناها ، د .تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء . المغرب : ١١٢ . ١١٣ ، وينظر : ١١٨ .

(٣) مغني اللبيب : ١ / ١٣ .

(٤) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي ، تح : عبدالعال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٩٧٥م.: ٢/٦٩ .

شخص ،أو شيء ، أو غيرهما، وتتعلق أحياناً بنسبة ، أو بحكم من الأحكام ، سواء أكانت النسبة قائمة على يقين أم على ظن ، أم على شك» . ، وكان الا ستفهام الأساس في هذا البناء .

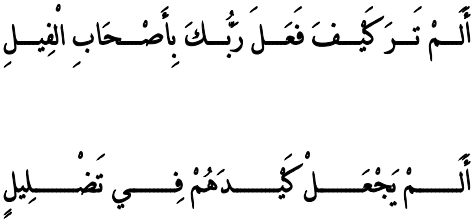

بدأت المتوالية الاولى بأسلوب الاستفهام (**الم تر**) الذي مثّل عنصراً مهماً ؛ لأنّه عنصر قادر على لفت انتباه السامع واثارة الانفعال المناسب عنده[١]، اما المتوالية الثانية فإنّ «الاستفهام التقريري الثاني . (**لم تر**) . توكيد للاستفهام التقريري الاول ، أي : بلى»[٢]، والمتوالية بيان لما في المتوالية الاولى من اجمال. وتكررت همزة الاستفهام للتوكيد ؛ لتعزز التماثل القائم بين المتواليتين فكانتا على بناءٍ نحوي متماثل . و«الاستفهام في القرآن غير حقيقي ؛ لأنّه واقع ممن يعلم ويستغني عن طلب الإفهام»[٣] ، فالاستفهام هنا جاء تقريريا ويكون على نفي المقرَّر بإثباته للثقة بأن المقرَّر لا يسعه إلاّ إثبات المنفي. والاستفهام التقريري هنا مجاز بعلاقة اللزوم ، وهو مجاز كثر استعماله في كلامهم فصار كالحقيقة لشهرته . وعليه فالتقرير استعمل مجازاً في التكري إشارة إلى أن ذلك كان إرهاصاً للنبي (**صلى الله عليه وسلم**)[٤] .

كما وقع توازي البنى المتشابهة معتمداً على أسلوب النفي الذي وقع أيضاً في المتواليتين الاولى والثانية ، وجاء معتمداً على حرف النفي (لم) الذي

(١) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، د .محمد عبدالحميد ناجي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت . لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م : ٩١ .

(٢) توكيد مضمون الجمل بتتبع الترادف في القرآن الكريم ، حسن طه حسن : ٢٧٢ .

(٣) أساليب الطلب عند النحويين البلاغيين ، د .قيس اسماعيل الاوسي ، بيت الحكمة ، بغداد . العراق ، ١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م : ٣٠٨ .

(٤) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٠ / ٥٤٨ .

تكرر مرتين ؛ وبذلك حافظ النص على تماسكه معتمداً على التكرار الذي هو الية من اليات التماسك النصي ، والتوازي يمثّل تكرارا لكنّه تكرار غير كامل.

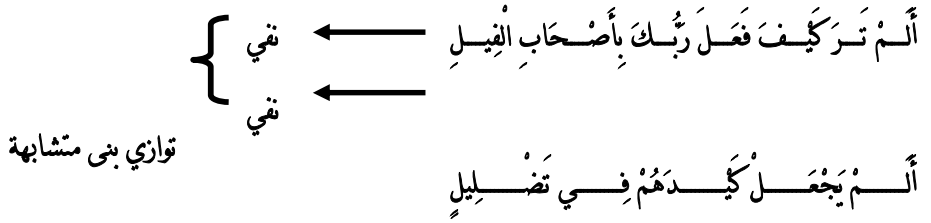

كما وقع توازي البنى المتشابهة في المتواليتين الثالثة والرابعة معتمداً على اسلوب الخبر ، واستند في ذلك على الجملة الفعلية المثبتة التي شكّلت عنصراً بنائياً في بنيتها ، وكانت اساساً لهذا البناء .

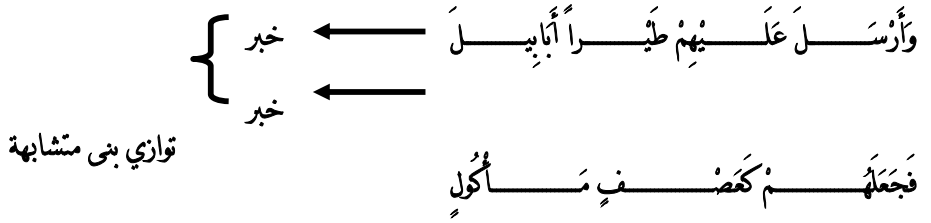

فشكل هذا التوازي رابطاً نحوياً للتماسك في النص عبر التماثل على مستوى الملفوظ، واعتمد التماسك والترابط على الفعل الماضي الذي جاء معبراً عن التوكيد ، إذ إنّ الفعل الماضي يدل على الحدوث ، ومع هذا التماثل إلاّ أن في الفعل اختلافاً ، فالفعل الأول (**ارسل**) يتعدى الى مفعول واحد ، أمّا الفعل (**جعل**) فيتعدى الى مفعولين[1] ، فجاء هذا الاختلاف ليضيف تنوعاً في النص.

اما توازي البنى المتغايرة فكان بين اسلوبي الاستفهام والخبر ؛ وذلك باجتماع المتواليات الأربعة

(١) ينظر : الجدول في اعراب القرآن : ٣٠ / ٤٠٧ . ٤٠٨.

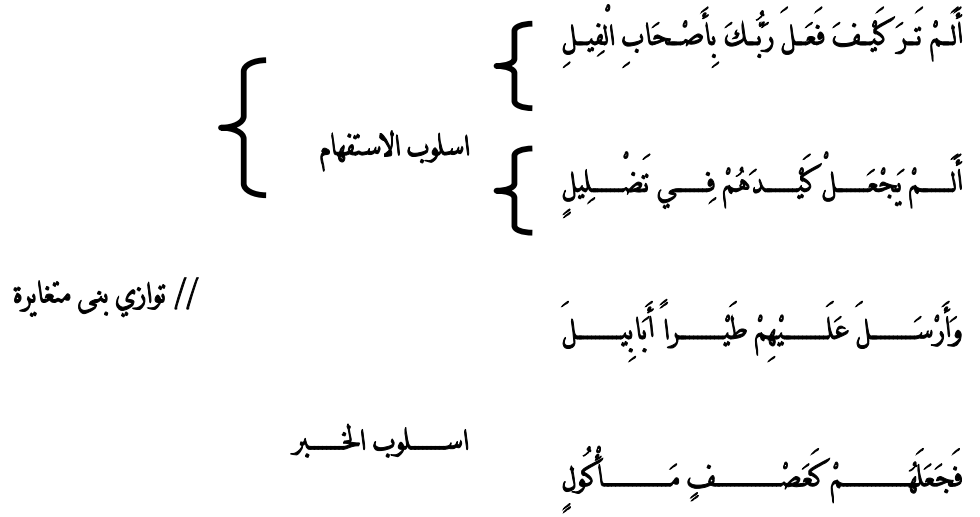

فالتوازي وقع بين الخبر والإنشاء ، وهذا التوازي جاء على بنى متغايرة ، فهو في المتواليتين الأولى والثانية اعتمد على اسلوب الاستفهام ، أما في المتواليتين الثالثة والرابعة فجاء معتمداً على اسلوب الخبر . فاسهم توازي البنى المتغايرة في تماسك النص لما فيه من تناسب ، فالنص القرآني بدأ بأسلوب الاستفهام ؛ لينبه المخاطب ويشد انتباهه ثم يقرر هذا الامر في نفسه فلا يدع له مجالاً للشك ولإزالة الحيرة التي في نفسه ، ثم انتقل النص القرآني إلى الخبر وذلك من خلال اطمئنان المتلقي لهذا الامر وتلقيه بذهن صافٍ وقد تقررت عنده الحقيقة وسلّم بها .

كما وقع توازي البنى المتغايرة بين النفي والإثبات ، فالمتواليات الأولى والثانية سبقتا بحرف النفي (لم) ، أما المتواليتين الثالثة والرابعة فكانتا مثبتتين ، فوقع التوازي بين الإثبات والنفي .

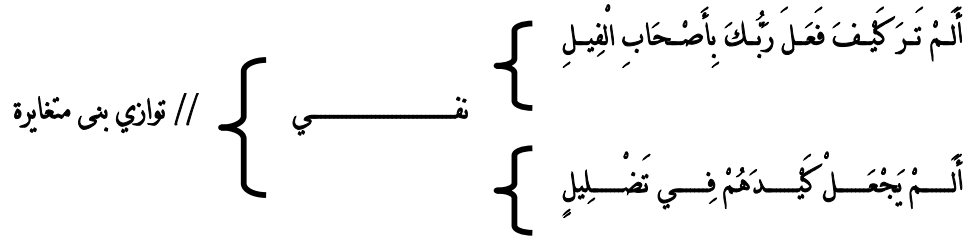

وَأَرْسَـــلَ عَلَـــيْهِمْ طَيْـــراً أَبَابِيـــلَ

فَجَعَلَهُـــــمْ كَعَصْـــــفٍ مَـــــأْكُولٍ

اثبـــــــــات

جاء توازي البنى المتغايرة ليدعم الدلالة ، فالسورة تصف عذاب الكفار في الدنيا ، وكان التوازي بين النفي والاثبات يصور حالة الفزع والهلع لدى الكفار

٢ ـ التوازي في البنية العميقة

أما في البنية العميقة فجاء توازي البنى المتشابهة ؛ ليزيد تماسك النص بل ويكسبه تمازجاً ، واعتمد التوازي على البنية العميقة لاسلوب الخبر ، فالاستفهام وإن كان في مظهره اسلوباً إنشائياً إلاّ أنّه استفهام تقريري[١]، كثيراً ما يكون على نفي المقرر بإثباته للثقة بأنّ المقَّرر لا يسعه إلاّ إثبات المنفي ، والاستفهام التقريري هنا مجاز بعلاقة اللزوم ، وهو مجاز كثر استعماله فصار كالحقيقة لشهرته[٢] . وعليه فالاستفهام التقريري جاء ؛ ليؤكد الكلام ويثبته في متلقيه ، فهو لا يخالف الخبر بل جاء مؤكداً له .

فكان التضاد من ابرز الاساليب التي تصور هذه الحالة ، وخلق صور متضادة عبر إيجاد متقابلات تسهم في رسم صورة متكاملة عن الحدث تركيبياً دلالياً .

فتمازجت المتواليات بذلك ، ولم يقع التخالف بين الاستفهام والخبر . هذا الاستفهام الذي حمل دلالات عجيبة من استفهام وتعجب وتقرير ، فجملة **(الم تر)** دخلها معنى التعجب كأنه قيل: الم تعجب ؟![٣] . فكان التماثل في مستوى البنية العميقة ؛ ليزيد من تماسك النص وانسجامه.

(١) ينظر : التحرير والتنوير : ٣٠ / ٥٤٤ .

(٢) صفوة التفاسير ، تفسير للقرآن العظيم جامع بين المأثور والمنقول ، تاليف محمد علي الصابوني ، دار الحديث . القاهرة ، (د.ت) ، (د.ط) .: ٣ / ٦٠٥ .

(٣) ينظر : معاني النحو : ٢/ ٤٥

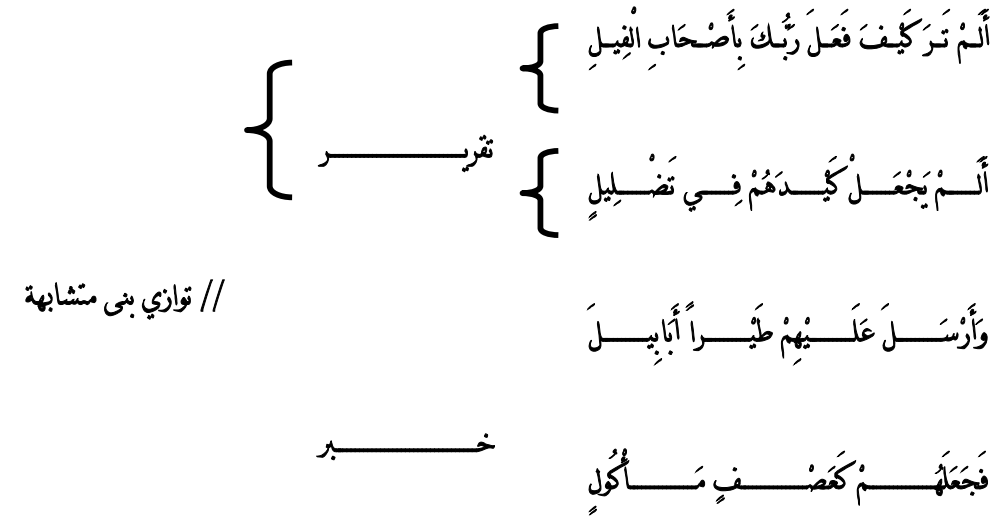

ب . توازي التراكيب النحوية

اسهمت التراكيب النحوية في تماسك النص عن طريق التوازيات التي انبثقت منها ، وعلى بنيتيه السطحية والعميقة .

١ . التوازي في البنى السطحية

وقع التوازي في النص القرآني مستنداً في ذلك على الأفعال : (**تر ، يجعل ، ارسل ، جعلهم**) . واتخذ التوازي هذه الأفعال اساساً لهذا البناء .

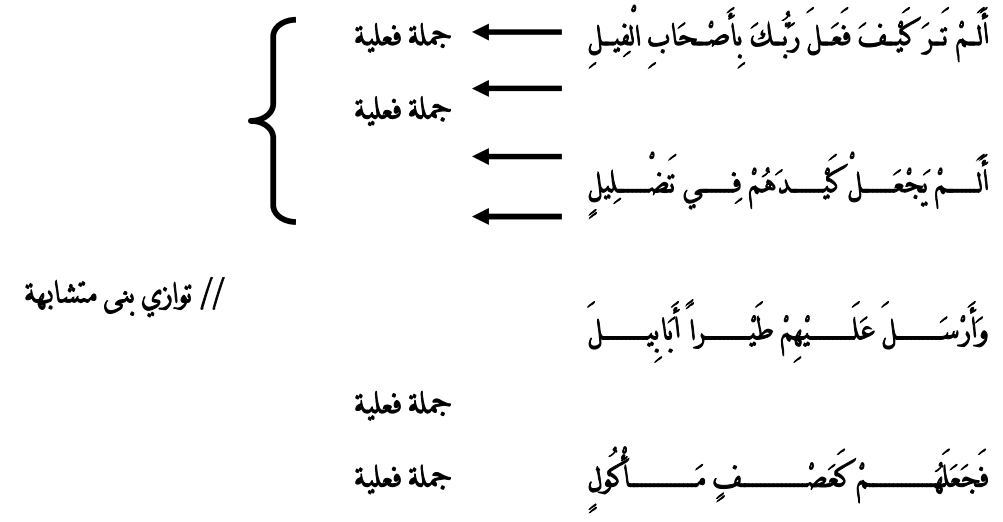

فالتوازي جاء معتمداً على الجملة الفعلية التي اثرت النص بالأحداث ولاسيما أنّ السورة تسرد احداثاً كثيرة بايجاز غير مخل بالمعنى العام للنص ومن غير أن يكون النص مفككاً ، فجاء التوازي بالأفعال معبراً عن التماسك والانسجام التام ، ومع هذا الترابط بين الأفعال إلاّ أنّ التوازي جاء في البنية السطحية على بنى متغايرة ، فهو في المتواليتين الأولى والثانية اعتمد على الفعل المضارع المتمثل بـ(**تر ، يجعل**) ، وفي المتواليتين الثالثة والرابعة اعتمد على الفعل الماضي المتمثل بـ(**ارسل ، جعلهم**) .

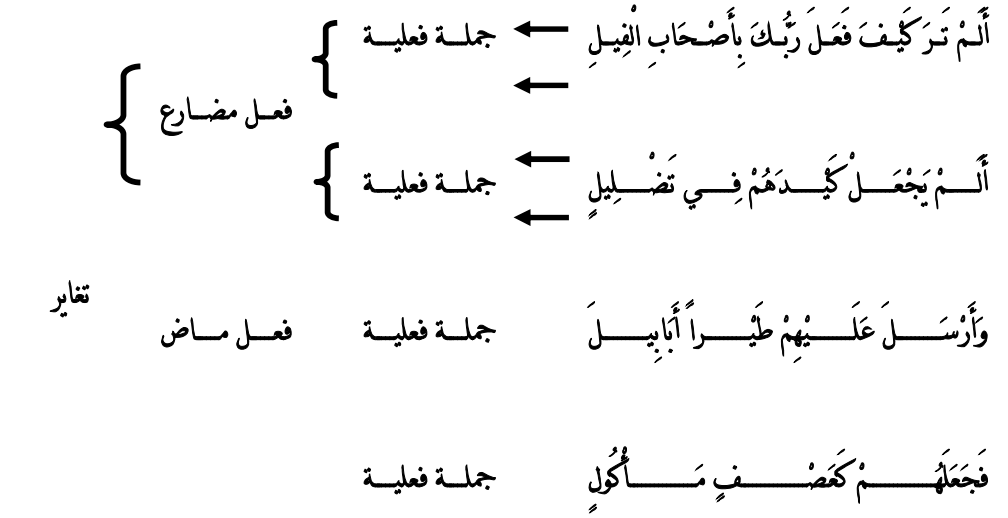

فجاء التوازي ؛ ليعزز صورة هلع الكفار وقوة الحدث عبر التنوع في البنية من افعال مضارعة ؛ لاستحضار الحالة بحيث يخيل للسامع كالحادثة في زمن الحال[١] ، ومن افعال ماضية لتدل على وقوع الحدث وتأكيده . ومع هذا التغاير في البنية السطحية إلاّ أنّ التوازي لا يخلو من المماثلة ، فتضافرت في سورة الفيل الأفعال ؛ لتدعيم دلالة النص القرآني وترسيخه ، فالسورة تحدثت عن قصة عذاب أصحاب الفيل وما حلّ بهم من عذاب ، فأظهرت السورة هول هذا العذاب وشدته من خلال الجمل الفعلية التي تدل على الحركة والحدوث والتجدد[٢] ، كما أفادت السورة من التنوع الحاصل في الأفعال ـ ماضية ومضارعة ـ لتعزيز هذا الحدث وإظهار الاضطراب الذي أصاب أصحاب الفيل ، فاعتمد النص على الأفعال : (**تر ، يجعل ، ارسل ، جعل**) . فضلاً عن ذلك فإنّ التماثل بين الأفعال أكثر من ذلك فالأفعال التي اسهمت في بناء

(١) التحرير والتنوير : ٣٠ / ٥٥٠ .

(٢) ينظر : دلائل الإعجاز ، الجرجاني : ١٤٦ ـ ١٤٧ .

هذا التوازي جاءت جميعها افعالاً متعدية . ولكن هذا التماثل غير كامل فالفعلين (**يجعل ، جعل**) تعديا إلى مفعولين ، أما الفعل (**تر**) فدلالة الرؤية فيه يجوز أن تكون مجازية مستعارة للعلم البالغ من اليقين حد الامر المرئي لتواتر ما فعل الله بأصحاب الفيل بين اهل مكة وبقاء بعض آثار ذلك يشاهدونه ، وبذلك يتعدى الفعل (**تر**) إلى مفعولين فيتماثل مع الفعلين (**يجعل ، جعل**) . ويجوز أن تكون الرؤية بصرية بالنسبة لمن تجاوز سنه نيفاً وخمسين سنة ، اما الفعل (**ارسل**) فتعدى الى مفعول به واحد وهو (**طيرا**) ، فتنوع استعمال الأفعال المتعدية من التعدي الى مفعول واحد (**ارسل**) ، أو الى ما يجوز فيه التعدية الى اثنين (**ترى**) ، او المتعدي الى مفعولين (**يجعل**) ، فالتوازي يقوم على اساس التماثل والاختلاف[١] .

٢ ـ التوازي في البنى العميقة :

وقع التوازي في البنية العميقة في الجمل الفعلية الواردة في النص فالمتواليات الأربعة ، فع اختلاف الأفعال من حيث المضارع والماضي الا انها جاءت في البنية العميقة متماثلة تماما ، فالفعلان : (**ترى**) ، و(**يجعل**) سبقا بأداة الاستفهام (**الهمزة**) كما سبقا بأداة النفي (**لم**) وهذا بدوره يغير دلالة الفعلين وزمانيهما : (**الم تر**) ، (**الم يجعل**) وهما بذلك يعادلان (**رأيت ، وجعل**) ، فـ(**لم**) حرف نفي وجزم وقلب ، قلب دلالة الفعل المضارع (**ترى**) الى الماضي (**رأى**) ، والاستفهام شبه النفي فانتقلت الجملة من النفي الى الاثبات وأصبحت (**الم تر**) بمعنى (**رأيت**) وهذا القول ينطبق على جملة (**الم يجعل**) ؛ وبذلك تماثلت الجمل الأربعة في البنية العميقة ، إذ يصبح معنى الجمل :

---

(١) التحرير والتنوير : ٣٠ / ٥٥٠ .

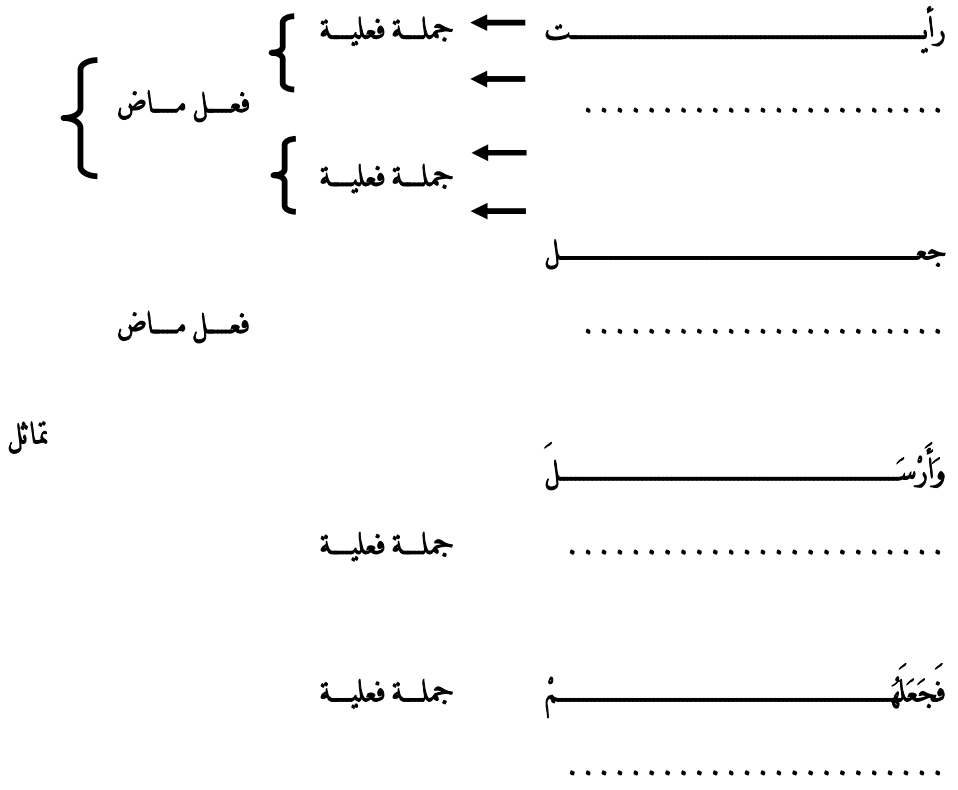

ومن هنا جاز عطف الجملة الفعلية **(ارسل)** على جملة **(الم يجعل)** لتماثلهما في المعنى[1] ، فجاء هذا التماثل ليتعاضد مع أدوات الربط من حروف العطف (الواو ، الفاء) ، والضمير والتكرار ، الوسائل النصية التي كان لها دورا فاعلا في تماسك النص وانسجامه.

(١) ينظر : الجدول في اعراب القرآن : ٣٠ / ٤٠٦.

المصادر والمراجع :

١. أساليب الطلب عند النحويين البلاغيين ، د .قيس اسماعيل الاوسي ، بيت الحكمة ، بغداد . العراق ، ١٤٠٢هـ . ١٩٨٢م

٢. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، د .محمد عبدالحميد ناجي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت . لبنان ، ط ١ ، ١٤٠٤هـ . ١٩٨٤م

٣. الإيقاع في شعر شاذل طاقة ، شروق خليل إسماعيل ذنون الإمام ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة الموصل ، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م

٤. التحرير والتنوير ، تأليف : محمد بن الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والاعلان ، د .ت .

٥. تحليل النص الشعري ، يوري لوتمان ، ترجمة : محمد فتوح احمد ، النادي الادبي الثقافي بجدة ، المملكة العربية السعودية ، ط١ ، ١٤٢٠هـ . ١٩٩٩م

٦. تفسير السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، خرج احاديثه وعلق عليه : السيد بن احمد أبو سيف ، مكتبة الايمان ، المنصورة ، (د .ت) ، (د .ط)

٧. التوازي في لغة القصيدة العراقية الحديثة . . . شعر (سامي مهدي) . . . مقاربة تطبيقية) ، د .فهد محسن فرحان ، مهرجان المربد الشعري الرابع عشر ، بغداد ، ١٩٩٨م

٨. (التوازي ولغة الشعر) ، محمد كنوني ، مجلة فكر و نقد ، السنة الثانية ، ع ١٨ ، ١٩٩٩م

٩. الجدول في إعراب القرآن وصرفه وبيانه ، مع فوائد نحوية هامة ، محمود صافي ، مطبعة النهضة ، قم . ايران ، ط ١ ، ١٤١١هـ . ١٩٩١م

١٠. دلائل الإعجاز ، عبدالقاهر الجرجاني ، صححه وشرحه وعلق عليه : احمد مصطفى المراغي ، راجعها : محمد عبده ، و محمد محمود الشنقيطي ، المطبعة العربية ، ط٢ ، د .ت .

١١. صفوة التفاسير ، تفسير للقرآن العظيم جامع بين المأثور والمنقول ، تاليف محمد علي الصابوني ، دار الحديث . القاهرة ، (د .ت) ، (د .ط) .

١٢. (ظاهرة التوازي في قصيدة للخنساء) ، موسى ربابعة ، مجلة دراسات . العلوم الإنسانية ، مج ٢٢ (أ) ، ع٥ ، ١٩٩٥م

١٣. في النحو العربي نقد وتوجيه ، مهدي المخزومي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا . بيروت ، ط١ ١٩٦٤م

١٤. القاموس المحيط ، تأليف : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي الشيرازي ، دار الجيل ، بيروت ـ لبنان

١٥. قضايا الشعرية ، رومان ياكوبسون ، ترجمة : محمد الولي ، ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ـ المغرب ، ط١ ، ١٩٨٨م .

١٦. قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم ، د .سناء حميد البياتي ، دار وائل ، عمان ـ الاردن ، ط ١ ، ٢٠٠٣م

١٧. لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر ، بيروت ـ لبنان ، ط ٣ ، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م

١٨. اللغة الشعرية ، دراسة في شعر حميد سعيد ، محمد كنوني ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ـ العراق ، ط ١ ، ١٩٩٧م .

١٩. لغة العربية معناها ومبناها ، د .تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ـ المغرب.

٢٠. (مدخل إلى قراءة النص الشعري) ، محمد مفتاح ، مجلة فصول ، مج ١٦ ، ع ١ ، ١٩٩٧م

٢١. معاني النحو ، د .فاضل صالح السامرائي ، بيت الحكمة ، بغداد ـ العراق ، د .ت .

٢٢. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية و الفرنسية والإنكليزية واللاتينية ، د .جميل صليبا ، دار الكتاب اللبناني ، لبنان ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، ١٩٨٢م

٢٣. معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ) ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م

٢٤. مغني اللبيب عن كتب الاعاريب ، لأبي محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف ابن احمد بن عبدالله بن هشام ، الأنصاري ، المصري ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد ، مطبعة المدني ، القاهرة ـ مصر ، د .ت .

٢٥. نظرية المنهج الشكلي ، نصوص الشكلانيين الروس ، ترجمة : إبراهيم الخطيب ، الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، ومؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت ـ لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٢م.

٢٦. همع الهوامع في شرح جمع الجوامع ، جلال الدين السيوطي ، تح : عبدالعال سالم مكرم ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، ١٩٧٥م.

فاعلية التماسك الإحالي

دراسة لنماذج مختارة من القران الكريم

م.د . خالد علي سليمان الشمري

أولاً: الفاعلية لغةً

هي مِنْ فَعَلْتُ الشيءَ فانْفَعَلَ ، كقولك: كَسَرتُهُ فانكسَرَ ، وفِعَالُ ؛ وقد جاء بمعنى: أفْعَل ، وجاء بمعنى: إفْعال بكسر اللام[١] .

والفاعليةُ مصدر صناعي وهي وصف لكلِّ ما هو فاعل ؛ أي: كون الشيء فاعلاً[٢]، والفعَّالية: كون الشيء فعَّالَ التأثير[٣] ، وهي تعبّرُ في هذه المعاني عن مقدرة الشيء على التأثير .

ثانياً: الفاعلية اصطلاحاً

وصف كلّ ما هو فاعل من حيث التماسك الحاصل بين المفردات ووظائفها النحوية في إطار السياق الخاص والعام ؛ وهذا التماسك نتيجة لتفاعل دلالي نحوي لا يمكن فصل احدهما عن الآخر (٤)، وهذا ما ذهب إليه الجرجاني في أن (المعنى النحوي): هو الفهم الذي يجعل منه اختيارًا دقيقًا بين اللفظ المفرد، ووظيفته النحوية التي يحددها له النظام النحوي في الجملة ، فتآلف المفرد مع وظيفته النحوية في انصهار يشكلا معنى جديدًا ، أمر يتفق عليه كثير من دارسي النصوص اللغوية وشارحيها (٥) .

فالوظيفة النحوية التي هي الهيئة التركيبية للمفردات المنظومة في الجملة من: (فاعلية ومفعولية وظرفية وحالية

---

(١) لسان العرب : ابن المنظور ، مادة فعل ، ١١ / ٥٢٨ .

(٢) المعجم العربي الأساسي: ٩٤٣.

(٣) المعجم الوسيط : ٤٠٥ .

(٤) النحو والدلالة : د . محمد حماسة عبد اللطيف ، ١٦٢ .

(٥) المصدر نفسه : ١٦٤ – ١٦٥ .

(٦) المصدر نفسه : ١٧٤

. . . . .) مع مراعاة القوانين الخاصة لكل وظيفة، ليست إلا عنصرًا من عناصر هذا التفاعل غير أنها تمتلك قدرة هائلة على التفاعل مع كل كلمة؛ لأن هناك عنصرا آخر مهما يتفاعل معها هو عنصر الموقف والسياق (٦) .

إنّ هذه الفاعلية تنبجس من العلاقات القائمة بين الكلمات؛ أي: تتصل بالدلالة التركيبية وليس بالدلالة اللفظية، فهي لا تكمن في الكلمات المفردة ولا في مجموع ما تفيده هذه الكلمات من حيث هي ، ولكنها تكمن في تركيب الجملة وفي بنيتها الداخلية ، وبعبارة أخرى: فإنّ الألفاظ المفردة غير ذات معنى ، أو قل –إنْ شئت الدقة– إنها مغلقة على معانيها وإنما يفتحها "تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض" [٤]، فهي إذن تدرك من وراء الألفاظ ، والفضل في إدراكها يعود إلى المعنى النحوي؛ أي: دخولها في أنساق المستوى التركيبي ؛ إذ هو الذي فتحها وأخرج الألفاظ التي كانت مغلقة عليها من حالة الإفراد ومجرد التعاقب ليجعلها كلامًا مفيداً بل ليضفي عليها الإبداع ويسمها بميسم الكلام الأدبي ؛ لهذا كان المعنى النحوي أو النحو أحق أنْ تُنسب إليه وتضاف ، فيقال: فاعلية المعنى النحوي.

وعليه فإنّ فاعلية المعنى النحوي غير معاني الألفاظ المفردة ؛ إذ هي لا تفهم من هذه الألفاظ في حدّ ذاتها ، وإنّما تفهم من العلاقات القائمة بينها " فلا يقوم في وهم ولا يصح في عقل أن يتفكر متفكر في معنى فعل من غير أنْ يُريد إعماله في اسم ، ولا أنْ يتفكّر في معنى اسم من غير أنْ يُريد إعمال فعل فيه ، وجعله فاعلاً له أو مفعولاً أو يزيد فيه حكماً سوى ذلك من الأحكام ، مثل أنْ يُريدَ جعله مبتدأ أو خبراً أو صفة أو حالاً أو ما شاكل ذلك"[٥] .

هي الألفاظ أو تلك الأدوات التي نعتمد عليها لتحديد المشار إليه أو المحال إليه داخل النص أو خارجه، فمن المعلوم أنَّ لهذه الأدوات أهميةً بالغةً، وتسهم بدور فعّالٍ في ترابط النص وانسجامه؛ لهذا نبدأُ بأهمّها؛ لأنَّها أكثر الأدوات انتشارًا وشيوعًا، وفي الوقت نفسه أكثرها تأثراً وفعّالاً يجعل النص كقطعةٍ منسجمةٍ أو كجزء واحدٍ لا يتجزأ .

أو التغير، ونقل الشيء إلى شيءٍ آخر، وهذه العملية ليست بعيدةً عن الاستعمال الدلالي للإحالة النصية، فالتحول والتغير ونقل الشيء من حالة إلى حالة أُخرى لا يحصل ولا يتم إلاَّ في ظلِّ وجود علاقة متماسكة قائمة بينهما، فتلك العلاقة

(١) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني ، ٤ .

(٢) المصدر نفسه : ٤١٠ .

المترابطة والمتماسكة هي التي سمحت بالتحول والتغير. وتستعملُ لازمةً ومتعديةً؛ فإنَّها تعني توجيه شيءٍ أو شخصٍ على شيء أو شخصٍ آخر لجامعٍ يجمع بين الاثنين، وهذه تفضي إلى عنصرٍ إشاري يؤَوّلُهُ أو يفسّرهُ ويحدّدُ دلالته ومعناه.

أَو إشارةُ اللفظِ إلى شيءٍ في العالم الخارجي، والاستدلال به على مراده فيتحول المعنى إليه، ويفسّرُ المرموزِ به في ضوء المشار إليه؛ لأَنَّ وجود عناصر لغوية، أو العناصر المحيل لا تكتفي بذاتها ووحدتها من حيث التأويل؛ إذْ لا بُدَّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل توضيحها وتفسيرها؛ لهذا تسمى أدوات وعناصر محيلة[٦] .

ويقول جون لاينز في سياق حديثه عن المفهوم الدلاليّ التقليدي للإحالة: ((إنَّ العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميات هي علاقة إحالية، فالأسماء تحيل إلى المسميات))[٧]، وطبيعة هذه العلاقة دلالية تقتضي التطابق التام بين العنصر، أو الجزء المحيل والعنصر والجزء المحال إليه أو المشار إليه من حيث الخصائص أو المميزات الدلالية؛ إذْ إنَّ العناصر المحيلة غير مكتفية بذاتها من حيث التأويل والتفسير بل تكتسي وتأخذ دلالتها بالعودة والرجوع إلى ماتشير إليه[٨]؛ لذا من المفروض قياسها على مبدأ التماثل بين ما سبق ذكره في مقام وبين ما هو مذكورٌ في مقام آخر.

ومن هنا فالتعريف الأكثر شمولاً ودقةً هو: ((أنَّ "الإحالة" ليست شيئاً يقوم به تعبير ما، ولكنَّها شيءٌ يمكن أنْ يحيل عليه شخص ما باستعماله تعبيراً معيناً))[٩]، وعيله فإنَّ للمتكلم أو "الكاتب" الحق في الإحالة حسبما يريد هو، وعلى المحلل أنْ يفهم كيفية تلك الإحالة بحسب النص والمقام[١٠] .

ونقول: إنَّ الإحالةَ هي علاقات تماسك بين عنصرٍ لغوي وعنصرٍ لغوي آخر أو ما يعادلها في مقام خارج النص، بحيث يتوقف تأويل وتفسير العنصر الأول على العنصر الثاني، وهذا يسهم في تشكيل وحدة النص، وانتظام العناصر المكونة لعالم

---

(٦) ينظر: لسانيات النص:١٦-١٧، والنص والخطاب والإجراء:٣٢١، والربط في اللفظ والمعنى:٢٢١، ومقالات في اللغة والأدب:١/١٩٥.

(٧) تحليل الخطاب:٣٦، نقلاً عن "يول. براون"

(٨) ينظر: تحليل الخطاب :٣٦ ونحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي):١١٦، وعلم لغة النص والأسلوب:٣٣.

(٩) تحليل الخطاب:٣٦، نقلاً عن "يول. براون"

(١٠) ينظر: نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي):١١٧.

النص.

فوظيفة الإحالة في النَص أنَّها تشير وتوحي إلى ما سبق، أو إلى ما سيأتي، والتعويض عنه بأي أداة يمكنه أن تغني عنه[١١]؛ تجنُّبًا للتكرار فتُحقّقُ بهذا الاقتصاد والثبات المعنوي في اللغة، فتختصر هذه الوحداتُ الإحالية العناصرَ الإشاريةَ، وتجنب مُستعملَها إعادتها وتكرارها عن طريق الذاكرة البشرية التي يمكنها أنْ تخترق آثار الألفاظ السابقة، فهذا من قبيل مبدأ الاختصار والإيجاز والتكثيف[١٢]، وتقرن بينها العناصر الإحالية الواردة بعدها أو قبلها، وعلى هذا تقوم شبكة من العلاقات الإحالية من العناصر المتباعدة في فضاء النص[١٣]؛ لهذا فالتماسك يمكن أنْ يكون نتيجة علاقة إحالية حين تنشأُ علاقةٌ إحاليةٌ بين جملتين مستقلتين، وحين تكون العلاقة بينهما ذات طبيعية دلالية غير تركيبية

(١١) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق- دراسة تطبيقية على السور المكية -: ٣٩/١.

(١٢) ينظر : الإحالة في نحو النص- دراسة في الدلالة والوظيفة - : ٥٢٩.

(١٣) ينظر: نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً:١٢١، وعلم لغة النص – النظرية والتطبيق-:١٢٠، والسبك النصي في القرآن الكريم في سورة الأنعام: ٦١.

على الإطلاق، فالربط من خلالها يكون ضعيفاً وضئيلاً[١٤].

ويتضح مما سبق أنَّ الإحالة هي الوسيلة الأكثر قوةً وقدرة على إيجاد التماسك الشامل للنص وتجسيد وحدته العامة؛ لأنَّها تقرن بين التماسك الرصفي (اللفظي) والتماسك المفهومي (المعنوي).

البنية الإحالية لـ(ال) النائبة عن الضمير:

تُعَدُّ هذه القيمة الإحالية لهذه البنية بوصفها وسيلة للترابط والانسجام في النص ذات قيمة دلالية، لا أداةً مُجَرَّدَةً للتَّعريفِ.

وقد أشار القدامى من علماء اللغة إلى أهمية أداة التعريف ودورها في نظم الكلام بين أجزائه وعناصره.

وبيَّنَ أبو هلال العسكري (ت٤٠٠هـ) أهمية التعريف والتنكير ضمناً في كتابه الصناعتين بقوله:((من الألفاظ ما وقع نكرة فَبُحَ موضعه، وحَسُنَ إذا وقع معرفة، مثل قول بعضهم (الوافر):

لَمَّا التقْينا صاحَ بينٌ بيننا

يُدني من القُرْبِ البعادِ لِحاقاً

(١٤) ينظر: نظرية التبعية في التحليل النحوي: ٢٧٣.

فقوله: (صاح بينٌ بيننا) متكلفٌ جداً، فلو قال: (البين كان أقرب))[١٥]، وهذه إشارة ضمنية إلى دور وأهمية الربط بـ (الإلف واللام) في عملية ترابط النص وتماسكه.

وكذلك أشار عبدالقاهر الجرجاني (ت٤٧٤هـ) إلى أهمية هذه الأداة ودورها في النظم وترابط النص، ويرى أنَّ لام التعريف أداة تتجاوز ما يراه النحويون من أنَّها تُحوّلُ النكرة إلى معرفة، فهي تقوم بوظيفة الربط بين عناصر الجملة وأجزائها ربطاً يشبه ربط الإحالة بالضمير من حيث إنَّها تذكر السامع أو القارئ بشيءٍ سبق ذكره، أو معروف في الذهن جرى الكلام عليه، أو الإشارة له في السياق[١٦]، ويتضح ذلك في تحليله لهذه الآية المباركة: فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ [١٧]، فقال: ((واعلم أنَّ في الآية شيئاً آخر من جنس (النظم) وهو تعريف (الرأس) بالألف واللام، وإفادة معنى الإضافة من غير إضافة، وهو أحدُ ما أوجبَ المزية. ولو قيل: (واشتعل رأسي)، فصُرِّح بالإضافة، لذهب بعض الحسن))[١٨].

يلحظ في هذا التحليل الدقيق أنَّه رأى التعريف بالألف واللام من أدوات السبك في الخطاب، وجعله من مظاهر الإحسان والإجادة فيه.

وعدَّ بعض النصيين التعريف والتنكير من عناصر السبك النحوي، وقد عرَّفوه بأنَّه: ((وضع للعناصر الداخلة في عالم النص حين تكون وظيفة كل من هذه العناصر لاتحتمل الجدل في سياق الموقف. ومعنى أنْ تحدد الوضع باسم علم مثلاً أو بصفة هي معرفة، أنَّك تقول للسامع: إنَّ المحتوى المفهومي المقصود (المضبوط) ينبغي أنْ يكون سهل الاستحضار على أساس المساحات المعلومية المنشط بالفعل، أمَّا النكرات فتتطلب من ناحية ثانية تنشيط لمساحات معلومية أُخرى))[١٩]؛ أي: يمكن أنْ يشمل أي عنصر من عناصر عالم النص في نطاق دلالي مربوط بمركز الضبط. كما يقول الشاعر شريف الرضي في قصيدته (ولقد مررت على ديارهم):

تَلَفَّتُّ عَيْنِي، فمذْ خَفِيَتْ عنها الطُّلُولُ تَلَفَّتَ القَلْبُ

(١٥) كتاب الصناعتين:١٤٩.

(١٦) ينظر: في اللسانيات ونحو النص:٢٢٩.

(١٧) سورة مريم: الآية:٤.

(١٨) دلائل الإعجاز:١٠٢.

(١٩) النص والخطاب والإجراء:٣١٠.

فالقلب في هذا البيت ذو وصلة نموذجية بمركز الضبط وهو القائل؛ لأنَّ كل إنسانٍ له قلب؛ لذا لا يقال هنا مثلا: (تلفت قلبٌ) إلا أنْ يكون قد سبق ذكره بخلاف (القلب)، وتعريف (القلب) هنا أدَّى إلى هذا الترابط والانسجام، فالقائل (الشاعر) ذكر في البيت لفظ (عيني)، فلا بدَّ من أنْ يكون (القلب) مساوياً للفظ (قلبي)، فتمَّ الترابط بين أخر البيت وأوّله؛ لأنَّ دلالته تعود على شخص واحدٍ هو (القائل)، ولو أنَّه قال: (تلفت قلبٌ) لظهر التفكك والانفصام بين أجزاء البيت وعناصره، ويلتبس الأمر؛ إذْ يحتمل ألا يكون قلبه[٢٠].

لا شك في أنَّ تعريف لفظ (القلب) له قيمة دلالية كبيرة في عملية الترابط بين أجزاء النص؛ لأنَّ (ال) ناب مناب الضمير الغائب، والتقدير: (قلبي) وربط اللاحق بالسابق، ولو حذفنا (ال) التعريف من لفظ (القلب) لانفصم هذا الترابط، وانهدم هذا التماسك النصي؛ فهذا كله يرجع إلى حس الشاعر وعبقريته حينما ربط التفاتة القلب بالتفاتة العين بعد أنْ أوحى للمتلقي بأنَّ العين لم تعد قادرة على التلفت بعد أن أصبحت الطلول خارج نطاق البصر.

فأداة التعريف (ال) تدخل على الاسم النكرة فتجعله معرفة، كقولك: (جاءني رجلٌ فاحترمت الرجل)، يلحظ أنَّ بواسطة (ال) عيّن رجلاً محدداً من دون غيره من الرجال؛ لأنَّك تقصد بالرجل، رجلاً معيَّناً يعرفه المخاطب، بخلاف ما لو قلت: (جاءني رجلٌ فاحترمت رجلاً)، فإنَّ ذلك يفيد أنَّك احترمت رجلاً غير الأول، ففائدتها التنبيه على أنَّ الثاني هو الأول؛ إذ لو جيء به منكراً لتوهم به غيره[٢١].

وتشير أداة التعريف بحسب هذا الإسهام إلى مايسمَّى (المعلومات السابقة)؛ أي: مما ينسب إلى أداة التعريف أنَّها تتقدَّم الجمل والعبارات الدالة على ماسبق ذكره، في حين تُعَدُّ أداة التنكير إشارة إلى (معلومات لاحقة)، يقصد بها الوحدات اللغوية التي لم يفسِّرها ولم يوضِّحْها المتكلم بعد[٢٢].

وتظهر الدراسات اللسانية الحديثة قيمة البنية الإحالية لـ (ال) التعريف وهي محققة للترابط والانسجام النصي، وذلك يأتي من اتفاق الإحالة بين الاسمِ المُعَرَّفِ وعُنْصُرٍ آخر متقدمٍ عليه أو متأخرٍ.

وتقسم هذه البنية الإحالة على نوعين من الإحالة:

---

(٢٠) ينظر: نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي:١١٥.

(٢١) ينظر: شرح التصريح على التوضيح:١/١٨١- ١٨٢، ومعاني النحو:١/١٠٤

(٢٢) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، د فالح:٢٩، والنص والخطاب والإجراء:٣٠٧.

– إحالة مقامية تتحد بالسياق المقامي أو بالدلالة على الجنس أو بالعرف.

– إحالة مقالية قبلية وبعدية[٢٣].

ولتكون الصورة أوضح نأتي بهذا المثال: (كان في قدم الزمان عالمٌ) فهي:

– إشارة إلى معلومات لاحقة، لم تخصّصْ بعدُ، يتوقع السامع أو المخاطب أنْ يخبر أكثر من هذا العالم، ولكن حينما نقول: (كان العالم متواضعاً وحكيماً) فهي:

– إشارة إلى معلومات سابقة ينبغي أنْ يكون الاسم المطابق أو المَعْنِيُ قد ذكر من قبل في الجملة السابقة[٢٤]. ومن ثمَّ هذه الظاهرة اللغوية شائعة في لغات العالم ترتبط بالتقابل المركوز في أذهان أهل اللغة بين المعروف والمجهول، أو المعين والشائع في جنسه؛ لذلك كان هذا العنصر النحوي يكاد يكون واحداً في جميع اللغات، وإنْ كانت أدواته تختلف من لغة إلى أُخرى[٢٥].

نستنتج مما سبق أنَّ الوظيفة الأساسية لـ (ال) التعريف هي الربط بين النكرتين ربطاً معنوياً؛ يجعل معنى الثانية فرداً محدوداً معيناً فيما دخلت عليه وحده، الذي معناه ومدلوله هو النكرة السابقة ذاتها، فكل ذلك له علاقة بالتعين والتحديد الدلالي.

إذن الإحالة التي تخضع لقيد دلالي هو وجوب تطابق الخصائص الدلالية بين العنصر المشير (المحيل) والمشار إليه (المحال إليه)؛ لأنَّ الأداة (ال) مثل أي عنصر آخر للغة عبارة عن مجمل من المعاني والصيغ اللغوية التي ترتبط ببعضها بلا انفصام وانقطاع؛ لأنَّ التماسك والترابط النحوي لا يقتصر على الإحالة بواسطة الضمير فحسب، وإنَّما تنشأ الإحالة باستخدام أدوات أُخرى منها أداة التعريف.

البنية الإحالية لأداة (ال) الموصولة:

هي: اسمٌ موصولٌ في صورة الحرف؛ لأنَّها تكون بمعنى (الذي) وفروعه، يعني من المؤنث والمثنى والمجموع بلفظ واحدٍ، فهو للعاقل وغيره، كالسامع والمسموع، مفرداً وغير مفرد[٢٦].

---

(٢٣) ينظر: أصول تحليل الخطاب:١/١٢٨

(٢٤) ينظر: مدخل إلى علم اللغة النصي، د فالح:٢٩.

(٢٥) ينظر: التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل:١١.

(٢٦) ينظر: شرح المفصل لابن يعش ٣/١٤٣، وحاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك:١/٢٥١، واللباب في علل البناء والإعراب:٢/١٢٧.

وتُعَدُّ (ال) كلمة مستقلة فإنَّ الإعراب لا يظهر عليها؛ وإنَّما يظهر على الصفة الصريحة المتصلة بها، التي تعرب مع مرفوعها صلة لها؛ لأنَّ (ال) مع الصفة التي بعدها كالاسم الواحد أو بمنزلة الشيء الواحد؛ فكأنَّهما المركب المزج، يظهر إعرابه على الجزء الأخير منه[٢٧].

لاتكون (ال) اسماً موصولاً إلا إذا توفرت فيها الشروط الآتية:

- أنْ تكون مع وصفٍ؛ أي: عن ذات متصفة بما اتصف به؛ ومعبراً عن تلك الذات[٢٨].

- أنْ يكون الوصف صريحاً؛ أي: خالصاً الوصفية؛ لأنَّها في تأويل الفعل، ولم تغلب عليها الاسمية[٢٩]، ولايشُوبُها تأويلٌ.

يكون الوصف الصريح: هو الاسم المشتق الذي يشبه الفعل في التجدد والحدوث شبهاً قوياً، بحيث يمكن أنْ يحل الفعل محله[٣٠]، والمراد به اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، كقولك: هذا الضارب زيداً، والمراد: الذي ضرب زيداً، وهذا المضروب، والمراد: الذي ضرب أو يضرب، وهذا الحسن، والمراد: الذي حسن[٣١]؛ لأنَّ الصفة المشبهة صلة لـ (ال) لشبهها بالفعل في العمل وإنْ خالفته في المعنى.

إذنْ (ال) هنا ليس المقصود بها المعرفة، وإنَّما المقصود بها التي بمعنى (الذي)؛ أي: حلَّ (الذي) محل (ال) في العبارات السابقة، ففي هذه الحالة تكون اسماً موصولاً؛ لأنَّها اتصلت بها صفة صريحة [٣٢]، وقد قيل: إنَّ الصفات المشبهة ليست بشيءٍ؛ لأنَّ الصفة المشبهة وباقي المشتقات تدل على الثبوت فلا تؤول بالفعل، فهي إذن بعيدة من الفعل، قريبة من الأسماء الجامدة[٣٣].

---

(٢٧) ينظر: حاشية الصبان شرح الأشموني على ألفية ابن مالك:١/٢٥٩، وشفاء العليل في إيضاح التسهيل:٢٨٧، والنحو الوافي:١/٣٢١.

(٢٨) ينظر: شرح الرضي على الكافية:٣/٢٩.

(٢٩) ينظر: حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك:١/١٤٤، وشرح قطر الندى وبل الصدى:١١٢، والأزهار الزينة شرح متن الألفية:٣٤-٣٥.

(٣٠) ينظر: شرح ألفية ابن مالك في النحو لابن العثيمين:١٩٣، والخلاصة النحوية:٩٤.

(٣١) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش:٣/١٤٣، والمساعد على تسهيل الفوائد لابن عقيل على كتاب التسهيل لابن مالك:١/١٤٩.

(٣٢) ينظر: اللمع في العربية لأبي الفتح بن جني:١٢٧-١٢٨، والبيان في روائع القرآن:١٢٩.

(٣٣) ينظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب:١/٧١، والنحو

فلا تعد (ال) اسمًا موصولاً إذا دخلت على الصفة غير الصريحة، مثل أنْ يكون مصدرًا؛ لأنَّ المصدر يوصف به، فيقال: (فُلانٌ الرِّضا)، (فُلانٌ العَدْلُ)، فهنا: (الرضا، والعدل) ليسا صفة صريحة، وعلى هذا فلا تكون (ال) موصولة؛ لأنَّ الموصوليَّة لابدّ من أنْ تكون صلتها صفة صريحة، وكذلك (الأسد): قد يوصف به، ولكنه ليس بصفة صريحة، فـ (ال) الداخلة عليه – ولو في مقام الوصف– لاتكون موصولة؛ لأنَّ (ال) الموصولية لا تكون صلتها إلا صفة صريحة[٣٤].

لهذا فإنْ كان مابعد (ال) جامداً فلا تُعَدُّ (ال) اسماً موصولاً، نحو: (الرجل)، فـ(ال) الداخلة على (الرجل) هذه ليست اسماً موصولاً بل هي معرفة؛ لأنَّه لايصح أنْ نقول: (الذي رجل) فهو غير مستقيم.

– أنْ يكون الوصف لغير تفضيلٍ، فإنْ كان لتفضيل، فهي حرف تعريف، كقول الله تعالى: وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ [٣٥]، واللام ليستْ موصولةً؛ لأنَّها لا تُوصَلُ بأفعل التفضيل إجماعاً، و ليس جمعاً بل هو مفرد والعهد موجودٌ، وكذلك لا تكون بمعنى (الذي) في هذه الآية المباركة[٣٦].

فاسم التفضيل في هذه الآية الكريمة لا يكون صلة لـ (ال)؛ لعدم مشابهته الفعل لا من حيث المعنى ولا من حيث العمل، فهو يدل على الاشتراك مع الزيادة، والفعل يدل على الحدوث والتجدد[٣٧].

المصادر والمراجع

الإحالة في القرآن الكريم– دراسة نحوية نصية– للدكتور تامر عبد الحميد مُحْيي الدين أنيس، مكتب الإمام البخاري للنشر والتوزيع– القاهرة –، ط١، سنة (١٤٢٩هـ– ٢٠٠٨م).

الإحالة في نحو النص– دراسة في الدلالة والوظيفة– للأستاذ الدكتور أحمد عفيفي– جامعة القاهرة– (د– ط)، (د– ت).

الأزهار الزينة شرح متن الألفية:

الوافي:١/٣٢٠

(٣٤) ينظر: شرح ألفية ابن مالك في النحو لابن العثيمين:١٩٣.

(٣٥) سورة الليل: الآية: ١٧–١٨.

(٣٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن/٤:٥٧، والإحالة في القرآن الكريم دراسة نحوية نصية:١١٧.

(٣٧) ينظر: نحو اللغة العربية:١٦٨.

النص"، للأستاذ الدكتور محمد الشاوش ، المؤسسة العربية للتوزيع- تونس، ط١، (١٤٢١هـ – ٢٠٠١م) .

البرهان في علوم القرآن، لبدرالدين أبي عبدالله محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- ط١، (٢٠٠٧م) .

البيان في روائع القرآن، للأستاذ الدكتور تمام حسان، عالم الكتب،القاهرة، ط١، (١٤١٣هـ-١٩٩٣) .

تحليل الخطاب، لـ(ج.ب.براون و ج. يول) ترجمة وتعليق، د. محمد لطفي الزليطي و. د. منير التركي، النشر العلمي والمطابع- رياض- السعودية، (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) .

التعريف والتنكير بين الدلالة والشكل، للأستاذ الدكتور محمود أحمد نحلة، دار التوني للنشر والتوزيع(د- ط) و(د – ت) .

حاشية الخضري على شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لمحمد الخضري الشافعي، ضبط وتشكيل وتصحيح، يوسف شيخ محمد البقاعي، دار الفكر، ط١، (١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م) .**حاشية الصبان شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**،لأبي العرفان محمد بن على الصبان،(ت١٢٠٦هـ – ١٧٩٢م) ومعه، شرح الشواهد للعيني، تحقيق، طه عبدالرؤوف سعد، المكتبة التوفيقية (د- ط) و(د – ت) .

الخلاصة النحوية، لتمام حسان، عالم الكتب، ط١، (١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م) .

دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن بن محمد الجرجاني النحوي (٤٧٤هـ)، قرأه وعلَّق عليه، أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، ط٣، (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) .

الربط في اللفظ والمعنى، للأستاذ الدكتور محمود أحمد عكاشة، الأكادمية الحديثة للكتاب الجامعي- القاهرة –مصر، ط١، (٢٠١٠م) .

السبك النصي في القرآن الكريم دراسة تطبيقية في سورة الأنعام، لأحمد حسين عيال، إشراف، أ. م. د. محمد علي الشمري، رسالة ماجستير، كلية الآداب جامعة المستنصرية، (١٤٣٣هـ-٢٠١١م) .

شرح ألفية ابن مالك في النحو لابن العثيمين:

شرح التصريح على التوضيح : خالد عبد الله الأزهري (ت ٩٠٥ هـ) ، دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، (د . ت) .

شرح الرضي على الكافية، لرضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي، (ت٦٨٨هـ)، وهو من عمل يوسف حسن عمر، دار الكتب- بنغازي- ليبيا، ط٢، (١٩٩٦م) .

شرح قطر الندى وبل الصدى، لأبي محمد عبدالله جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ)، ومعه كتاب، سبيل الهدى بتحقيق قطر الندى، لمحمد محيي الدين عبدالحميد، دار الطلائع- القاهرة، (٢٠٠٩م) .

شرح متن الألفية – الملقب بالأزهار الزينية–، لأحمد زيني دحلان، وبهامشه البهجة المرضية في الألفية، لجلال الدين السيوطي (٩١١هـ)، ط١، (١٣١٠هـ) .

شرح المفصل، لموفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي الموصلي (٦٤٣ه)، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه، د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، ط١، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١) .

شفاء العليل في إيضاح التسهيل، لأبي عبدالله محمد بن عيسى السليلي (٧٧٠هـ)، تحقيق، د. الشريف عبدالله على الحسيني البركاتي، مكتبة الفيصلية، ط١، (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) .

علم لغة النص والأسلوب، لنادية رمضان النجار، مؤسسة حورس الدولية – الاسكندرية، (٢٠١٣م) .

علم لغة النص النظرية والتطبيق، لعزة شبل محمد، تقديم، أ. د. سليمان العطار، مكتبة الآداب- القاهرة، ط٢، (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م) .

علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية، لصبحي إبراهيم الفقي، دار قباء- القاهرة، ط١، (١٤٣١هـ-٢٠٠٠م) .

في اللسانيات ونحو النص، للدكتور إبراهيم محمود خليل، دار المسيرة، ط٢، (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م) .

كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ، تحقيق : علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، صيدا – بيروت ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م .

اللباب في علل البناء والإعراب، لأبي البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق، غازي مختار طليمات، دار الفكر المعاصر- بيروت- لبنان، ط١، (١٤١٦هـ-١٩٩٥م) .

لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، للأستاذ الدكتور محمد خطابي، المركز الثقافي العربي-بيروت- الدار البيضاء، ط١، (١٩٩١م) .

اللمع في العربية، لأبي الفتح عثمان ابن جني،(ت٣٩٢هـ)، تحقيق، د. سميح أبو مُغلي، دار مجدلاوي، عمان-

الأردن، (١٩٨٨م) .

مدخل إلى علم لغة النص، لفولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، ترجمة، فالح بن شبيب العجمي، مطابع الملك سعود، (١٤١٩هـ-١٩٩٩م) .

المساعد على تسهيل الفوائد، شرح منقح مصفى، لبهاءالدين عبدالله ابن عقيل العقيلي الهمداني المصري (ت٧٦٩هـ) على كتاب التسهيل،لابن مالك (ت٦٧٢هـ)، تحقيق وتعليق، د. محمد كامل بركات، فهرسة مكتبة فهد الوطنية، ط٢، (١٤٢٢هـ-٢٠٠١م) .

معاني النحو، للأستاذ الدكتور فاضل صالح السامرائي، دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، ط١، (١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م) .

مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لأبي محمد عبدالله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبدالله بن هشام الأنصاري المصري،(ت٧٦١هـ)، تحقيق، محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الطلائع، (٢٠٠٥م) .

مقالات في اللغة والأدب، للأستاذ الدكتور تمام حسان، عالم الكتب- القاهرة، ط١، (١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م) .

نحو اللغة العربية، للدكتور محمد أسعد النادري، المكتبة العصرية- صيدا – بيروت، سنة (١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م) .

نحو النص(اتجاه جديد في الدرس النحوي)، للأستاذ الدكتور أحمد عفيفي، مكتبة زهراء الشرق- القاهرة، ط١، (٢٠٠١م) .

النحو الوافي، للأستاذ الدكتور عباس حسن، دار المعارف بمصر، ط٢، (١٩٦٨م) .

نسيج النص بحث في ما يكون به الملفوظ نصاً، للأستاذ الدكتور أزهر الزناد، المركز الثقافي العربي، ط١، (١٩٩٣م) .

النص والخطاب والإجراء، لربوبرت دي بوجراند، ترجمة، للأستاذ الدكتور تمام حسان، عالم الكتب-القاهرة، ط١، (١٤١٨ه- ١٩٩٨م) .

نظرية التبعية في التحليل النحوي، للأستاذ الدكتور سعيد حسن بحيري، مكتبة الأنجلو المصرية، (١٩٨٨م) .

الاتساع الدلالي في جهود العلماء قديما وحديثا

د . مقبول علي بشير النعمة

الملخص

إن انفتاح الدرس الدلالي العربي الحديث على الدرس الغربي أسهم في الكشف عن مفهوم العديد من المصطلحات وتوضيحها، وهذا أمر أثرى . ولا شك . الدراسات العربية وأسهم في إنضاجها . ولكن ينبغي أن لا يتم إغفال البعد التأصيلي لأي مصطلح، لاسيما إن ضرب بجذوره في أعماق التراث العربي؛ فذلك من شانه زيادة توضيح مفهومه، وإغناؤه بتجربة ثقافية سابقة كانت قد أسسته وحربته في نقدها وإبداعها، هذا فضلا عن مد جسور التواصل نحو ثقافتنا، القديمة في تاريخها الحديثة في نظرتها .

Absteact

The openness of the modern Arab semantic lesson to the Western lesson has contributed to revealing the concept of many terms and clarifying them. This is undoubtedly enriched by Arab studies and contributed to their maturity. But the inherent dimension of any term should not be overlooked, especially if it is rooted in the depths of the Arab heritage; this would further clarify its concept, enrich it with a previous cultural experience that it had founded and fought in its critique and creativity, in addition to building bridges of communication towards our culture Its modern history in its outlook .

تنتظم في محتوى الدرس الدلالي الحديث مباحث تُعنى بالتطور الدلالي للكلمة. وفي أروقة تختلفُ عنواناتها . بين أعراض التطور الدلالي[١] ومظاهر التطور الدلالي[٢] وأشكال تغير المعنى[٣] والعلاقات الترابطية[٤] وغيرها[٥] . يدورُ حديث عن تطور معنى اللفظة من جهة توسيعه.

وربما أتى ذلك تحت مسمى (تعميم الدلالة) إذ اختاره الدكتور إبراهيم أنيس وقال عنه بأن الناس ((قد ينتقلون بالدلالة الخاصة إلى الدلالة العامة إيثاراً للتيسير على أنفسهم، والتماسا لأيسر السبل في خطابهم))[٦]، ومثَّلَ لذلك بكلمة (البأس) التي كانت في أصل معناها تختص بالحرب ثم أصبحت تطلق على كل شِدَّة.

كما اختار هذه التسمية الدكتور محمد المبارك، ورآه يكون في ((توسيع معنى اللفظ ومفهومه من الخاص الدال عليه إلى معنى أعم وأشمل))[٧] .

والدكتور أحمد مختار عمر يسميه (توسيع المعنى) ويراه متحققاً في الانتقال من معنى خاص إلى معنى عام، ويعرفه بـ: ((أن يصبح عدد ما تشير إليه الكلمة أكثر من السابق، أو يصبح مجال استعمالها أوسع من قبل))[٨]، ويضرب لذلك مثالاً كلمة (salary) الإنكليزية التي تعني (المرتب)، إذ كانت في الأصل تعني (حصة الجندي من الملح)، ثم أصبحت تطلق على (مرتب الجندي)، ثم أخذت تطلق على (كل أنواع المرتب) .

---

(١) ينظر: **دلالة الألفاظ**، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٣: ١٥٢ .

(٢) ينظر: **التطور الدلالي بين لغة الشعر ولغة القرآن**، عودة خليل أبو عودة، مكتبة المنار، الزرقاء، ط١، ١٩٨٥: ٥٦.

(٣) ينظر: **علم الدلالة**، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط ٥، ١٩٩٨: ٢٤٣.

(٤) ينظر: **علم الدلالة**، إف آر بالمر، ترجمة: مجيد الماشطة، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/الجامعة المستنصرية، بغداد، د. ط، ١٩٨٥: ٩٧ .

(٥) ينظر: **دلالة الألفاظ**: ١٥٥، **وعلم الدلالة العربي النظرية والتطبيق دراسة تاريخية تأصيلية نقدية**، فايز الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط٢، ١٩٩٦: ٢٨١ .

(٦) **دلالة الألفاظ**: ١٥٥

(٧) **فقه اللغة وخصائص العربية**، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ط٦، ١٩٧٥: ٢٨١.

(٨) **علم الدلالة**، أحمد مختار عمر: ٢٤٣ .

ويرى الدكتور حسن ظاظا أن هذا التطور يسهم في نمو الثروة اللفظية، ويعده نوعا من أنواع الاتساع اللغوي، يأتي نتيجة حتمية لتطور الفكر، ويراه في ((التعبير عن المجردات أو المعنويات بألفاظ منقولة عن الحسيات))[٩] . ويضرب لذلك أمثلة عدة ، منها: كلمة (الشرع) التي كانت في الأصل : الاتجاه نحو الشّرعة وهو مورد الماء . والطريق المؤدية إليها تسمى المَشرع والشارع، فانتقل اللفظ إلى ميدان آخر وأصبح يدل على القانون الذي ينظم حياة الناس فضلاً عن احتفاظه بأصل دلالته [١٠] .

ويرى الدكتور محمود السعران أن من الاتساع ما أصله المجاز ، ثم لكثرة الاستعمال أصبح كالأصل. فـ ((تسمية كل من قوائم الكرسي رِجلاً مجاز، وهكذا بسبب التشابه الفيزيقي تحول اسم من الأسماء واضح في أصل محدد ومحسوس. لقد حدث (تحول دلالي) وقد نتج عن ذلك اتساع استعمال كلمة (رِجل) ، وهذا هو الاتساع الدلالي للكلمات، لتشمل مسميات موضوعات جديدة تشبه الأصل شيئاً ما))[١١] .

وهذا الكلام وإن لبس شيئاً من ثوب الحداثة إلا أن العرب سبق وأن أجملوا القول فيه وفصلوا . ومما قالوه:((إن المعنى الذي استعملت العرب المجاز من أجله ميلهم إلى الاتساع في الكلام وكثرة معاني الألفاظ ليكثر الالتذاذ بها فإن كل معنى للنفس به لذة ولها إلى فهمه ارتياح وصبوة. . . ولهذا كان المجاز عندهم منهلا موروداً))[١٢] .

وتكاد صفحات البحث في هذه الجزئية تستقر في الدرس الدلالي الحديث فيما يتلخص في أن

---

(٩) **كلام العرب (من قضايا اللغة)**، حسن ظاظا، دار النهضة العربية، بيروت، د .ط، ١٩٧٦ :٤٦ .

(١٠) وقريبا من هذا يذهب الدكتور إبراهيم السامرائي. ينظر: **فقه اللغة المقارن**، إبراهيم السامرائي، دار العلم للملايين، بيروت، د .ط، ١٩٦٨ :٣١ .

(١١) **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، محمود السعران، دار النهضة العربية، بيروت، د .ط، د .ت:٢٧٤ . وينظر: **مباحث في علم اللغة واللسانيات**، رشيد عبد الرحمن العبيدي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ٢٠٠٢ :١٧٩ .

(١٢) **الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان**، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب المعروف بابن قيم الجوزية(ت٧٥١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، د .ط، د .ت: ١٠ .

اللفظة في إطار تطورها تضيف إلى معانيها معنى آخر أو أكثر من معنى، وهي بهذا توسع من حيز معانيها الممكنة لتتسع لأكثر من معنى، وليس ثمة تغيير جوهري يبتعد عن هذه الخلاصة غير أنه قد يأتي المتغير من خلال تسمية المصطلح[١٣] أو من خلال ذكر مزيد من الأمثلة وتوضيحها .

وإذا كان الدرس الدلالي العربي الحديث قد منح الاتساع الدلالي حيزا مهما بين مباحثه؛ إلا أنه لم يقف عند ما ينبغي الوقوف عنده من معرفة الدرس الدلالي العربي القديم بالتوسع الدلالي وقفة إشارة وإشادة إلا في النادر[١٤]، هذا في حين أن الاتساع له حضور واضح في المؤلفات العربية القديمة في المجالات المختلفة، في دليل ثابت على أن العرب كانت تعرف التوسع الدلالي، وأنها أسمته بمسمّاه الدقيق، وأن بين العلماء العرب ما يشبه الاتفاق على مضمونه ؛ فلم يُلحظ خلاف جوهري ولا جدال محتدم، لا على التسمية ولا على المضمون، فالمصطلح مستقر عندهم أو يكاد، وهم يتداولونه . مضموناً . تداولاً يرسم انطباعاً بأنهم يستعملون مصطلحاً لا مشاحّة فيه .

ويجدر هنا ذكر شيء مما ورد في مؤلفات عربية قديمة لمعرفة مفهومها عن التوسع الدلالي، وللإشارة إلى نضج معرفتهم به.

يرى القرطبي أن أصل (النكاح) الجماع ثم استعملت في التزوج اتساعاً[١٥]، ويرى ابن جني أن (الشِدَّة) استعملت في الشدة في الأمر ((لضرب من الاتساع))[١٦] وكان أصلها (الشدة في الحبل)، والزرقاني يعضد كلامه برأي الباجي* في أن العرب كانت تسمي الخروج إلى الميلين والثلاثة (بريدا) ولا

(١٣) يسميه . على سبيل المثال . عودة خليل أبوعودة (توسيع دلالة اللفظ) . ينظر: **التطور الدلالي**: ٥٦ .

(١٤) ربما يكون ما جاء في دراسة الدكتور فايز الداية من نوادر هذه الإشارات. ينظر: **علم الدلالة العربي**:٢٨١ .

(١٥) **تفسير القرطبي**: ج٢/٦٢ .

(١٦) **الخصائص**، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الهدى، بيروت، ط٢، د .ت: ج٢/ ١٦٣ .

* هو أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي، من علماء الأندلس وحفاظها، ولد سنة ٤٠٣هـ وتوفي سنة ٤٧٤هـ، له كتب عدة منها المنتقى وهو في شرح موطأ الإمام مالك .

تسميه (سفراً) ثم أخذ يُطلق على الخروج إلى البريد (سفراً) على وجه الاتساع[١٧].

ويقول ابن حجر في حديثه عن (الميقات) ويردف بكلامٍ لابن الأثير: ((وأصل التوقيت أن يجعل للشيء وقت يختص به ثم اتسع فيه فأطلق على المكان أيضاً قال ابن الأثير التوقيت والتأقيت أن يجعل للشيء وقت يختص به وهو بيان مقدار المدة . . . ثم اتسع فيه فقيل للموضع ميقات))[١٨]، وتدخل في هذا مواقيت الحج بوصفها أماكن للإحرام كما هو معروف. . . كما يجمع ابن حجر بين أقوال أبي عبيدة والفراء وابن الأثير ليبين توسع معنى (العبقري)، فأبو عبيدة يراها نسبة إلى أرض تسكنها الجن، والفراء يرى أن معناها السيد والفاخر من الحيوان والجوهر، وابن الأثير يرى أن العرب ((صاروا كلما رأوا شيئا غريبا مما يصعب عمله أو يدق أو شيئا عظيما في نفسه نسبوه إليها فقالوا عبقري ثم اتسع فيه حتى سمي به السيد الكبير))[١٩].

ويرى ابن الأثير في (الراكب) ((راكب الإبل خاصة ثم اتسع فيه فأطلق على كل من ركب دابة))[٢٠] ، ويقول عن (الحنتم) هي ((جرار مدهونة خضر كانت تحمل الخمر فيها إلى المدينة ثم اتسع فيها فقيل للخزف كله حنتم))[٢١]، ويرى أن معنى كلمة (تتضَحَّى) أي تنال الإبل من المرعى ثم أخذت تطلق على الإبل حينما تعود إلى المنزل وقد شبعت ((ثم اتسع فيه حتى قيل لكل من أكل وقت الضحى))[٢٢]، و أصل (الغائط) كانت تطلق على المطمئن من الأرض ثم أصبح يطلق على موضع قضاء الحاجة ((ثم اتسع فيه حتى صار يطلق على النَجْوِ نَفْسِهِ))[٢٣].

---

(١٧) **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**، محمد عبد الباقي بن يوسف الزرقاني (ت١١٢٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ: ج١/٤٢٤.

(١٨) **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني(ت٨٥٢هـ)، دار المعرفة، بيروت، د.ط، د.ت: ج٣/٣٨٥.

(١٩) **فتح الباري**: ج٧/٤٦.

(٢٠) **النهاية في غريب الحديث والأثر**، مجد الدين بن الأثير(ت٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر محمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، المكتبة الإسلامية، بيروت، ط١، ١٩٦٣: ج٢/٢٥٦.

(٢١) **النهاية في غريب الحديث**: ج١/ ٤٤٨.

(٢٢) **النهاية في غريب الحديث**: ج٣/ ٧٦.

(٢٣) **النهاية في غريب الحديث**: ج٣/ ٣٩٥.

وهناك كلمات كثيرة جدا أخذت حظها من الاتساع بتأثير إسلامي، كما أنها أخذت حظها من عناية القدماء بها . يقول ابن الأثير عن كلمة (الشهيد): ((والشهيد في الأصل من قتل مجاهداً في سبيل الله ويجمع على شهداء ثم اتسع فيه فأطلق على من سماه النبي ﷺ من المبطون والغريق والحريق وصاحب الهم وذا الجنب وغيرهم))[٢٤]، وفي حديثه عن لفظة (الصُرَعَة) في قوله ﷺ : ((ما تعدون الصُرَعَة فيكم؟ قالوا الذي لا يصرعه الرجال، قال هو الذي يملك نفسه عند الغضب))[٢٥] يقول ابن الأثير: ((هذا من الألفاظ التي نقلها عن وضعها اللغوي لضرب من التوسع والمجاز))[٢٦] .

وهناك من ظهر ميله إلى العقل في استنباط الاتساع أكثر من البحث في تاريخ معنى الكلمة؛ بأن ((تعالَ من الخاص الذي صار عاماً وأصله أن يقول من مكان عالٍ لمن هو أسفلَ منه ثم كثر واتُسِعَ فيه حتى عمَّ)) [٢٧] وهذا الكلام لم يدعمه بشاهد، ولم يعضَّدهُ برأي مستنبط من استعمال .

ومعرفة العرب بالاتساع لا تقف عند تبيان الكلمات التي توسعت معانيها فربما عابوا على بعضهم تأوّلَهم الاتساع فيما ليس فيه اتساع، ويتضح مثال ذلك عند الطبري إذ يقول: ((زعم أيضا من ضعفت

(٢٤) **النهاية في غريب الحديث**: ج٢ / ٥١٣ .

(٢٥) أخرجه أبو داود في كتاب (الأدب)، باب (من كظم غيظا) . **ينظر: سنن أبي داود**، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت٢٧٥هـ)، دار الحديث، القاهرة، د .ط، ١٩٨٨ :ج٤/٢٤٩ . وهناك ألفاظ أخرى عدة حدَّد الرسول ﷺ معاني جديدة لها على طريقة (ما تعدون. . .) مثل:(العائل)، فقد حدده بأنه الذي لم يقدم لنفسه خيرا ، بعد أن كانت تطلق على الذي لا مال له، و (الرقوب) حيث حددها بالذي لم يقدم من ولده شيء بعد أن كانت تطلق على الذي لا يبقى له ولد . ينظر: **مصنف عبد الرزاق**، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت٢١١هـ)، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ : ج١١/١٤٠.

(٢٦) **النهاية في غريب الحديث**: ج٢ / ٢٣. ٢٤

(٢٧) **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**(تفسير الزمخشري)، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن محمد الزمخشري(ت٥٣٨هـ)، ترتيب وضبط: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٦ :ج٢/٧٦. وينظر: **تفسير الكشاف للزمخشري دراسة لغوية**، دلدار غفور حمد أمين، دار دجلة، عمان، ط١، ٢٠٠٧: ٨٣.

معرفته بتأويل أهل التأويل وقلّة روايته لأهل السلف من أهل التفسير أن الرحمن مجازه ذو الرحمة، والرحيم مجازه الراحم ثم قال قد يقدرون اللفظين في لفظ والمعنى واحد وذلك لاتساع الكلام عندهم. . . وقد فعلوا مثل ذلك فقالوا ندمان. . .)) ! !(٢٨) .

إن الأمثلة المساقة آنفاً تبين أن الاتساع في معاني الكلمات قد استقر في الوعي اللغوي للعلماء العرب القدماء، كما أنه كان حاضراً في إرثهم المعرفي بوصفه مصطلحاً مستعملاً ومضموناً واضحاً، غير أن الغائب كان ربط التسمية بالمضمون من خلال تعريف اصطلاحي محدَّد، وهو الشيء الذي تداركه الدرس الدلالي الحديث فأحضَرهُ وربّما ترجَمَهُ من لغات أخرى.

وسوى هذا بقيت الإشارة إلى اتجاه دلالي آخر يرى ابن الأنباري فيه، ومن قبله قطرب أن الاتساع في الكلام سوغ للعرب استخدام الأضداد في لغتهم، فكلام قطرب يعتمده ابن الأنباري في هذا النص إذ يقول: ((إنما أوقعت العرب اللفظتين على المعنى الواحد ليدلوا على اتساعهم في كلامهم، كما زاحفوا في أجزاء الشعر ليدلوا على أن الكلام واسع عندهم، وأن مذاهبه لا تضيق عليهم عند الخطاب والإطالة والإطناب))(٢٩) . ثم يوضح ابن الأنباري هذا الكلام فيقول: ((إذا وقع الحرف ـ الكلمة ـ على معنيين متضادين، فالأصل لمعنى واحد، ثم تداخل الاثنان على جهة الاتساع . فمن ذلك: الصريم. يقال لليل: صريم وللنهار: صريم؛ لأن الليل ينصرم من النهار، والنهار ينصرم من الليل، فأصل المعنيين من باب واحد وهو القطع. وكذلك: الصارخ المغيث والصارخ المستغيث. سميا بذلك لأن المغيث يصرخ بالإغاثة والمستغيث يصرخ بالاستغاثة، فأصلهما من باب واحد . وكذلك: السُّدْفَةُ الظلمة ، والسدفة الضوء. سميا بذلك لأن أصل السدفة الستر، فكأن النهار إذا

(٢٨) **تفسير الطبري**: ج١/٦٨ . وينظر: **النهاية في غريب الحديث**: ج١ / ٥٨ . والمقصود بكلام الطبري هنا هو أبو عبيدة معمر بن المثنى.

(٢٩) **الأضداد في اللغة**، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت٣٢٨هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، د.ط، ١٩٦٠: ٩.٨.

أقبل ستر ضوؤه ظلمة الليل، وكأن الليل إذا أقبل سترت ظلمته ضوء النهار))[٣٠] .

إن انفتاح الدرس الدلالي العربي الحديث على الدرس الغربي أسهم في الكشف عن مفهوم العديد من المصطلحات وتوضيحها، وهذا أمر أثرى ـ ولا شك ـ الدراسات العربية وأسهم في إنضاجها . ولكن ينبغي أن لا يتم إغفال البعد التأصيلي لأي مصطلح، لاسيما إن ضرب بجذوره في أعماق التراث العربي؛ فذلك من شانه زيادة توضيح مفهومه، وإغناؤه بتجربة ثقافية سابقة كانت قد أسسته وحربته في نقدها وإبداعها، هذا فضلا عن مد جسور التواصل نحو ثقافتنا، القديمة في تاريخها الحديثة في نظرتها .

(٣٠) **الأضداد في اللغة**: ٩٨ .

نباء الجملة الفعلية في معلقة لبيد بن ابي ربيعة – دراسة نحوية

د . رحاب جاسم عيسى

الملخص

وقد خصص هذا البحث لدراسة نوع واحد من الجملة العربية وهي الجملة الفعلية، ولتعلقي بالشعر العربي القديم اتخذت منه مسرحاً لدراسة تركيب الجملة الفعلية وأنماطها متمثلة بمعلقة لبيد بن ابي ربيعة وقد جاء هذا البحث في ثلاثة فصول تقدمها تمهيد وقسم التمهيد الى قسمين تناول الاول منه دراسة الجملة الفعلية وتعريفها في حين تضمن الثاني نبذة عن المعلقات والوقوع على المعنى اللغوي والاصطلاحي لها،

وتحدث الفصل الاول من البحث عن جملة الفعل الماضي المبني للمعلوم والماضي المبني للمجهول وانماط الجملة وتركيبها في شعر لبيد في حين جاء الفصل الثاني لدراسة جملة الفعل المضارع وتراكيبهُ.

وخصص الفصل الثالث لدراسة قضايا نحوية اخرى متعلقة بالجملة الفعلية

وختم البحث بخاتمة توصلنا فيها الى اهم النتائج في دراسة تراكيب الجملة الفعلية في معلقة لبيدوتنوعها وتعدد انماطها .

abstract

This research has been devoted to the study of one type of the Arabic sentence, the actual sentence, and to relate to the ancient Arabic poetry has taken a scene to study the structure of the actual sentence and its patterns represented by the hanging of bin bin Abi Rabia This research came in three chapters provided by the preamble and the Department of the introduction to two sections of the first study of the sentence While the second includes a brief on the commentaries and the occurrence of the linguistic and idiomatic meaning of it،

The first chapter of the research talked about the sentence of the past verb based on the known and the past built of the unknown and the patterns of the sentence and their composition in Lapid's poetry, while the second chapter came to study the sentence of the present tense and its structures.

Chapter 3 is devoted to other grammatical issues related to the actual sentence

The research concluded with a conclusion in which we reached the most important results in the study of the actual sentence structures in a pendent of its diversity and multiple types.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه واله وسلم وعلى اله وصحبة الغرّ الميامين.

لا شك ان دعامة العلوم العربية وقانونها الاعلى الذي نرجع اليهِ في جميع مسائلها هو (النحو) فهل ندرك كلام الله عز وجل وفهم وظائف التفسير وحديث رسولهِ (صلى اللهى علية وسلم) ألا بالهام النحو وارشادةِ فضلاً عن دورهِ البارز في فهم كلام العرب المنظوم والمنشور .

وتعد الجملة النموذج التركيبي الذي تأتي على مسالهِ الاحداث كونها ليست مجموعة من الكلمات بل هي الى جانب هذا عدد لتركيب الكلمات وبعد المسند والمسند اليهِ اساس الجملة .

وقد خصص هذا البحث لدراسة نوع واحد من الجملة العربية وهي الجملة الفعلية، ولتعلقي بالشعر العربي القديم اتخذت منه مسرحاً لدراسة تركيب الجملة الفعلية وأنماطها متمثلة بمعلقة لبيد بن ابي ربيعة وقد جاء هذا البحث في ثلاثة فصول تقدمها تمهيد وقسم التمهيد الى قسمين تناول الاول منه دراسة الجملة الفعلية وتعريفها في حين تضمن الثاني نبذة عن المعلقات والوقوع على المعنى اللغوي والاصطلاحي لها،

وتحدث الفصل الاول من البحث عن جملة الفعل الماضي المبني للمعلوم والماضي المبني للمجهول وانماط الجملة وتركيبها في شعر لبيد في حين جاء الفصل الثاني لدراسة جملة الفعل المضارع وتراكيبهُ.

وخصص الفصل الثالث لدراسة قضايا نحوية اخرى متعلقة بالجملة الفعلية تمثلة في :

- وقوع الجملة الفعلية مضافاً ليها
- اعمال اسم الفاعل
- نفي الجملة الفعلية

وختم البحث بخاتمة توصلنا فيها الى اهم النتائج في دراسة تراكيب الجملة الفعلية في معلقة لبيدوتنوعها وتعدد انماطها .

التمهيد

اولاً : الجملة في اللغة

يقول ابن فارس [١] . (٣٩٥ه)

(جَمَلَ) : الجيم والميم واللام أصلان :احدهما تجمع وعظم الخلق ، والاخر حسن : فالأول قولك: أجملتُ الشيء وهذِهِ جملة الشيْ ، وأجملتهُ حصلتهُ : وقال تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليهِ القرأن جملة واحدة) [٢] .

---

[١] مقاييس اللغة : ٢:/٦٤ .

[٢] سورة الفرقان – اية ٣٢ .

ويتضح مما سبق ان الفعل (جَمَلَ) يأتي بمعنى تجمع شيء ويأتي بمعنى تحصل حساب اواجمالِ .

الجملة في الاصطلاح

عبارة عن مركب من كلمتين اسندت احداهما الى الاخر سواء افاد كقولك (زيدُ قائم) لم يفد كقولك (أن يكرمني) فإن الجملة لاتفيد الا بعد مجيء جوابهِ فتكون الجملة أعم من الكلام مطلقاً يقول الدكتور ابو المكارم ت(٢٠١٥) إن لفظ الجملة لم يستقم في النحو الا في عصر متأخر نسبياً[٣] .

اذ كان اول من استعملهُ مصطلحاً محدد الدلالة (محمد بن يزيد المبرد) ت(٢٨٥ه) في كتابهِ المقتضب[٤] .في معرض حديثِهِ عن الفاعل وكان يقصد بمصطلح الجملة الفعل والفاعل ، والمبتدأ والخبر وكان سيبوية [٥] . (١٨٠ه) قد اطلق مصطلح المسند والمسند اليه على ركني الاسناد وحدد ابن جني [٦] . ت(٣٩٢) ه مفهوم الجملة عن طريق المقابلة والمقارنة بينهما وبين عدد من المصطلحات الاخرى وعلى رأسها مصطح الكلام والقول .

وقد كان مفهوم الجملة عند ابن هشام الانصاري [٧] .ت(٧٦١) ه فقد سار في الاتجاه الذي سار في الاتجاه الذي يعرف بينهما وبين الكلام وقسم الجملة الى ثلاثة انواع – فعلية – واسمية- وظرفية والى صغرى وكبرى .

أقسام الجملة :الجملة الفعلية و الجملة الاسمية .

الجملة الفعلية وهي الجملة التي صدرها فعل وقد تحدث سيبوية [٨] . عن الفعل فقال (أما الفعل فأمثلة اخذت من لفظ احدث الأسماء وبنيت لما مضى فذهب وسمع ومكث وصمد واما بناء مالم يقع فإنه قولك آمدا :أذهب وأقتل واضرب ،فخبراً :يذهب ويضرب ويقتل ويضربُ وكذلك بناء مالم ينقطع وهو كائن اذا اخبرت[٩] . قال ابن هشام[١٠] . مرادنا بصدد الجملة المسند والمسند الية فلا عبرة بما تقدم عليها من الحروف. فالجملة من النحو (أقائم الزيدان) ، أزيدُ اخوك (لعل اباك منطلق) و (وما زيد قائم أسمية ومن نحو(اقائم زيد) (إن قام زيد) (وقد قام زيد) (وهل قمت) فعلية والمعتبر ايضاً ما هو صدرفي الاصل) .

---

[٣] الجملة الفعلية:٤٥ .

[٤] : ١٣٠/٢ .

[٥] الكتاب : ٨٢/٢ .

[٦] الخصائص : ٥١/٢ .

[٧] مغني اللبيب عن الاعاريب : ٦٤/١ .

[٨] الكتاب : ١٣/٢ .

[٩] شرح شذور الذهب : ٨٥ .

[١٠] مغني اللبيب : ٨٢ .

يريد ابن هشام أن الجمل اذا تصدرت بكيف للاستفهام على الاشتغال او بحال تقدم على صاحبهِ او ما شابه ذلك فهي جملة فعلية لان هذه الاسماء على نية التأخر [١١] . وكذلك الجمل المصدرة بأداة وبأداة شرط او بمجرور بواو القسم هي ايضاً فعلية لامن صدورها في الاصل افعال [١٢] . وقد حاول النحاة بيان اي الافعال أسبق قال الزجاجي (أعلم ان) .

أسبق الافعال في التقدم المستقبل لان الشيء لم يكن ثم كان . والعدم سابق الوجود فهو في التقدم منتظر ثم يصير الحال ثم ماضياً ، فيخبر عنه في المضي فأسبق الافعال في المرتبة المستقبل ثم الفعل الحال ثم الماضي) . على ان هذا الزجاجي عندما حدث عن الافعال في كتاب اخر له بدا بالفعل الماضي ثم بالمستقبل ثم بالحال ،قال : الافعال ثلاثة فعل ماضي وفعل مستقبل وفعل في الحال يسمى الدائم . فالماضي ما حسن منه امس وهو مبني على الفتح ابدا،نحو قام وقعد والمستقبل ما حسن فية وكانت في اول احدى الزوائد الاربعة وهي تاء او ياء او نون او الف نحو قولك اقوام ويقوم وتقوم .

واما فعل الحال فلا فرقبينه وبين المستقبل في الفظ كقولك زيد يقوم الان ويقوم غداًفاذا اردت ان تخلصهُ للأستقبال دون الحال ادخلت عليهِالسين او سوف يقوم وسيقوم) .

وقد سارت كتب[١٣] . النحو كلها اوجلها بعد ذلك على تقسيم الفعل الى ماضي ومضارع وامر . المضارع هو حال . وقد اتخذت في هذا البحث هذا التقسيم الشائع .الماضي فالمضارع ولكن ارجأت الحديثعن فعل الامر الى الباب الثالث حيث الحديث عن الجمل الأنشائية .

ثم تكلم البحث عن قضايا اخرى متعلقة في الجملة القفعلية ندرجها بالنقاط الاتية :

- وقوع الجمل الفعلية في محل جر مضافاً الها .
- اسم الفاعل العامل عمل فعلهِ .
- نفي الجملة الفعلية.

وقد تجلت في تلك القصائد خصائص الشعر الجاهلي ويبلغ عددها سبع وفيمقولة اخرى ان عددها عشر معلقات إذ تم اضافة ثلاث معلقات ليصبح عددها عشر معلقات ومن شعراء المعلقات أمرؤ القيس – طرفة ابن العبد – زهير ابن ابي سلمى – لبيد ابن

---

[١١] الاشباه والنظائر في النحو ، فخر الدين قباوة : ٧٤ .

[١٢] الجمل في النحو : ٧–٨/مغني اللبيب :٨٦/١.

[١٣] = : الكتاب :١٣٣/٢،المقضب :٩٢/٢، جمع الهوامع شرح جمع الجوامع – السيوطي:٨/٢

ربيعة – عملا بن كلثوم – عنتر بن شداد – والحارث ابن حلزة اليشكري .

وموضوع دراستنا النحوية في اطار شعر (معلقة) لبد بن ابي ربيعة [١٤] .المبحث الأول

جملة الفعل الماضي:

وردت جملة الفعل الماضي في معلقة لبيد ابن ابي ربيعة ضمن عدة اقسام وانماط تبين التراكيب اللغوية في الشعر .(المعلقة)

١- القسم الاول : جملة الفعل الماضي المبني للمعلوم هذهِ الجملة منتشرة أنتشاراً واسعاً في معلقة لبيد ابن ابي ربيعة ، وقد تنوعت تنوع الفاعل فيها ، فيما يأتي الانماط التي تتوزع فيها الجملة [١٥] .

اولاً : الفعل الماضي ، الفاعل الظاهر النكرة

ورد هذا النمط كثيراً في معلقة لبيد بعضها كان الفعل فيه مذكراً وبعضها كان الفعل فيهِ مؤنثاً وفروع هذا التركيب اللغوي كالاتي:

١- الفعل الماضي المذكر والفاعل اسم ظاهر ورد في قول لبيد

فبنى لنا بيتاً رفيعاً سمكُهُ – فسَمَا إليهِ كهلُها وَغلامُهَا [١٦] .

سما: من السمو ، وهو الارتفاع والعلو ، والكهل هو الذي جاوز الثلاثين من عمره[١٧] .

وسما: فعل ماضي مبني على الفتح المقدرة على الالف للتعذر.

كهلها: فاعل سما (نكره) والهاء في محل جر بالأضافة.

٢- الفعل الماضي المؤنث والفاعل نكرة

وهذا التركيب ورد بكثرة في معلقة لبيد بن ابي ربيعة كونهُ يخاطب المؤنث في معلقتهِ.

قول لبيد

فلهَا هِبابٌ في الزمامِ كأنّها صهباءُ خفّ مع الجنوبِ جهامُها [١٨] .

---

[١٤] هو لبيد بن ربيعة بن مالك العامري،وقد لقب بأبي عقيل ،وهومن أهل نجد من قبيلة هوازن وقد أدرك الأسلام لذلك يعدهُ البعض من الصاحبة وقدأستقر بعدإسلامهِ في الكوفة ويذكر أَن ام المومنين عائشة (رضي الله عنها) كانت تحفظ قراءة المئة بيت في الشعر – ومطلع معلقة لبيد بن ربيعة :عفت الديار محلها فمقامها

[١٥] الايضاح في علل النحو : ٨٦ .

[١٦] ديوان لبيد بن ابي ربيعة شرح الطوسي : ٨٤ .

[١٧] : لسان العرب–مادة (سمو):٦٣/٧ ، مادة (كهل):٧٧/٨.

[١٨] الديوان : ٣٦ .

وقد ورد الفاعل معرفة مثل قول الشاعر :.

وجلا السيول عن الطولِ كأنها زبد تجدِ متونها أقلامها [١٩] .

جلا : كشف : السيول جمع سيل ، وهو ما يجتمع من الماء السماء في الوادي وغيرهُ [٢٠] .

جلا : فعل ماضي مبني على الفتح المقدر على الألف للتعذر .

السيول :. الاسم المعرفة فاعل مرفوع وعلامة رفعهِ الضمة.

جملة الفعل الماضي ، الفاعل اسم ظاهر معرفة ورد هذا النمط في معلقة لبيد كثيراًوتنوع الفاعل فيهِ بين التذكير والتأنيث ومن هذهِ التراكيب اللغوية

قول الشاعر :

حتى اذا انحسر[٢١] الظلامُ وأسفرت – بثرت تزِل عن الثرى ازلامها ف(أنحسر) فعل ماضي ، والظلام فاعلهُ معرفة.

وقولهِ ايضاً [٢٢] فبتلك اذ رقص اللوامع بالضحى – واجتاب اردية السراب اكامها ف (رقص) فعل ماضي (اللوامع) فاعلهِ معرفة.

ومثلهُ ايضاً قولهُ:. [٢٣] .

إنا إذا التقيتِ المجامع لم يزل منا لِذاذ عظيمةٍ جشامُها

فعل الشرط (التقت) ماضي وفاعلهُ (المجامع) معرف ب أل .

- جملة الفعل الماضي والفاعل ضمير وهو على نوعين اما ضمير بارز او مستتر .
- وقد ورد هذا التركيب كثيراً في معلقة لبيد منه قولهِ: [٢٤] .

فوقفتُ اسألها وكيف سُؤالنا – صُماً خوالِدُ ما يبين كلامها فجملة الفعل الماضي (وقفت وفاعلها ضمير الرفع المتحرك (التاء)

رجعاً بأمرهما ذي مرة حصدٍ ونجح صُريمةٍ أبدامها[٢٥] .

---

[١٩] لسان العرب : مادة (جَلاَ) : ٣/١٨٠. = الديوان : ٥٢ .

[٢٠] لسان العرب : مادة (جَلاَ) : ٣١/١٨٠.

[٢١] أَنحسر : انكشاف وأنجلى . . . =: لسان العرب .

[٢٢] ديوان لبيد : ٩٧ .

[٢٣] :م.ن:٢٤.

[٢٤] م.ن لبيد :٨٤ – ٢٥ – م.ن : ٩٥ .

[٢٥] : شرح ابن مالك للألفية:١/٩٣.

(رجعاً) فعل ماضي والف الاثنين ضمر متصل في محل فاعل

(رجعاً) فعل ماضي لازم وقد ورد متعدي في قولهِ تعالى :[٢٦]

(فإن رجعك الله الى طائفةٍ منهم فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا مع ابداًولن تقاتلوا معى عدواً أنكم رضيتم بالقعود اول مرةٍ فاقعدوا مع الخالقين): .

- جملة الفعل الماضي ، والفاعل ضمير مستتر

وهذا التركيب ورد في قول الشاعر :

مدية خلت بفيد وجاورت- أهل الحجاز فأين منك فرهامها

(فجاورت)فعل ماضي وفاعله ضمير مستتر تقديره (هي)وهي جملة معطوفة على الجملة التي قبلها .

جملة الفعل الماضي المبني للمجهول

وهذا التركيب ورد في شعر لبيد كثيراً منه قوله: .

رزِقت مرابيع النجوم وصابها ودق القواعد جودها فزهامها [٢٧] .

اي رزق الله تلك الديار[٢٨] . امطار الانواء الربيعية ف(رزقت) فعل ماضي مبني للمجهول والتاء للتأنيث ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره (هي) يعود الى الديار المذكور في قول الشاعر : .

من تجرم بعد عهد انيسها حجج خلون حلالها ومرامها[٢٩] .

ومثله قول الشاعر : .

حفزت فزيلّها الراب كانها اجراع بيشة اثلها ورضامها

ف (حفزت) فعل ماضي مبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره (هي) .

المبحث الثاني

جملة الفعل المضارع

تتضمن جملة الفعل المضارع عدة اقسام وانماط تبين تنوع التركيب اللغوي في معلقة لبيد بن ابي ربيعة وفيما يأتي الاقسام التي تتشكل في جملة الفعل المضارع.

القسم الاول : . الفعل المضارع المبني للمعلوم وتنقسم الى انماط عدة حسب تنوع الفاعل.

القسم الثاني: . الفعل المضارع المبني للمجهول وينقسم الى انماط عدة حسب تنوع نائب الفاعل[٣٠] .

---

[٢٦] سورة : التوبة ٩-آية :٨٣ ، = : شرح ابن مالك للالفية : ٩٣/١ .

[٢٧] ديوان لبيد :١١٥.

[٢٨] = : شرح ابن عقيل لألفية إبن مالك :-٣٤/٢.

[٢٩] ديوان لبيد :٦٢.

القسم الاول : . الفعل المضارع المبني للمعلوم

ورد الفعل المضارع المبني للمجهول في عدة مواضع في شعر لبيد بن ابي ربيعة وقد تنوع الفاعل فيها بين نكرة ومعرفة وضمير وفيما يأتي بيان التراكيب اللغوية التي وردة فيها جمل الفعل المضارع .

النمط الاول : الفعل المضارع والفاعل اسم ظاهر نكرة ورد هذا النمط في مواضع كيرة من معلقة لبيد واكثرها كان الفعل فيها مذكراً وفي القليل مؤنثاً ومن مواضع هذا التراكيب اللغوي[٣١] . قول لبيد بن ابي ربيعة: .

يعلو طريقة متنها متواتر في ليلةٍ

كفر النجوم غمامها

ف (يعلو) فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعة الضمة المقدرة وهو فعل معتل الاخر (بالواو) وفاعلِه (متواتر) [٣٢] . أسم ظاهر مذكر

ومثله قوله:

اقضي الليانة لا أفرط ريبةً أو أن يلوم

بحاجةٍ لوامها[٣]

ف (يلوم) فعل مضارع صحيح الاخر مرفوع وعلامة رفعهِ الضمة و(لوامها) فاعلها اسم ظاهر مذكر.

من مواضع مجيء الفاعل مؤنثاً قول لبيد

لو لم تكن تدري نوار بأنني وصالُ

عقد حبائلٍ جذامها [٣٣] .

ف (تدري) فعل مضارع معت الاخر مرفوع وعلامة رفعهِ الضمة المقدرة على الياء للثقل(نوار) فاعلهِ ظاهراً مؤنثاً [٣٤] . وقد يأتي الفاعل ضميراً متصلاً في جملة العل المضارع.

قول لبيد :

لا يطبعون ولا يبور فعالهمُ إذ لا يميل مع الهوى

احلامها

لا نافية

(يطبعون) فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لانه من الافعال الخمسة.

---

[٣٠] =:الأيضاح :٥٧ .

[٣١] ديوان لبيد:١٠٧ .

[٣٢] :م.ن :١٨، متواتر : متتابع ، قال الاصمعي المتواتر ان يجيء الشيء ردف الشيء .

[٣٣] م.ن : ٣٦ ، الفعل تدري متاخر

[٣٤] الجملة الفعلية : الجملة العربية تأليفها وأقسامها – فاضل صالح السامرائي١٧–١٨ .

وضمير الواو مبني في محل رفع فاعل [٣٥] . ومن مواضع مجيء الفاعل ضميراً مستتراً مع جملة الفعل المضارع قول لبيد[٣٦] :

يعلو بها حدب الاكامُ مسحجٌ قد رابه عضائها ووصامها

ف (يعلو) فعل مضارع مرفوع بالضمة والفاعل ضمير مستتر تقديره (هو) يعلو الى احقب في البيت السابق .

قول لبيد: .

تزقى وتطعن في العنان وتنتحي ورد الحمامة إذ أجد حمامها

ف (الفعلان) ترقى وتطعن مضارعان مرفوعان بضمة مقدرة على الالف للتعذر وفاعلها ضمير مستتر تقديره (هي) يعود الى الفرس المذكور في الابيات السابقة.

اما القسم الثاني من الجملة الفعل المضارع والمتمثل بالبناء للمجهول .

فقد تنوعت انماط هذا القسم بتراكيب لغوية متعددة منها قول لبيد : .

وكثرة غرباؤها مجهولةٍ ترجى نوافلها ويخشى ذامها

و(ترجى) فعل مضارع مبني للمجهول مرفوع بالضمة المقدرة (نوافلها) نائب فاعل مرفوع وهو أسم ظاهر، وقد ورد نائب الفاعل ضميراً مستتراً في جملة الفعل المضارع.

وتمثل في قول لبيد: .

ويكللون إذ الرياح تناومت خلجاً تمد شوارعاً ايتامها [٣٧] .

(تعد) فعل مضارع مرفوع صحيح الاخر مرفوع بالضمة وفاعلهِ ضميراً مستتراً تقديره (هي) يعود الى خلجاً [٣٨] .

المبحث الثالث

قضايا نحوية في الجملة الفعلية

وقوع الجملة الفعلية في محل جر مضافاً اليها وتعرب الجملة الفعلية في محل الجر بالاضافة إذا وقعت بعد (حيث) و(إذا) و(يوم) وقد تحدث سيبويه (حيث)

---

[٣٥] الكتاب : ٢/٢٣٨، شرح مفصل الزمخشري –ابن يعيش :١/١٠٢، بناء الجملة في الحديث النبوي الشريف –عودة خليلٌ:٤٦ .

[٣٦] ديوان لبيد : ٣ .

[٣٧] ديوان لبيد : ٧٧ .

[٣٨] شرح ابن مالك للالفية : ٢/١٧١ ، شرح الزوزني للمعلقات بالسبع : ٧٢٤ .

فقال ، واما حيث فمكان بمنزلة قولك هو في المكان الذي فيه زيدٌ [٣٩] .

وقال المبرد : (حيث) أسم من اسماء المكان مبهم يفسده ما يضاف اليه[٤٠] .

وتحدث ابن الانباري عن (حيث) قال لاتضاف الا الى الجمل [٤١] .

وتحدث النحاة عن (إذ) الظرفية ايضاً فقال سيبوية في باب تسميتك الحروف بالظروف : (وكذلك (اذ) هي كالحين ، وبمنزلة ماهو جوابه) [٤٢] .

وقال المبرد : واما (إذا) فتبنى عن زمان ماضي وأسماء الازمان تضاف الى الافعال[٤٣] .

وقد رصدنا هذا النوع من الجمل المضافة في معلقة لبيد بن ابي ربيعة متمثلة بأضافة الجملة الى ظرف الزمان (إذا) .

في قول الشاعر : .

حتى أذا أنحسر[٤٤] . الظلام واسفرت[٤٥] . تبشرت تذل عن الثرى أزلامها [٤٦] .

ف (حتى) حرف بداء وهي عبارة لاذا ، وإذا: ظرف لما يستقبل من الزمان خافض لشوطهِ منصوب بجواب مبني على السكون في محل نصب (أنحسرَ) فعل ماضي شرط إذا واجملة الفعلية (انحسر الظلامُ) في محل الجر بالاضافة أذا اليها .

ومثل ذالك قول لبيد : .

حتى إذا يئست واسحق خالقِ لم يبلهِ ارضاعها وفطامها[٤٧] .

اسم الفاعل العامل عمل فعلهِ.

تحدث سيبوية في بابٍ(اسم الفاعل الذي جرى مجرى الفعل المضارع في المفعول وفي المعنى ما فإذا اردت فيهِ من المعنى ما أردت في يفعل كان نكرة منوناً) [٤٨] .

وقال المبرد : (فأسم الفاعل –قلت حروفه أو اكثرت– بمنزلة الفعل المضارع الذي معناه يفعل) [٤٩] .

---

[٣٩] الكتاب : ٢٣٣/٤ .

[٤٠] المقتضب : ٥٤/٢ .

[٤١] منثور الظرائر : ٤٣ .

[٤٢] الكتاب : ٢٦٧/٣١ .

[٤٣] المقتضب : ٥٤/٢ .

[٤٤] انحسر : انكشف وانجلى

[٤٥] أَسفرت :دخلت في الأَسفاراي بياض الصباح)قال تعالى (والصبح اذا اسفر)سورة : المدثر ، أَية= ٣٤ اي اشرق واضاء =: لسان العرب مادة(حَسَرَ) ومادة (سَفَرَ) .

[٤٦] الديوان : ٣٣.

[٤٧] م.ن : ٦٥ .

[٤٨] الكتاب :١٦٤/١.

وقد فصلت كتب النحو في شروط عمل أسم الفاعل النكرةالمنون – والمعرف ب أل .

وقد ورد أسم الفاعل عاملاً عمل الفعل في معلقة لبيد في قولهِ: .

مشمولةٍ غِلثت بنابتِ عروجٍ كدفانِ نار ساطع أسنامها [٥٠] .

ف (ساطع) أسم فاعل وهو صفة ل(نار) عمل عمل فعلهِ كونه نكرة مونة و (أسنامها) فاعل لساطع و(ها) ضمير متصل في محل جر بالاضافة[٥١] .

نفي الجملة الفعلية :

وردت الجمل الفعلية منفية بأدوات النفي في معلقة لبيد بن ابي ربيعة وقد رصدنا النفي ب(لا) و (لم) وسنعرض شواهد لنفي الجملة الفعلية ب(لا) و(لم) .

لا النافية ، الجملة الفعلية .

هي لا النافية ، وليس لها اثر في الاعراب ، وصفها سيبويه[٥٢] . فقال : وذلك لانها لغو بمنزلة (ما) في قولهِ تعالى :(فبما رحمة من الله لنت لهم) [٥٣] . فما بعد كشيء ليس قبله (لا) وتدل(لا) على مالم يقع[٥٤] .

وقد ورد هذا التركيب في معلقة لبيد في اكثر من موضوع منها قولهِ : .

لمغفرٍ قهد تنازع مثيلوهُ غبس كواسبُ لايمن طعمها

ف (لا) نافية غير عاملة لا محل لها من الاعراب والفعل المضارع المبني للمجهول (يمنُ) مرفوع بالضمة وقولهِ أيضاً :

صادفن منها غدة فأصبها إن المنايا لاتطيش سهامها [٥٥] .

ف (لا) لامحل لها من الاعراب نافية والفعل المضارع (تطيش) مرفوع بالضمة وكذلك قول الشاعر:

لا يطبعون ولا يبور فعالهم إذ لا يميل مع الهوى احلام .

لم النافية ، الجملة الفعلية .

وهي اداة نفي وجزم الحدث عنها النحاة وهي حرف يفيد النفي قال سيبوية (وهي نفي لقول فعلَ) [٥٦] .

---

[٤٩] المقضب :١١٩/٢ .

[٥٠] الديوان :٣٣ .

[٥١] = : فتح الكبيرالمعتال : ٥٢ .

[٥٢] = : الكتاب :٣٣/٤،المقضب :٢٣٤/٢ .

[٥٣] سورة ال عمران ٣– أية :١٥٩ .

[٥٤] = : وصف المباني_ المالقي :٣٢٩ .

[٥٥] الديوان :١٢٣ .

[٥٦] : م.ن :٨٤ .

وتابعة المبرد فقال : (وهي نفسي للفعل الماضي) ووقوعها على المستقبل من اجل انها عاملة وعملها الجزم ولا يجزم الا المعرب[٥٧] .

وقد وردت في شعر لبيد بن ابي ربيعة ورصدنا لها شواهد منها قولِه:

أو لم تكن تدري نوار بأنني وصالُ عقد حبائلٍ جذامها [٥٨] . ف (لم) اداة نفي وجزم وقلب ، جزمت ونفت الفعل المضارع الناقص (تكن) .

وقولِه ايضاً :

أنكرتُ باطلها وبؤت بحها عندي ولم يفخر على كرامها [٥٩] .

(لم) اداة نفي وقلب وجزم دخلت على الفعل المضارع الصحيح (يفخر) وهو مجزوم ب (لم) وقولِه أيضاً :

خنساء ضيعت الفرير فلم يرم عرض الشقائقِ طوافها وبعامها [٦٠] .

ف (لم) حرف نفي وقلب وجزم دخلت (يرم) فعل مضارع مجزوم ب(لم) .

الخاتمة

بعد هذهِ الرحلة الممتعة في شعر لبيد بن ابي ربيعة ، ورصدنا لأنواع الجملة الفعلية فيها وتراكيبها خرج البحث بجملة نتائج نذكرها بالنقاط الاتية: .

١- تنوع الافعال في الجملة الفعلية الفعل الماضي والمضارع والمبني للمعلوم والمبني للمجهول وتنوع الفاعل بين المعرفة والنكرة ، وأسم ظاهر ومضمر .

٢- تأنيث الفعل مع الفاعل ومطابقته له في الجملة الفعلية وكثرة ورود هذا التراكيب في معلقة لبيد بن ابي ربيعة.

٣- رصد قضايا نحوية اخرى متعلقة باللجملة الفعلية :الجملة المضافة اليها ، واعمال أسم الفاعل ونفي الجملة الفعلية مما يتيح للدرس التخصص في دراسة هذهِ القضايا والتوسع فيها .

---

[٥٧] الكتاب :٤/٢٢٠ .

[٥٨] المقضب :١/٤٦.

[٥٩] الديوان :٣٤.

[٦٠] الديوان :٥٢.

الفعل الماضي		الفعل المضارع	
عفت	عفت الديار محلها فمقامها	تجدُ	زبد تجد متونها اقلامها
تأبد	بمنى تأبيد غولها فرجامها	يدبأ	بأخرةِ الثلبون يدبأُ قومها
ضمن	خلقاكما ضمن الوصي سلامها	يضيرُ	فتنازعا بسطاً يطير خلالهُ
خلون	حجج خلون لخلاها وحرامها	يدوي	دوي الخمائل دائماً تبعامها
رزقت	رزقت مرابيع النجوم وصابها	تضاف	تضاف احلا قالصاً متنبذا
أطفلت	فعلا فروع الايهقان وافلت	يميلُ	بعجوب اتقاء يميل هيامها
جلا	وجلا السيول عن الطلول كأنها	تذلّ	بكرت تنزل عن الثرى ازلامها
حُفِزَت	حفزت وزيلها السراب كأنها	تَحسبُ	فَغَدَتْ كلاالفرجين تحب انة
جَاورَت	مدية حلت بغيروَجَاوَرَتْ	أَفرِطُ	اقضي اللبانة لا افرط ريبة
تضمنتها	فتضمنتها فردة فرقامها	يلوم	أوأَن يلوم بحاجَةٍ لوامها
أَيمنت	فصوائق إن أَيمنت فمظنةُ	تدري	اولمتكن تدري نواربأَنني
تعرض	فأَقطع لبانة من تعرض وصلهِ	تبُ	قد بِتُ سامرها وغاية تاجرٍ
ظلعت	باقٍ إذا ظَلَعَت وَزَاغَ قوامها	أَغلي	اغلي السباء بكل او كن كما ٍتقٍ
تغالى	فإذا تغالى كمها وَتَحَسَرتْ	تأ تالهُ	بموترتأَتألهُ ابهامها
تقطعت	وتقطعت بعد الكَلاَل خدَامُهَا	تحِملُ	ولقد حميتُ الحمي تحملُ شكتي
سلى	حتى إذا سلى حجادى ستة	بؤتُ	انكرت باطلها وبؤتُ بحقها
فَطَال	جزأَ فطَاَ صَامُهُ وصيامها	يفخرُ	عندي ولم يفخرُ علي كرامها
رَمَى	وَرمَى دوابرها الف وتهيجت	دعوتُ	وجزوراسيارِدعوتُ لحتمها
تَنَازَعَا	فتنازعا شبطاً يطيرظِلاَلُهُ	يزلُ	إن إذا التقيت الجامع لم ينزلُ
مَضَى	فمضى وقد مها وكانت عادة	أَدعوُ	ادعو بهن لعاقِرأَومُطفِلٍ
توَسَطَا	فتوسطا عَرْضَ السري وصدى	يعينَ	فضلاً وذوكرم يعين على الندى

الفعل الماضي		الفعل المضارع	
صَدَعَا	فتوسطا عُرْضَ السري وصدى	يعطي	ومقسم يعطي العشيرة حقها
خَذَلَتْ	خَذَلَتْ وَهَادية الصواقوامها	يميلُ	إذلايميلُ مع الهوى احلامها
تَنَازَع	لمعفر قهد تَنَازَع ش شلْوَهُ	يعطيء	وهم العشيرة وإن يعطيء حَاسِدُ
بَاتَتْ	بَاتَت وأَسَلَ واكفٍ مِنْ دِيمَةٍ	يكللون	ويكللون إذا الرياح تناوحت
كَفَرَ	في ليلة كَفَرَالنجوم ظَلامُها	تمدُ	خلجاتمد شوارعاً ايتامها
حَسَرَ	حتى أَحَتَرَ الظَلامُ وأَسفرت	تأوي	تأوي الى الاطنابِ كل رذيةٍ
بَكَرَت	بكرت نزل عن الثرى أَزلامها	يخشى	ترجى نوافلها ويخشى ذامها
غَدَتْ	فغدت كلا الفرجين تحسب أَنَهُ	يظلُ	من كل محقوقٍ يُظِلُ عصيةُ
يَئِسَ	حتى إذا يَئِسَ الرماة وأَرسلوا		

المصادر والمراجع

الاشباه والنظائر–عبدالله ابن ابي بكر –جلال الدين السيوطي ١٤١١ه–١٩٩٠م دارالكتب العلمية ،الطبعة الاولى

الايضاح في علم النحو –عبد الرحمن ابن اسحاق البغدادي النهاوندي ابو قاسم.

مكتب الرشد–الرياض،الطبعة الاولى.

التعريفات –الشريف علي ابن محمد الجرجاني ،تونس١٣٩١ه–١٩٧١م،دار الكتب العلمية ، الطبعة الاولى .

التوضيح والتكميل –شرح ابن عقيل ،محمد بن عبد العزيز النجار،القاهرة،١٣٨٦–١٩٦٦

الجمل في النحو –ابوعبد الرحمن الخليل بن عمروبن تميم الفراهيدي،المحقق د.فخر الدين قباوة ١٤١٦ه–١٩٩٥م

الخصائص –ابو الفتح عثمان بن جني الموصلي

وصف المباني– احمدبن عبدالنور المالقي.

شرح الفية ابن مالك–غبد الرحمن بن عقيل العقيلي ،ت ح محمدمحي الدين عبدالرحمن ، القاهرة١٣٨٤.١٩٦٥

شرح ابن يعيش–يعيش ابن علي ابن ابي السرايا محمدبن علي ١٤٢٢ه–٢٠٠١م

شرح الحدود النحوية–عبدالله احمد بن علي الفاكهي،ت.ح زكي فهمي الآلوسي،الموصل ١٤٠٨ه،١٩٨٨م،الطبعة الثانية .

شرح شذوذ الذهب في معرفة كلام العرب–عبداللهبن يوسف بن هشام،ت.ح محمد محي الدين عبد الحميد القاهرة–١٣٨٥–١٩٦٥

شرح مالكافية الشافية– محمد بن عبدالله بن مالك،ت.ح د.عبد المنعم احمد ،دمشق (د.ت)الطبعة الاولى ،جامعة ام القرى مركزالبحث العلمي واحياء التراث الاسلامي.

شرح معلقات السبع –الحسين بن احمد الزوزني ابوعبدالله ١٩٩٣.

شرح المفصل في النحو–يعيش بن علي يعيش ،القاهرة.

الفتح الكبير للمتعال –أعراب المعلقات العشر الطوال الشيخ محمدعلي طه.جدة١٤٠٩ه–١٩٨٩م.

كتاب سيبوية– عمر بن عثمان بن قنبر،ت.ح وشرح عبد السلام هارون ،بيروت ١٣٨٦ه–١٩٩٦م.

كشاف الاصطلاحات الفنون – محمد علي الشهانوي المحقق رفيق العجم –علي دحروج١٩٩٦رقم الطبعة (١)،مكتبة لبنان

لسان العرب – محمد بن مكرم بن منظور،بيروت(د.ت) ١٨٨٣،الطبعة (٣) .

المقتضب – محمد بن يزيد المسود ت.ح :محمد عبد الخالق القاهرة ١٣٨٦ه–١٩٦٦مرقم الطبعة(١) ، وزارة الاوقاف – مجلس الاعلى للشوؤن الاسلامية.

مقومات الجملة العربية – فاضل صالح السامرائي ١٤٢١– ٢٠٠٠ الطبعة (١) .

مقاييس اللغة – أَحمد بن فارس، ت– ح: عبدالسلام هارون ، القاهرة ١٣٦٦/١٩٤٦ دار الفكر، همع الهوامع شرح جمع الجوامع: جلال الدين السيوطي بيروت–(د.ت) .

الاستدعاء بالاسم

شخصيات ألف ليلة وليلة في الرواية العربية

(نجيب محفوظ، هاني الراهب، واسيني الاعرج)

م. د. سروة يونس احمد

ملخص البحث

ان هذا التوظيف لشخصيات ألف ليلة وليلة في الرواية وآليات توظيفهِ فنياً في النص الروائي يرتبط بمفهوم "التجريب بمعنى البحث عن تقنيات روائية جديدة، واستراتيجيات سردية جديدة، تفتح آفاقاً جديدة للنصوص الأدبية" ومنها التوظيف في تلك النصوص؛ فالكاتب يتعامل مع هذه الشخصيات ضمن رؤية واعية وتعامل خاص وهذا يرتبط بما يحفل بهِ من خيال خصب وخصوصية التصوير للواقع وتلونهِ بالطابع المحلي، فضلاً عن كونه محملاً بالرموز والإيحاءات والدلالات التي تمنح الإنسان المعاصر القدرة على تصوير الشخصية المعاصرة بالتوغل الى تصوراتها التي هي قديمة جداً، وما زالت تعيش في أذهان الناس حتى اليوم ويتم إعادة إنتاجها وبثها بوعي جديد إلى المتلقي وهذا الإنتاج لا يعني "ضم النصوص والشذرات والشواهد، ولكنه يعمل على إدخالها في شبكة من العلاقات الحيّة، التي تربط الاوشاج المختلفة لثقافة معينة، او لثقافات متباينة، وهكذا يصيرُ التناص في مفهومه الواسع صيغة من صيغ التحول. ." وهذا ما يقدمه ويفضله سعيد يقطين فهو يرى ان النص "ينتج ضمن بنية سابقة، فهو يتعالق بها ويتفاعل معها تحويلاً أو تضميناً أو خرقاً. ." ومن ذلك شخصيات ألف ليلة وليلة وتوظيفها في الرواية عند كتّاب مثل نجيب محفوظ وهاني الراهب وواسيني الاعرج، الذين تحقّق لديهم الوعي بالتجربة الحاضرة لكي يصلوها بالماضي، كاشفةً عن مدى قدرتهم على استيعاب تلك الشخصيات وإدماجها في تجربتهم الحالية، وهذا الاستيعاب يشكل معرفةً لقدرة المبدع العربي عامة وبالروائي خاصة على تطويع المعارف وادماجها في تجربتهِ الابداعية الواقعية الحديثة، بما يكشف عن ثقافة الروائي بوصف هذه الشخصيات جزءاً من الثقافة إذ انّ المبدع "يتبنى من الافكار والمعاني ما يغني تجربته الشخصية ويجعله فاهماً للمعالم والحياة والواقع الذي يعيش فيهِ" فيلجأ إلى أقوى الوسائل والمقومات ومنها الشخصيات التي عرفت بتأثيرها على مر العصور ولا سيما شخصيات ألف ليلة وليلة.

يرتبط الموروث وما حوى من مقومات بقيم "روحية وفكرية ووجدانية معينة يستدعيها الكاتب لإثارة كلّ ما يدور حولها من دلالات وإيحاءات كان لها في نفس المتلقي / السامع أثرٌ كبير" ولا سيما شخصيتا شهرزاد وشهريار التي

تَنوع وتفنن الكتّاب الثلاثة في توظيفها في الرواية والقصة والمسرح فكانت معيناً لهم لكي يعبّروا عن هزائم الواقع وانكساراتهِ وتناقضاته، فهي رموز وأقنعة معاناة، وإدانة وثورة، وتمرد، يبغون من خلالها تغيير الواقع، والاتصال بمواضيع قيمة يرون الزمن الحاضر فاقداً لها .

إن توظيف الشخصية التراثية يعني استخدامها استخداما يحمل بعداً من أبعاد تجربة الكاتب المعاصر، فتصبح وسيلة تعبير وإيحاء في يد الأديب بشكل عام والروائي بشكل خاص يعبر من خلالها عن رؤياه المعاصرة فهو يعد الشخصية التراثية ومنها شخصيات (ألف ليلة وليلة) رمزاً لشخصية معينة تؤثر في حياته او حياة من حوله.

من هنا نرى ان بعض الروائيين في العصر الحديث انكبوا على الموروث باعتباره طاقة وإمكانات تتجدد ولا تنفذ، تحيا وتخلد، بالإضافة الدائمة اليها، والكاتب عندما يتناول الشخصية التراثية لا يعمل على تصويرها كما هي، بل يرسم لنا صورة فنية لشخصية جديدة ويجعلها شخصية تراثية ومعاصرة في نفس ذلك الوقت، بأن يختار من بين ملامح الشخصية التي يتناولها ما يتناسب وتجربته المعاصرة ثم يُسقط ابعاد تجربتهِ على هذه الملامح التي اختارها .

Research Summary

This recruitment of the characters of the thousand and one nights in the novel and the mechanisms of employment in the artistic narrative text is linked to the concept of "experimentation in the search for new novel techniques, and narrative strategies, open new horizons for literary texts", including employment in those texts; writer deals with these characters within a conscious vision And special treatment and this is linked to the richness of the imagination and the specificity of the depiction of reality and the color of the local character, as well as being loaded with symbols and revelations and connotations that give modern man the ability to depict the contemporary personality by penetrating into its perceptions that are very old, and still live in harm To this day, people are reproduced and transmitted with a new consciousness to the recipient. This production does not mean "the inclusion of texts, nuggets and witnesses, but it introduces them into a network of living relationships, which bind the different juggernauts of a particular culture, or of different cultures. One of the forms of transformation .. "This is presented and preferred by Said Yaktin, he believes that the text" produced within a previous structure, it relates to them and interact with them conversion or inclusion or breach .. "And including the characters of the thousand and one nights and used in the novel by writers such as Naguib Mahfouz and Hani The

monk and Wassini lamer, who have achieved awareness of the experience This assimilation constitutes knowledge of the ability of the Arab creator in general and the novelist in particular to adapt knowledge and incorporate it into his creative real-life experience, revealing the culture of the novelist by describing these characters as part of the culture. The creator "adopts the ideas and meanings that enrich his personal experience and makes him understand the milestones, life and reality in which he lives", resorting to the most powerful means and ingredients, including personalities known to influence over the ages, especially the characters of the thousand and one nights....

البحث

اعتمدت الرواية العربية خلال مسارها الطويل على قوانين وضوابط في شكلها وموضوعاتها، ومن هذه اختيار الأسماء لشخصياتها، ويشكل جزءاً مهماً في السياق الروائي ذلك أن الاسم وحضوره يضيف "دلالة أولية، يمكن أن تكون مهمة إلى حد كبير إذا أحسن الكاتب انتقائه، إذ من الممكن أن يقيم الإنسان علاقة مع دلالته الروائية من خلال معناه المعجمي او تركيبه الصوتي او من خلال رصيده التاريخي، ويمكن للاسم أن يوحي بجزء من الصفات الشخصية النفسية الجسدية"[١]

وهذا الاسم يكون مناسباً للشخصية ومنسجم معها وتصرفاتها، وهو كما يرى حسن بحراوي "يحقق للنص مقروئيته وللشخصية احتماليتها ووجودها"[٢] ، وبهذا الاسم تتحدد الشخصية وتعرف بهويتها، لأن الشخصية ترتبط بالاسم المعرف بها[٣] .

وبهذا نجد أن التحديدات للأسماء لم تأت اعتباطية، فهي لها وظائف متعددة فضلاً عن تعيين الشخص بعينه عن طريق الاسم من غيره، وبهذا يحدد المكانة الاجتماعية للشخص لأن "الاسم يعين الشخصية ويجعلها معروفة وفردية"[٤] .

وبهذا الاسم وبهذه الاوصاف التي يقدمها الروائي عن الشخصية سواءً المظهر الخارجي او الداخلي يشكل شبكة مترابطة من المعلومات تعين المتلقي في الاطلاع على هذه الشخصية أثناء قراءة الرواية[٥] ، وبعض الأسماء ترد مصحوبة بلقب يميزها عن الاخرين سواءً في مستواها الاجتماعي وهذا

اللقب يزيدها تمييزاً[٦] .

وفي الجملة، فان معظم المحللين والبنيويين قد اصروا على اهمية إرفاق الشخصية باسم يرفقها، فيعطيها بعدها الدلالي الخاص، وتعليل ذلك عندهم ان الشخصيات لابد ان تحمل اسماء، وان هذه الاخيرة هي ميزتها الاولى، لان الاسم هو الذي يعين الشخصية، ويحدد طبيعتها ويبين جوهرها[٧] ، وهذا يعني أن أسم العلم يعكس الشخصية الروائية بكل ابعادها الدلالية والاجتماعية والفردية، لأن ثمة علاقة وتطابق بينها وبين أسمها الذي يعتبر المحرك لها "فهناك من الروائيين من يستعمل أسم الشخصية بطريقة اعتباطية غير معللة، ولكن هناك من يشغلها بطريقة مقصودة يريد بها دلالات معينة"[٨] .

وفي إطار بحثنا، يؤدي أسم العلم وظيفة المرجعية، إذ يوظف الروائي إسماء مرجعية ألف ليلة وليلة في نصه، وهذا يقع ضمن الشخصيات المرجعية في تصنيف فيليب هامون في حديثه عن الشخصية، وهذا التوظيف ليس اعتباطيا او تزيينياً وإنما لغايات معينة ولاسيما أن الروائي على اطلاع واعٍ بالشخصيات الموروثة في الحكايات سواءً من شهرزاد وشهريار وإلى بقية الشخصيات في الليالي يحملها من الماضي الى الحاضر.

وهذا الاسم الذي يحمل دلالات عميقة أراد الكاتب ترسيخها، وهذا يعتمد ايضاً على معرفته وثقافته بالشخصيات، وما حققته بالنص الأصلي بأدوارها وأفعالها وأقوالها وصفاتها وما ستحققه في النص اللاحق عبر إعادة كتابة للنص في الرواية، وبهذا تنتقل الشخصية من ألف ليلة وليلة الى الرواية حاملةً أسمها الشخصي وملامحها الرئيسة وتتحول إلى شخصية روائية، وكثيرة هي الشخصيات التي وُظفت في الرواية باسمها والتي تعد جزءاً مهما من الموروث، والتي اخذت تتشكل بصورة متباينة في أزمنة وأمكنة عند فنانين كثر ليس فقط في الرواية، ولكننا نتحدث عن نماذج معينة عند كتابنا الذين هم قيد الدراسة وهم أيضاً تباينت عندهم هذه الشخصيات وطرق استدعائها، فكانت شهرزاد وشهريار في الفصل الاول الشخصيات الرئيسة والمركزية التي استدعاها الروائيون بالاسم والتي كانت تشكل او ينصب عليها محور الحكي ونشأت على أساسها ألف ليلة وليلة فأفردنا لها الفصل الاول ولا نعيدها هنا خوفاً من التكرار

فضلاً عن دنيازاد التي أوردناها عند واسيني الأعرج في (رمل الماية) ضمن الشخصيات الرئيسة نظراً لأنها تحمل مهمة الحكي عن شهرزاد على طول الرواية بعد مقتلها، وذكرناها في هذا المبحث عند هاني الراهب في رواية (رسمت خطاً في الرمال) كونها استدعيت بالاسم فضلاً عن كونها شخصية رئيسة في الرواية يوظفها الروائي مراتٍ عدة طوال تقسيمات الرواية.

سنتناول في هذا المبحث:

١: شخصية (السندباد)[٩] في (ألف ليلة وليلة) وعند نجيب محفوظ في (ليالي ألف ليلة)

٢: شخصية (معروف الاسكافي)[١٠] عند واسيني الاعرج في (رمل الماية) وعند نجيب محفوظ في (ليالي ألف ليلة)

٣: شخصية (دنيازاد)[١١] عند هاني الراهب في (رسمت خطاً في الرمال).

فضلاً عن شخصيتا (شهرزاد) و(شهريار) التي استدعيت بالاسم والتي جاء ذكرها في الفصل الأول.

أولاً: شخصية السندباد

شخصية السندباد تعد مصدراً للكثيرين من الشعراء والقصصيين والروائيين وغير ذلك في تشكيل حكايات وصور جديدة تنسحب على ما اراد الكاتب ان يخرجه في روايته لمجتمعه ونفسه وبهذا التوظيف يعمد الروائي إلى "تحويل الشخصية الحكائية الى شخصية روائية"[١٢].

و"السندباد شخصية رمزية يجتمع فيها أكثر من مستوى من الدلالة والمغزى"[١٣] ويرد أسم السندباد في بداية حكاية السندباد التي ترويها شهرزاد على مسامع شهريار، مقرون بلقب وهو الحمال، او السندباد البحري، وهذه الاضافة للاسم كما قلنا تعطينا ابعاداً ودلالات للشخصية فضلا عن اسمها المعروف، كونه شخصية حكائية معروفة كما نقرأ:

(أنه كان في زمن أمير المؤمنين هارون الرشيد بمدينة بغداد رجل يقال له السندباد الحمال، وكان رجلاً فقير الحال يحمل تجارته على رأسه. . .)[١٤].

والحمال دلالة على البعد الاجتماعي للشخصية، وكما اشار النص إلى أنه رجل من عامة

الناس، يعاني الذل والتعب، لم يعطنا أوصافه الجسدية في ألف ليلة وليلة سوى أنه حمال ويجيد الشعر ليبث شكواه ويكون ملاذه عن التعب.

أنشد يقول:

(فكم من شقي بلا راحة ينعـــم في خير في ء وظل

واصبحت في تعب زائد وامري عجيب وقد زاد حملي)[١٥]

يقابله السندباد البحري، وهي ليست مصادفة، ولكن لكي يقرن الشخصيتين معاً، فالحمال والبحري قد جرى لهما نفس الشيء من المصاعب، فالسندباد البحري التقاه السندباد الحمال اثناء جلوسه للراحة من حمل ثقيل امام داره، ويتباين السرد بين الراوية شهرزاد في روايتها للحكاية وبين السندباد الذي يكون راوٍ في الحكاية على مسامع السندباد الحمال والناس في المجلس، وقد جاءت أوصافه كما نقرأ:

(وفي صدر المجلس رجل عظيم محترم قد لكزه الشيب في عوارضه وهو مليح الصورة حسن المنظر وعليه هيبة ووقار وعز وافتخار)[١٦]

حيث تبين الاوصاف بأنه رجل طاعن في السن، حسن الصورة، وهذا تقديم لما سيكون من أمره في سرد الحكايات، فهو سيروي تجارب سنين ساحقه علمته وجعلته في مكانه سامية بين قومه، وهو يعد استباقاً لما ستؤول إليه شخصية سندباد الحمال لأنه هو نفسه كما جاء في النص:

(فما يكون أسمك وماتعاني من الصنائع فقال له يا سيدي: إسمي سندباد الحمال وأنا احمل على رأسي اسباب الناس بالأجرة فتبسم صاحب المكان وقال له: إعلم يا حمال أن اسمك مثل اسمي فأنا السندباد البحري. . .)[١٧]

وهنا يأتي بالاسم الصريح لأكثر من مرة ويكون عبر دلالة النص السندباد الحمال = السندباد البحري، أي يساويه في الهم والتعب والمعاناة:

(أني ما وصلت الى هذه السعادة وهذا

المكان إلا بعد تعب شديد ومشقة عظيمة وأهوال كثيرة وكم قاسيت في الزمن الأول من التعب والنصب وقد سافرت سبع سفرات، وكل سفرة لها حكاية تحير الفكر، وكل ذلك بالقضاء والقدر وليس من المكتوب مفر ولا مهرب)[١٨]

والمفارقة هنا أنه لم يسافر ولم ير الأهوال فقد تعود حياة التعب والنصب، ويأتي البحري كي يهون عليه ويلقي عن كاهله المعاناة عبر أهوال السفر، ويكون الدافع للسفر هو ما عاناه من حياة البر في زمانه، حيث تكون المبرر لملاقاة الأهوال، وهو يبدأ رحلة الحياة والموت، أي إما العيش بكرامة او الموت.

حكايته (أي البحري) أنه كان له أب تاجر من أكابر الناس خلف له مال وعقار وضياع، أضاع ذلك كله مع الخلان والأصحاب، وأفاق من غفلته فوجد ماله قد مال وحاله قد حال وذهب جميع ما كان معه، باع ما تبقى لديه واشترى متاعاً لأغراض السفر وبدأ برواية السفرات السبعة على لسانه.

في السفرة الأولى يتحدث عن الجزيرة التي هي سمكة كبيرة رست في وسط البحر، وبعد أن تحركت في البحر بأعجوبة نجا بخشبة كبيرة أنقذته إلى بر الأمان[١٩].

ويتحدث في السفرة الثانية عن طائر الرخ وبيضته في الجزيرة ونجا بعد ربط رجله بطائر الرخ حتى يطير به من الجزيرة، ويتحدث عن الماس والذبيحة التي التصق بها هذا الماس عبر الحيلة التي لطالما استخدمها السندباد للنجاة[٢٠].

وفي السفرة الثالثة تحدث عن جبل القرود والشخص العظيم الخلقة الذي أكل رفاقه الواحد تلو الاخر، وقتله بفقع عينه حتى يتخلصوا منه[٢١].

وفي الرابعة يروي حكاية القوم المجوس العرايا الذين يسمنون الرجال ويأكلوهم ويروي حكاية دفنه مع زوجته حياً على عادة أهل الجزيرة[٢٢].

وفي السفرة الخامسة يحكي هجوم طائر الرخ على المركب بعد أن كسروا بيضته، وفيها يحكي قصة الشيخ الذي حمله على رقبته وهو شيطان بهيئة انسان[٢٣].

وفي السفرة السادسة يحكي عن جزيرة الجواهر[٢٤].

وفي السفرة السابعة والاخيرة، وصل الى أرض الحيات ومنها قبر سيدنا سليمان (عليه السلام)، إذ كانت الخاتمة واستقرار السندباد بزواجه من ابنة التاجر الصالح ورجوعه الى بغداد بعد أهوال عظيمة.

وفي كل سفرة يرويها تبدأ شهرزاد الحديث:

(بلغني أيها الملك السعيد أن السندباد البحري لما حكى سفرته. . .)[٢٥].

وبعدها يبتدأ السندباد البحري كلامه دائماً:

(اعلموا يا جماعة أني لما رجعت من السفرة. . . وعدت لما كنت عليه من الزمن الاول من البسط والانشراح واللهو والطرب، أقمت على تلك الحالة مدة من الزمان وأنا متواصل الهناء والسرور ليلاً ونهاراً، وقد حصل لي مكاسب كثيرة وفوائد عظيمة فاشتاقت نفسي إلى الفرجة في البلاد وإلى ركوب البحر وعشرة التجار وسماع الاخبار. . .)[٢٦].

بعد السفرة السابعة، وبعد العبر والقناعة التي وصل اليها بسبب الاهوال التي رآها في سفراته، يطمح ويقرر الاستقرار.

وهكذا فان الفقر والتعب يقوده الى ركوب الاهوال، والتي قادته الى الحكمة والقناعة، وبالتالي الى الاستقرار الذاتي بالنسبة للسندباد، والاستقرار والأمان الذي ينشده الانسان بشكل عام.

(توجهت إلى مدينة بغداد ثم دخلت حارتي وجئت داري وقابلت أهلي وأصحابي وأحبابي وخزنت جميع ما كان معي من البضائع في حواصلي، وقد حسب أهلي مدة غيابي منهم في السفرة السابعة فوجدوها سبعة وعشرين سنة حتى قطعوا الرجاء، فلما جئتهم وأخبرتهم بجميع ما كان من أمري وما جرى لي صاروا يتعجبون من ذلك الامر عجباً كبيراً وقد هنوني بالسلامة ثم أني تبت إلى الله تعالى عن السفر في البر والبحر بعد هذا السفرة السابعة التي هي غاية السفرات وقاطعة الشهوات وشكرت الله سبحانه وتعالى وحمدته واثنيت عليه حيث أعادني إلى أهلي وبلادي وأوطاني. .)[٢٧].

نرى شخصية السندباد في بادئ الامر يدفعها الاشتياق والمغامرة فضلاً عن الأعباء والمعاناة والفقر لركوب الأهوال، غير جاهل بما سيصيبه منها لأنه من أول سفرة تعرض لأخطار عجيبة، فهو على

علم بما يحيط به، ولا سيما أنه يركب البحر الى جزر وأماكن بعيدة، جبل قاف وهو المكان النائي في ألف ليلة وليلة ومدن الرخ، الطائر الاسطوري العجيب الذي لم يطر بإنسان غير السندباد، فهو دليل الهلاك[٢٨] .

وبأمر الله وعونه وحِيل السندباد يخرج منها سالماً، فهي رحلة في حياة الانسان، وهو في النهاية ترك الحكمة تنتصر في سفرته السابعة، بعد شعوره المؤلم بالفراغ والضياع في الحياة الرتيبة في مدينته، وهذا يدلنا أن السندباد وصل إلى ترجيح الحكمة والاستقرار بعد أهوال رحلاته بالقناعة بما لديه، وهو رمز للمعرفة، الحقيقة، الخلاص، المغامرة.

نرى أن هناك تفاعلاً ومشابهه بين السندباد (الحمال) والسندباد (البحري)، الحمال يدرك الألم الذي عاناه السندباد البحري من عدم الاستقرار والمخاطرة التي تبعث الانسان وتدفعه للحياة، (الحمال) عانى نفس الألم عبر مدينة لم ير فيها طعم الراحة.

ويرشدنا أن العلاقة الحميمة قائمة بين السندباد ووطنه في ألف ليلة وليلة، وهو دائم العودة في كل سفرة من سفراته ناشداً الحصول على الأدوات اللازمة لاستقراره، فهي رحلة البحث عن الحقيقة، عبر أحداث وأمكنة مختلفة، نال من كل شيء، حتى وصل إلى بر الأمان وهو الوطن له والذي يمثل الأمان للسندباد وأهله والذي كان الشوق في رحلاته "يمارس سلطانه عليه طيلة رحيله عنها ملحاً عليه بالعودة واللقاء بها وباهلها"[٢٩] .

أما في الرواية فان شخصية (السندباد) قد وظفها نجيب محفوظ بالاسم (السندباد) وكانت عنواناً لحكاية مستقلة في رواية (ليالي ألف ليلة)، وهو السندباد (الحمال) الفقير الحال، كما ذكر في النص الاصل، والذي ضاقت به الحياة من الاثقال والنقل، لم تذكر أوصافه في بداية الرواية في مقهى الأمراء عندما هم بالرحيل وإنما فقط ذكر السرد أنه رجل من المدينة منذ بداية الحكايات داخل ليالي نجيب محفوظ.

(قال ابراهيم السقاء: مجنون حقاً من يُعرض عن رزق مضمون على البر ليجري وراء رزق مجهول فوق الماء ؟؟ فقال السندباد بتحدٍ: ضجرت من الأزقة والحواري، ضجرت من حمل الاثاث والنقل، لا أمل في مشهد جديد، هناك حياة اخرى، يتصل النهر بالبحر، وملائكة وشياطين، ثمة نداء عجيب لا يقاوم،

قلت لنفسي جرب حظك يا سندباد وألق بذاتك في احضان الغيب. . .)[٣٠] .

بهذا النص إيذان من السندباد الذي يوظفه الراوي باسمه بمغادرة البر نتيجة غياب الذات والحياة المملة التي عاشها في مكان ضيق يتنقل فيه، جعله يبحث عن ذات السندباد الحقيقية التي غابت في الفقر والظلم في المدينة إلى المجهول، والبحر رمز للمجهول والأهوال حين اشتداده وكأنما لديه استباق بهذا المجهول العجيب، جزر، جبال، ملائكة، شياطين، نداء عجيب لا يقاوم لكي ينهض بنفسه من واقع مرير في حاضر مرير يعيشه كاتبنا والشخصية في مدينة شهريار، نراه في بداية الرواية يهاجر ولا يظهر إلا حين انتهاء الرواية هو والسلطان شهريار .

السندباد في الرواية هو نفسه السندباد البحري في ألف ليلة وليلة الذي يروي رحلاته للخليفة هارون الرشيد وللسندباد (الحمال) وللناس في المجلس، بعد أن من الله عليه بالنجاة والرزق والقناعة في سفرته السابعة.

عاد في حكاية (السندباد) في الرواية ويرد على لسان الراوي اوصافه

(كان رواد مقهى الأمراء يتسامرون في مرح يوافق ما طرأ على حيّهم عندما ظهر في مدخل المقهى رجل غريب – نحيل القامة مع ميل للطول أسود اللحية رشيقها – يستقر في عباءة بغدادية وعمامة دمشقية ومركوب مغربي، وبيده مسبحة فارسية حباتها من اللؤلؤ النفيس. . .)[٣١] .

اوصافه وردت بعد ان قضى رحلاته الستة يرجع الى المقهى الذي سافر منه فهو مجلس العامة والخاصة، قد ضاعت ملامحه بقول رجل غريب لم يعرفه اصحاب المقهى نتيجة ما حصل له من تغيير اثناء سفراته وهذا يوافقه، نحيل القامة نتيجة الاهوال التي رآها وعليه آثار النعمة، وهذا السندباد قد حمله نجيب محفوظ علامات ودلالات بملبسه نتيجة مروره بكافة المدن وهي دلالات تشير إلى الإنسان العربي بوحدته (العباءة البغدادية / العمامة الدمشقية / المركوب المغربي) وهو يعمد وينادي إلى اجتماع كل ذلك في ذات الأنسان العربي، قام برحلة للبحث عن ذلك ورجع بها عبر هذه الدلالات.

أما المدة التي استغرقها في رحلاته فكانت على عدد رحلاته الستة بعكس السندباد في ألف ليلة وليلة فقد دامت سبعة وعشرون عاماً، وتأتي المفارقة عن النص الأصل أن يكون السندباد مستمع لحكايات أهل الحي التي حصلت أثناء غيابه، فهو متلقٍ قبل أن يكون راوٍ إذ يطلب أن يسمع اخبارهم ويؤجل رواية حكاياته عليهم إلى وقت آخر.

(لدي ما يسر ويفيد وكل شيء بأوانه. . . صبركم حتى استقر

فقال عجر:

نحدثك نحن عما وقع لنا !

ماذا فعل الله بكم؟

فأجابه حسن العطار

مات كثيرون فشبعوا، وولد كثيرون لا يشبعون من الحياة، هبط من الأعالي قوم وارتفع من القعر قوم، أثرى أناس بعد جوع وتسول آخرون بعد عز، وفد على مدينتنا عدد من اخيار الجن وأشرارهم، وآخر أخبارنا أن ولى حكم حينا معروف الاسكافي.

فهتف السندباد:

حسبت الأعاجيب قاصرة على رحلاتي، الآن يحق لي العجب)[٣٢]

وهنا صورة جديدة للسندباد داخل المدينة، وتعطي صورة مأساوية للواقع الحاضر

عبر هذه الشخصية عبر دلالات النص، إذ تقرن بالأعاجيب التي رآها السندباد في رحلاته من قبل وفي الرواية.

اي "إن هناك توازياً بين ما جرى للسندباد في رحلاته وما جرى لأهل مدينته في إقامتهم. . ."[٣٣]

يقص السندباد رحلاته بعد قومه على مسامع شهريار في قصره

(حدثني قوم عن رحلاتك، فرغب ان أسمع منك ما تعلمته منها إن كنت حظيت منها بعلم نافع فلا تكرر إلا ما تقتضيه الضرورة)[٣٤].

وهنا يختلف القص عن النص الأصل فيكون السندباد راوٍ على مسامع شهريار ويشترط ألا يعيد ما

كان وما قصته عليه شهرزاد إلا للضرورة، وفي روايته لسفراته نراه يقترب مما كانت تبتغيه شهرزاد في النصح والعبرة والحكمة للناس ولشهريار الملك عبر رحلاته الستة[٣٥] ورجوعه إلى الحي، لأنها كانت مفيدة كما حدّث عنها السندباد، وجعلت شهريار يتوب التوبة النهائية ويقلع عن الجاه والقصر والمال.

كان حديثه مبتدأ سرد ست حكم ومواعظ رآها في رحلاته الستة ولم يظفر بالرحلة السابعة التي نشدها سندباد ألف ليلة وليلة وحقق منها الخلاص والاستقرار والنجاة وهذه العبر:

الأولى:

(تعلمت يا مولاي أول ما تعلمت أن الأنسان قد ينخدع بالوهم فيظنه حقيقة وأنه لا نجاة لنا إلا إذا أقمنا فوق أرض صلبة. . .)[٣٦]

وهذه العبرة كانت حول جزيرة السمكة العملاقة.

الثانية:

(تعلمت يا مولاي أن النوم لا يجوز إذا وجبت اليقظة وأنه لا يأس مع الحياة)[٣٧] حينما تحدث عن بيضة الرخ وطائر الرخ.

(إنه الرخ الذي نسمع عنه ولا نراه، إنك أول إنسان يسخره لأغراضه يا سندباد فاعلم ذلك. . .)[٣٨]

الثالثة:

(تعلمت أيضاً يا مولاي أن الطعام غذاء عند الاعتدال ومهلكة عند النهم ويصدق على الشهوات ما يصدق عليه)[٣٩] .

حينما يتحدث عن العملاق الذي يأكل الرجال السمان في الجزيرة.

الرابعة:

(تعلمت أيضاً يا مولاي أن الإبقاء على التقاليد البالية سخف ومهلكة)[٤٠] .

حين تحدث عن الجزيرة التي يدفن الزوج مع زوجته حياً عند وفاتها .

الخامسة:

(تعلمت أيضاً يا مولاي أن الحرية حياة الروح وأن الجنة نفسها لا تغني عن الإنسان شيئاً إذا خسر حريته)[٤١] .

حينما تحدث عن الشيطان الذي حمله على رقبته وهو يتحدث عن استعباد الناس في حاضرنا .

وفي السادسة:

(تعلمت يا مولاي أن الإنسان قد تتاح له معجزة من المعجزات ولكن لا يكتفي أن يمارسها ويستعلي بها، وإنما عليه أن يقبل عليها مستهدياً بنور من الله يضيء قلبه. . .)[٤٢]

حينما تحدث عن مدينة الشياطين التي تطير ولا تذكر اسم الله.

ومن هذه الحكم الست نجد أن السندباد في الرواية كأنما قد عمل على قراءة رحلاته في ألف ليلة وليلة، وانتقلت وظيفته من راوٍ ومشاهد للأهوال إلى وظيفة الناقد المتمعن والواعظ، يقرأها ويعيدها بصياغة جديدة كل منها تنم عن درس معين، وهي تعد رسائل موجهه لشهريار الحاكم الحاكي الحاضر عند نجيب محفوظ، لأن شهريار محفوظ بعد أن سمع هذه الحكم وصل إلى التوبة الحقيقية وقرنها بمواعظ وحكم شهرزاد في حكاياتها

(ما اشبه حكايات سندباد بحكاياتك يا شهرزاد

فقالت شهرزاد:

جميعها تصدر عن منبع واحد يا مولاي)[٤٣]

فهو قد سخر (عقله وتواضعه وحكمته وصبره)[٤٤] في تجاوز الأهوال وأيقظه الحلم ثانية للحنين إلى البحر وإلى السفرة السابعة والأخيرة

(كأنما تلقيت دعوة من وراء البحار،

فقال عبد القادر المهيني ببساطة:

سافر ففي الاسفار سبع فوائد

فقال السندباد:

رأيت في الحلم الرخ يرفرف بجناحيه

فقال الشيخ

لعلها دعوة إلى السماء

فقال في تسليم:

إني من رجال البحر والجزر. . .)[٤٥]

وهذا الحوار يشير إلى السفرة السابعة التي

يبتغيها السندباد في الرواية ولم يحققها في رحلاته الستة للوصول إلى الأمل المنشود، والرخ في ألف ليلة وليلة طائر عملاق ورد للدلالة على الهلاك والموت وعبره نجا السندباد واستطاع أن يتجاوز محنته فهو لم يحمل سوى السندباد:

(لم يطر الرخ بإنسان قبلك فماذا فعلت، وتركته عند أول فرصة منجذباً ببريق الماس، بل لم أكد اصدق النجاة. . .)[٤٦].

انجذب لبريق الماس وهو التعلق بالحياة الفانية، والرخ رحلة المخاطر والابتعاد عن طريق الصالحين[٤٧] لذلك عندما رأى الحلم أراد أن يبحث عن الحكمة السابعة لكي يرقى، ومقابل ذلك الرخ

(يطير من عالم مجهول إلى عالم مجهول ويشب من قمة الواق الى قمة قاف فلا تقنع بشيء فهي مشيئة ذي الجلال. . .)[٤٨].

فهو لايزال يطير به وهو الإنسان العربي ويدخله في متاهات وما زال ضائعاً ولا يجد الخلاص منها، على عكس سندباد ألف ليلة وليلة الذي رجع بعد سفراته السبعة إلى الوطن ونجا من الاهوال رغم شدة الظروف والصعاب فسندباد الحاضر يدخل في عالم مجهول ولا تحقق له العودة والاستقرار ويبقى ينشد الخلاص، وهي المغامرة التي يدخلها الإنسان العربي ويعرف فوائدها ولكنه يخدع بأقرب فرصة كما سماها (الماس) لكي يدخل في متاهة اخرى في حاضر نجيب محفوظ.

وعبر هذه الشخصية نجد أن نجيب محفوظ قد وظف السندباد البحري المذكور في ألف ليلة وليلة والذي مر بالرحلات السبعة وروى للخليفة هارون الرشيد وروى للقوم والسندباد الحمال، وفي الرواية السندباد الحمال هو السندباد البحري، ولا يفصل الكاتب بينهما، فالحمال هو الذي قام بالسفرات في الرواية وهو المشاهد والمتلقي لحكايات المدينة والراوي في نفس الوقت للناس في مقهى الامراء وللسلطان شهريار.

وسندباد نجيب محفوظ يعيش في عصر شهريار فهو أحد رعاياه و"يدعو السندباد دائماً الى استخدام عقله وتواضعه وحكمته وصبره، بحيث يصبح درساً ينقله لمستمعيه، موضحاً مغزاه"[٤٩] وهو موجه للملك، فشهريار استمع لشهرزاد ووعى حكاياتها في ألف ليلة وليلة وانتهى إلى الصلاح والتوبة

والعفو، وكان شخصية تعاين ما جرى في المدينة وانتهى بسماع حكايات السندباد، كونها اوصلته الى الحكمة والخلاص النهائي[٥٠] .

كون حكايات السندباد عبر تحويلها في النص الروائي تمثل الخلاصة الكامنة والناتجة عن قوة الشر والخير وبالتالي اوصلت السندباد وشهريار الى الحكمة.

ثانياً: معروف الاسكافي

من شخصيات ألف ليلة وليلة المشهورة كما نقرأ:

(ومما يحكى ايها الملك السعيد انه في مدينة مصر المحروسة رجل اسكافي يرقع الزرابين القديمة وكان اسمه معروفاً وكان له زوجة اسمها فاطمة ولقبها العرة، وما لقبوها بذلك إلا لأنها كانت فاجرة شرانية قليلة الحياء كثيرة الفتن وكانت حاكمة على زوجها وفي كل يوم تسبه وتلعنه ألف مرة، وكان يخشى شرها ويخاف من اذاها، لأنه كان رجلاً عاقلاً يستحي على عرضه، ولكنه كان فقير الحال، فاذا اشتغل بكثير صرفه عليها وإذا اشتغل بقليل انتقمت من بدنه في تلك الليلة واعدمته العافية. . .)[٥١] .

بهذه الاوصاف تتعرف على شخصية ليست بأوصافها الجسدية وانما بأبعاد شخصيته الاجتماعية، اسمه (معروف الاسكافي) ارتبط لقبه باسمه كونه يصلح النعال وهذا يدل على انه فقير الحال بسيط، وبالمقابل فهو ضعيف في بيته وامام زوجته نتيجة فقره، اجتمعت فيه صفات العقل والصبر على زوجته، ويقابلها الفقر، ونتيجة لما وصل اليه من حال وظلم ظهر له العفريت من تحت الارض، وهو مالك تلك الديار، فزع لمناجاته وخلّصه منها بنقله عن مصر الى بلاد بعيدة لا تعرف له فيها طريق، ودخل المدينة وسر بجمالها وظن أهلها انه تاجر معروف، ولم يصدقوا روايته، فأكرموه وأقرضوه أموالاً كثيرة ووزعها على الفقراء، ولما حظي بخاتم سليمان ارتفعت مكانته وحام الملك حوله لكي يزوجه ابنته فزوجه اياها وتولى معروف المُلك بعد وفاته ونتيجة لصبره، عوضه الله عن اهله زوجة صالحة، وبدل فقره غنى وهداه الى خاتم سليمان، الذي لم يستعمله الا في الاسباغ على الفقراء لأنه كان منهم فهو يشعر بما يشعرون، فكانت امواله تفرق عليهم والخاتم نهايته في صندوق لأنه لم يعد بحاجة اليه بعد الان.

لقد كان للحقد والحسد والشر الاثر الاكبر في سرد حكاية معروف وسير الاحداث ولعبا دوراً في تحريكها منذ حقد الزوجة وفقر معروف وحسد الوزير وبالمقابل صبر معروف وكرمه مع الفقراء والناس البسطاء اوصله إلى مكانة لم يكن يحلم بها .

حضور فاطمة في حياة معروف مرة ثانية بعد أن رق لها قلب الجني عند بكائها على زوجها، حين لم تستطع أن توفر عيشها، تحاول الانتقام منه بعد ما أكرمها وهي في طريقها إليه، يقتلها ابنه من زوجته الملكة خشيةً على ابيه، ويعيش معروف حياة هانئة مع ابنه ويحكم القوم بالعدل والاحسان وهو سلطان المدينة في تلك الحكاية.

في التوظيف يُحدث نجيب محفوظ تغييراً على شخصية معروف التي يستدعيها بالاسم وتكون عنواناً لحكاية مستقلة في أجزاء رواية (ليالي ألف ليلة)، وهو هنا أحد أفراد رعية شهريار الملك في الرواية وليس كشخصية كان يبحث عنها في الأصل، فقير يحبه الناس كما ذكرنا، نتيجة لفقره أراد أن يحتال على الناس عبر إيهامهم بأنه يملك خاتم سليمان، وتحقق له ذلك عبر تدخل العفاريت ولا يدري كيف، على عكس ما حصل له في الاصل عندما عثر عليه عند الحرّاث بعد أن اطلع الملك ووزيره على حيلته

(أقول لكم الحق: إني عثرت على خاتم سليمان!

. . . .

أعطنا آية واحدة لنصدقك

ما أيسر ذلك علي!

عظيم... ارتفع نحو السماء ثم اهبط سالماً

فقال معروف في مناجاة

يا خاتم سليمان ارفعني إلى السماء

وارتفع إلى السماء أمام أعين الناس...)[٥٢].

المفارقة عن الاصل انه يدعي انه عثر على الخاتم وتحقق له ذلك وهذا ما حصل في مدينة شهريار الحاكم وربما كان لفقر حاله، اراد ان يغير من واقعه شيء فتحقق له عبر الخاتم، وكانت اليد الخفية هي

من ساعدته على ذلك، وفي الاصل لم يعلن عن امتلاكه للخاتم الا انه فَضح امره اثناء شربه للخمرة امام الملك والوزير، وبحكم امتلاك الخاتم أصبح محط اهتمام الناس، ومن ناحية ثانية يتغير اسم زوجته من فاطمة الى فردوس في الرواية، وربما اراد الكاتب ان يقربنا الى الاصل تارة، ويبعدنا ويوهمنا بواقعية الرواية تارة اخرى.

وفي الرواية كان مصيرها الطلاق، فهو من طردها نتيجة تغير حاله، ونتيجة طبعها وجشعها، بعكس النص الاصل في طرده من قبلها

(تستعبدني بفقرك وتطردني في حال إقبال الحظ

إن لم تذهبي في الحال حملك العفريت الى وادي الجن . . .)[٥٣]

كأنما نشعره انتقام لشخصية معروف في ألف ليلة وليلة وما كانت تفعله معه حققته الرواية.

ألف ليلة وليلة تُظهر أن الخاتم يقع في يد الرجال المؤمنين ومن يضيع الأمانة يصبح وبالاً عليه ودليل ذلك توبيخ العفريت أبو السعادات المؤمن لمعروف حين أضاع الخاتم

(يا قليل الأدب من يملك رصيداً مثل هذا ويعطيه للناس يتفرجون عليه، لكن تستاهل ما حل بك ولولا أني أخاف الله لرميتك من مسافة ألف قامة فلا تصل الى الارض حتى تمزقك الرياح)[٥٤] .

معروف استخدم الخاتم في الاصل والرواية في الخير واسباغ النعم على الفقراء والمساكين وبهذا فقد احبوه لأنه منهم، ولم يستعمله بالشر، ووصل امره الى السلطان، وتحققت له المشيئة بان يرتفع امام السلطان ولا يدري كيف، والعفريت المتصرف بأمر معروف يأمر بقتل الشيخ البلخي والمجنون حتى لا يزول ما فيه من نعم وخير، وهذا يدعم ان العفريت هو من ساعده في حيلة الخاتم وانه لا يملك خاتم سليمان كما في الاصل، وانما العفريت هو من حركه ورفعه حتى يصل الى ما يريد ولكنه لم يطاوعه وهرب مع اهله وقُبض عليه، وبهذا "عكست شخصية (معروف) الصراع النفسي الداخلي مع الذات ومكنونات النفس، بغية الوصول الى حقيقة الذات، وتخليصها مما تعانيه للوصول الى الخلاص مما فيها، بتوظيف عنصر العجب، اذ تمكنت بحكمتها تحقيق الذات بادعائها امتلاك الخاتم

السحري العجيب الذي يحقق كل شيء"[٥٥]\ .

وفي هذه الحالة فان معروف واهله والفقراء من شعبه يشكلون قوة كبيرة مقابل السلطان شهريار وتحدث المفاجأة والمفارقة الغير متوقعة من نجيب محفوظ في الرواية حول مصير معروف الاسكافي

(صاح المنادي: جرت مشيئة السلطان بنقل الحاكم إلى رياسة حي آخر على أن يقلد ولاية الحي معروف الاسكافي. . .)[٥٦]

وهو قد تولى مقاليد الحكم كما في الاصل فقد أصبح معروف ملكاً وسلطاناً على المدينة، وهنا أصبح حاكماً للحي ويأتي الحوار بين شهريار ومعروف لكي يحدث ثورة وتغيير في حاضر نجيب محفوظ

(ماذا عن سياستك يا معروف:

عشت عمري يا مولاي أصلح النعال حتى استقر الإصلاح في دمي

وقد قلق الوزير دندان فقال للسلطان عقب انصراف معروف:

ألا ترى يا مولاي أن الحكم أصبح بيد نفر لا خبرة لهم

فقال السلطان بهدوء:

دعنا نقدم على تجربة جديدة)[٥٧]

لقد وظف محفوظ هذه الشخصية واوصلها الى سدة الحكم لأنه وجدها خير من يصلح هذا المجتمع، فلم يرى من أكابر القوم الا الفساد والانغماس بالشهوات والابتعاد عن كل ما احل الله، فوجد في الاسكافي الذي كان يصلح النعال، خير من يصلح المجتمع، وربما كان هذا الاصلاح كما يقول قد استقر في دمه، وكانت حكمته هي التي نقلته من رتق الاحذية الى رتق الحكم، كي تستطيع هذه الشخصية الخلاص من واقعها[٥٨] ، وهذه الشخصية هي الاقرب الى الفقراء، وبالمقابل يكون المجنون كبير الشرطة، وهي مفارقة تقوم على الغاء توقعات وتطلعات المتلقي وتكسر ما كان يتداعى في نفسه، معروف / والمجنون واعطائه اسم جديد هو عبد الله العاقل / ونور الدين كاتم للسر، أي ان الحكم اراده نجيب محفوظ بتجربة جديدة، واراد البحث عن التغيير ولو لمرة واحدة عسى ان يحقق شيء في خضم واقع مرير اراد ان يبثه

عبر توظيف هذه الشخصية فمعروف هنا رمز لتجربة جديدة، وكان تصحيحاً للحاكم الجديد ونهاية لما رآه وسمعه شهريار عبر حكايات نجيب محفوظ وتوليه للحكم، وبعد خلاصه لتلك الحكايات التي عاش فيها شهريار شخصية تتحرك وتنقد وترى الواقع عن كثب وتحاول ان تحقق التغيير عبر هذه الشخصيات.

أما شخصية معروف الاسكافي في رواية (رمل الماية فاجعة الليلة السابعة بعد الألف) فقد قدمت له دنيازاد التي ذكرناها في الفصل الاول عند واسيني الاعرج وهي في هذه الراوية بدلاً من شهرزاد، بدأت تروي لشهريار في رمل الماية، وهي بدورها تحكي الليلة الاخيرة لحياة الملك شهريار وحياة معروف لأنها على مستوى الواقع كأنها تحدث أمامه لأن دنيازاد كانت تنفذ فيه ما حصل لمعروف، وشهريار ودنيازاد ملامسان للحدث، وان ما روته اختها هي ستكمله حتى تحكم عليه، وتقتله في الحكاية والواقع، لان شهرزاد حسب ما روت لم تقل الحقيقة كاملةً عن معروف، وهو تصرف من واسيني الاعرج حتى يقنع المتلقي بالاقتراب من ألف ليلة وليلة تارة، والاختلاف، والابتعاد عنها، واضافة الجديد حتى يحقق المفاجأة، وشد القارئ لما ستؤويه دنيازاد على مدار (٤٢٢) صفحة من الرواية تارة اخرى، وهو يترقب ماهي حقيقة معروف الى ان وصلت وتحققت نهايته، وسردها الحكاية من نهايتها، أي بعد أن أصبح معروف ملكاً وأصبح يعتني بفاطمة إحتساباً لوجه الله، وهو متزوج من ابنة الملك، فلما رأته ممتنعاً عنها بغضته وغلبت الغيرة عليها[٥٩].

(ثم إنها خرجت ذات ليلة ومضت من قصرها متوجهةً إلى القصر الذي كان فيه زوجها الملك معروف)[٦٠].

دنيازاد تتحدث في هذا النص عن فاطمة زوجة معروف، وهي متوجهة لقتله، وتستمر بسرد حكاية معروف

(وحدث يا أعظم حكام زمانه، أن كان للملك معروف إبناً آخر من زوجته الجديدة، خرج ليلتها إلى ديوان والده متقلداً سيفه المرصع بالجواهر والاحجار الكريمة، كان يعتز بهذا السيف، ويقول عنه والده دائماً: سيفك عظيم يا ولدي، ولكن ما نزلت به حرباً ولا قطعت به رأساً، فيرد عليه سأقطع به عنقاً

يكون مستحقاً للقطع، نفس الدورة تتكرر أيها الحاكم الفاضل، مشى وراء زوجة والده، فرآها تسرق الخاتم وتدفنه في باطن كفها فأدرك قصدها فضرب عنقها . . .)[٦١] .

يظهر النص التفكك الاجتماعي داخل مملكة معروف، فزوجته رغم توبتها تكون الغيرة دافعاً لنية سرقته وقتله، وهذا يؤدي إلى نهايتها على يد الابن، ويحمل النص دلالات على أن الابن بالظاهر كان يحمي والده ولكن الفاجعة والرد يأتي بعكس المتوقع، ونرى أن دنيازاد تروي حكاية معروف بنفس الاسلوب الذي كانت شهرزاد تروي حكاياتها به، وبالمقابل نراها تقارن بين شهريار الملك في الرواية الذي يحمل نفس قصة معروف، ومعروف في ألف ليلة وليلة والتي تروي عنه دنيازاد في الرواية فيكون:

شخصية (معروف) الملك = شخصية (شهريار) الملك

القتل على يد الابن القتل على يد الابن

وكان الرد ان اتفق الابن مع زوجة الاب ولكنه قتلها ليظفر بالمُلك

(لقد اتفق معها لإنهائه، فاطمة العرة كانت حاقدة على زوجها الملك معروف، لأنه رماها، وهو كان خائفاً على المُلك وكان يريده

التقت الرغبتان الجهنميتان: السلطة والجنس

يا سيدي

قال لها: اسرقي الخاتم، ونزْعُ الرقبة سأتولاه بسيفي . . .)[٦٢] .

ولكنه اراد اقناع معروف بأنها كانت تستهدف قتله بعد الاستيلاء على خاتم الحكمة والحكم، وكان يسمي ابنه (قرة العين) ولم تذكر الكتب اسمه لكثرة تكرار هذه اللفظة على لسان والده، وتآمر مع زوجة والده الجديدة وبدأ الطمع يدب فيه بتولي شؤون الرعية استطاع في زمن قصير ان يفرض نفسه حتى على الوزراء والولاة، وذات ليلة تعرض معروف الى اهانة من قبل زوجته التي يكبرها بأكثر من ستين سنة وحمل السيف ليقتلها وهي بداية نهاية معروف والمُلك.

(ها انت اردت ذلك لن اوسخ يدي بك سأنادي على قرة العين يبيدك يا فاجرة

. . . ضحكت

هل بقي فيك شيء تحكم به؟ هل انت ملك؟

لقد صرت جثة نتنة. . .)[٦٣] .

وعبر هذه الشخصية وتوظيفها في رواية رمل الماية، يخبرنا المؤلف ما وصلت اليه الامور عند الحكام من زيف وطمع وكذب، حتى الابن لم يعد يؤتمن وهو اراد ان يسحبه على الواقع عبر معروف وابنه قرة العين وزوجاته

(وهئذا أقطع به رأساً صالحاً للقطع. . .)[٦٤] .

وهو رأس أبيه الملك معروف في نفس الوقت الذي تروي فيه دنيازاد شخصية معروف وما حصل له، تقوم بقتل شهريار في اللحظة التي تروي بها نهاية معروف تكون نهاية شهريار مع أبنها وأبنه (قمر الزمان) كما فعلوا مع معروف.

عبر هذه الشخصية نرى ان واسيني الاعرج يوظفها بطريقة خاصة في العصر الحديث في ظل جشع الحكام والسلاطين والطمع الذي يلازمهم، وهذا ما دل عليه تولي الابناء بعد قتل الآباء الحكام، وهو حاضر ينفذه واسيني الاعرج في رمل الماية.

فمعروف رمل الماية هو ليس احد شخصياتها وانما هو يرد في حكاية داخل رمل الماية والتي قام بنسجها على رواية قول الحقيقة والكف عن الكذب من القوالين والسلاطين، معروف رمل الماية يسمع عنه شهريار فهو الشخصية الاصل، سوى انه حرف فيها على ان يأتي السرد بكتابة جديدة تثير القارئ حول تغيير النهاية السعيدة له الى القتل من قبل الابن والزوجة وتكالب الاسرة عليه، وابنه هذا لم ترد اوصافه لا في الاصل ولا عند واسيني الاعرج فذكره جاء لينهي شهريار ومعروف معاً في اللحظة نفسها وهما رمز السلطة المتحكمة بالشعب فكان الرد بأن سلط الابن عليهم.

ثالثاً: دنيازاد

من الشخصيات الموظفة عن هاني الراهب

في رواية (رسمت خطاً في الرمال)، ولم ندرجها في الفصل الأول عند هاني الراهب لأنها لا تحتل حكاية معينة وانما تأتي في جميع فصول الرواية تقريباً، فهي دنيازاد الحاضرة عند الروائي وليس الماضي القديم.

حكايتها انها متزوجة من رجل مثقف وهو عيسى ابن هشام• ولها من الاولاد ياسر وبشرى، تعيش الاسرة في حالة من الفقر، ويذهب عيسى للتدريس في جامعة نفيطية سين، وهو يتحدث هنا عن احدى دول النفط، ونبأ تدريس الزوج نزل كالصاعقة على دنيازاد والاولاد

(قوة الواقع قوة الحلم، وقد حلمت بالدولار، بالعدو الذي سيخلصني من اصدقائي، الفقر والقلق والتعب، حلمت بأن يقول لي: لك ولنسلك اعطي هذه المبالغ العظيمة وحساباً في البنوك)[٦٥]

وهذا النص يعطينا أبعاداً لواقع دنيازاد، الفقر، القلق، التعب، ورغم ذلك تكون دنيازاد المشجعة والمشوقة لزوجها عيسى بن هشام في الرواية عند هاني الراهب، فهي احدى شخصيات الرواية

(قالت رجاءاً يا عيسى أولويات الحياة هي الأطفال وأنا، الاعتبارات الوحيدة التي لها قيمة: حياتنا وعيشنا، شف اختي شهرزاد وحالتها الآن، معقول يا عيسى أن تكون الأسئلة أهم عندك من ياسر ويسرى ودنيازاد)[٦٦] .

وهي بهذا تحاول أن تحافظ على حياتها وأولادها بعيشة سوية، تدفع عيسى ابن هشام إلى ترك ما كان عليه وما كتبه وتجذر فيه من الفقر والكدية.

إن دنيازاد هاني الراهب امرأة تعيش العصر الحاضر وتطمح إلى التغيير في دولة النفيطية بعد العناء والذل، رغم عيشها مع عيسى بن هشام وتغير حاله يبقى وتبقى دنيازاد، فنراه يسخر من الماضي والحاضر والمستقبل عبر هذه الشخصيات، حتى مقاماته ما عاد لها طعم[٦٧] فعيسى بن هشام مع دنيازاد يبقى يحارب آفة الاستهلاك بأبسط اشكالها ويعيش حرباً مع أولاده ودنيازاد.

دنيازاد جاءت أوصافها في الرواية ولم تذكرها ألف ليلة وليلة

(صدر سؤالها الأخير بنبرة، وأعقبته هزة رأس صغيرة جعلت شعرها الخرنوبي السيال يتمرجح

حول كتفيها المدورين وجيدها الشامخ، احستني بركة ماء انفتحت قنواتها في كل اتجاه. . . ودنيازاد تعرف الدولار والسيجارة وسيارات القرن الحديث. . .)[٦٨] .

اضاف هاني الراهب اوصافاً لدنيازاد الحاضر بصوتها الرفيق؟ وجمال شعرها وجيدها تفتح بجمالها عليه الدنيا والحياة فيكون بركة ماء انفتحت على الحياة لأنه رمز الحياة هنا، وهي نتيجة وجودها في مكان وهو دولة النفيطية التي تنعم بالخير فهي تعرف ما يوجد في القرن الحديث / الدولار / السيجارة / والسيارات الحديثة.

دنيازاد يوظفها بالاسم ويستدعيها الى حاضرنا لتكون رمزاً للمرأة الحاضرة في العصر الحديث تغيرت حياة اختها شهرزاد مثلما رأينا في الفصل الاول عند هاني الراهب، في العصر الحاضر، فهي عند هاني الراهب "تظهر واعية وتقدمية تفتح افقا للتطور والعد الواعد بينما الذكورية اما مستبدة او على طريق الوعي"[٦٩] .

ونظراً لكثرة الشخصيات الموظفة التي وردت عند نجيب محفوظ، سوف ندرجها ضمن جدول يوضح ورودها في النص الاصلي لألف ليلة وليلة وفي نص نجيب محفوظ ليالي الف ليلة، بعضها تناولناها بالتحليل لحضورها الرئيسي والمتميز والمؤثر في ليالي الف ليلة وبعضها اوردناها بالجدول منفصلاً؟ عن الاولى لأنها وردت بشكل سريع ولم يكن لها تأثير في التوظيف داخل الرواية.

الشخصيات في ألف ليلة وليلة	رقم الليلة	الرواية	الصفحة
شهريار	ج١-١	شهريار	٣
شهرزاد	ج١-١	شهرزاد	٥
دنيازاد	ج١-٣	دنيازاد	٥
السندباد	ج٣-	السندباد	٢٤٦
معروف الاسكافي	ج٤-٩٨٢	معروف الاسكافي	٢٣١

قوت القلوب	ج١–٣٩	قوت القلوب	١٧٥
سليمان الزيني	ج١–٣٦	سليمان الزيني	١٥٦
المعين بن ساوى	ج١–٣٦	المعين بن ساوى	١٥٦
علاء الدين ابو الشامات	ج٢–٢٧٤	علاء الدين ابو الشامات	١٨٨
الوزير الفضل بن خاقان	ج١–٣٦	الوزير الفضل بن خاقان	١٩٤
حبظلم بظاظا	ج٢–٢٧٤	حبظلم بظاظا	١٩٤

(١) مكونات السرد في الرواية الفلسطينية، يوسف حطيني ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ١٩٩٩: ١٥ .

(٢) بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت : ٢٤٧ .

(٣) ينظر: الرواية العربية. البناء والرؤيا – مقاربات نقدية – سحر روحي الفيصل ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٣: ١٣٢ .

(٤) بنية الشكل الروائي: ٢٤٨ .

(٥) ينظر م. ن: ٢٤٨ .

(٦) ينظر م، ن: ٢٤٩ .

(٧) ينظر سيميولوجيا الشخصيات الروائية، فيليب هامون، ت موقع سعيد بنكراد: ٢٣، وينظر بنية الشكل الروائي: ٢٤٨ .

(٨) سيمياء أسم العلم في الرواية العربية، جميل الحمداني، www.laghtiri1905.com

(٩) ينظر الرواية: ٢٤٦ .

(١٠) ينظر الرواية: ٤٢٢ .

(١١) ينظر الرواية: ٩ – ٨٩ – ٩٥ – ٩٣ .

(١٢) توظيف التراث في الرواية العربية ، محمد رياض وتار ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٢: ٧١ .

(١٣) الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية)، د. عز الدين إسماعيل ، دار العودة ، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٩٨١: ٢٠٣ .

(١٤) ألف ليلة وليلة ، مطبعة بولاق الاميرية ، طبعة تورتو ، ١٢٨٠، ١٩٥١: ٣ / ٨١ .

(١٥) م. ن: ٣ / ٨٢ .

(١٦) م. ن: ٣ / ٨٢ .

(١٧) م . ن : ٣ / ٨٣ .

(١٨) م . ن : ٣ / ٨٣.

(١٩) ينظر م . ن : ٣ / ٨٤ – ٨٥.

(٢٠) م. ن: ٣ / ٨٨ – ٨٩.

(٢١) ينظر م . ن : ٣ / ٩٥ – ١٠٠.

(٢٢) م. ن: ٣ / ١٠٤.

(٢٣) م. ن: ٣ / ١٠٦ – ١٠٧.

(٢٤) م. ن: ٣ / ١١٢.

(٢٥) م. ن: ٣ / ١٠٥ – ١٠٦.

(٢٦) م. ن: ٣ / ١١٦.

(٢٧) م. ن: ٣ / ١٢١ – ١٢٢.

(٢٨) ينظر: شعرية الرواية العربية (بحث في اشكال تاصيل الرواية العربية ودلالتها) د فوزي الزمرلي ، مركز النشر الجامعي : ٩٦ – ٩٧.

(٢٩) آفاق الرواية البيئة والمؤثرات ، محمد شاهين ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق : ٢٧.

(٣٠) ليالي ألف ليلة ، نجيب محفوظ ، مكتبة مصر للمطبوعات ، القاهرة ، ١٩٨٨: ١١.

(٣١) م . ن : ٢٤٧.

(٣٢) م . ن : ٢٤٨.

(٣٣) الرواية والتراث السردي من اجل وعي جديد بالتراث ، المركز الثقافي العربي ، ط١ ، ١٩٩٢: ٤٣.

(٣٤) ليالي ألف ليلة: ٢٧١.

(٣٥) ينظر: الرواية والتراث السردي: ٤٣.

(٣٦) ليالي ألف ليلة: ٢٥٠.

(٣٧) م. ن: ٢٥١.

(٣٨) م. ن: ٢٥٢.

(٣٩) م. ن: ٢٥٢ – ٢٥٣.

(٤٠) م . ن : ٢٥٣.

(٤١) م. ن: ٢٥٤.

(٤٢) م. ن: ٢٥٥.

(٤٣) م . ن : ٢٥٦ .

(٤٤) ثارات شهرزاد(فن السرد العربي الحديث) د محسن جاسم الموسوي ، دار الاداب ، بيروت ، ١٩٩٩: ١٢٤ .

(٤٥) ليالي ألف ليلة: ٢٦٠ – ٢٦١ .

(٤٦) م. ن: ٢٦٢ .

(٤٧) ينظر: ثارات شهرزاد: ٢٦١ .

(٤٨) ليالي ألف ليلة: ٢٦٢ .

(٤٩) ثارات شهرزاد: ١٢٤ .

(٥٠) ينظر الرواية والتراث السردي: ٤٤ .

(٥١) ألف ليلة وليلة: ٤ / ٢٨٨ .

(٥٢) ليالي ألف ليلة: ٢٣١ – ٢٣٢ .

(٥٣) ألف ليلة وليلة: ٢٣٤ .

(٥٤) م، ن: ٤ / ٩٥ .

(٥٥) العجائبية في رواية ليالي ألف ليلة لنجيب محفوظ، مروة محمد نجيب الصائغ، رسالة ماجستير ،كلية الاداب ، الموصل ، ٢٠١٠ : ٦٣ .

(٥٦) ليالي ألف ليلة: ٢٤٥ .

(٥٧) م. ن: ٢٤٦ .

(٥٨) ينظر: مذهب للسيف ومذهب للحب، رؤية نقدية جديدة لأدب نجيب محفوظ، شاكر النابلسي: ٩٥ .

(٥٩) ينظر: توظيف التراث في الرواية العربية ، محمد رياض وتار ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٢: ٥٣ .

(٦٠) رمل المايا: ٣٨١ .

(٦١) م. ن: ٣٨٢ .

(٦٢) رمل المايا: ٣٨٢ .

(٦٣) م. ن: ٣٨٤ .

(٦٤) م، ن: ٢٨٥ – ٢٨٦ .

• **عيسى ابن هشام:** هو شخصية الراوي في مقامات الهمذاني، وهي شخصية تراثية مع شخصية ابو الفتح الاسكندري، وكتب المويحلي حديث عيسى ابن هشام، اذ جعله راوي هذا الحديث في العصر الحديث، وهو شخصية خيالية تميل الى الكدية بالحيلة لتحصيل الطعام

والمال، هو أقرب الى بطل وعالم لكنه سيء الحظ يلجأ الى الحيلة الظريفة في تحصيل لقمة عيشه، ينظر: مقامات بديع الزمن الهمذاني، ابي الفضل احمد بن الحسين بن يحيى، ت ٣٩٨ ه، شرح الامام محمد عبدة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٦ .

(٦٥) رسمت خطاً في الرمال: ٨٨ .

(٦٦) م. ن: ٨٩ .

(٦٧) ينظر: هاني الراهب اكتشف سورية ، دراسات اشتراكية : ٢ .

(٦٨) رسمت خطاً في الرمال: ٨٩ .

(٦٩) الرواية السورية المعاصرة، دراسات اشتراكية ، حوار مع الدكتور بسام سفر وايمن الحسن ، دراسات اشتراكية ، عدد خاص (الرواية السورية المعاصرة)، العددان (١٨٢_١٨٣)، ٢٠٠٠: ٣٧٩ .

المضامين الأعتقادية في الحكايات الشعبية الموصلية دراسة اجتماعية–تحليلية

م.نجلاء عادل حامد الراشدي أ.م.د.أياد محمد حامد الراشدي

الملخص

إن الحكاية الشعبية الموصلية تتطبع بالطوابع الاجتماعية والاعتقادية التي يحملها الفرد الموصلي ويؤمن بها، فالحكاية الشعبية وهي تسجل الأحداث والوقائع اليومية، وإنها لشديدة التأثير بقيم الناس الذين نبعت منهم رواة ومستمعين.لذلك لا يمكن تجاهل ما في الحكاية الشعبية من المعتقدات التي سيطرت على الفرد الموصلي، وجعلته ينسجم معها، بحيث يشكل حياته وسلوكه وفقا لها، إذ انه لا يوجد مجتمع من المجتمعات قديما أم حديثا لم تؤد الجوانب الاعتقادية والروحية دورها في حياته، فلقد فرضت طبيعة الحياة على الإنسان ، الإحساس بارتباطه بقوى خفية تدبر أمره وتكيف مصيره، وفي ظل هذا الإحساس وصل الإنسان إلى مداه، وانعدمت قدرته على توجيه الأحداث أو التأثير في الظروف، فركن إلى القدرية بوصفها محاولة ذاتية للدفاع عن النفس، والسيطرة على المصير والالتجاء إلى الولي المنقذ والبحث في الرقى والتعاويذ عن سبيل لحل مأزقه الوجداني، وهذا بطبيعته يبعث على الطمأنينة خلال التحلل من المسؤولية الذاتية، وبالتالي تجنب مشاعر الذنب المتفاقم التي تصاحب بالضرورة الفشل الحياتي، كما أن ذلك العجز عن التصدي العقلاني للمشكلات والأزمات الحياتية يدفع المرء إلى النكوص إلى المستوى الخرافي والى الحلول السحرية ، التي ترسخ التفكير بوصفه محاولة للسيطرة على المصير المجهول.والحكايات الشعبية الموصلية تغطي مختلف جوانب الحياة، ونظرةالإنسان الموصلي إلى الوجود، وتعامله مع كل ما يحيط به، ويؤثر عليه، خيراً أم شراً، وتوجه مسار الحياة اليومية للمجتمع، بعلاماتٍ هادية، متعارفة عليها .

Gonceptual implicatons in Mosuli Asocial- analytic study

Abstract

Mosuli narrative is characterized with sosial and conceptual characteristics which Mosuli man believes in and regards it as apart of his life. It registers events and daily life routines It has a strong influence on beliefsofthepeoplewhofromthemnarratorsandlisteneare.

Anyone cannot neglect or ignore any one of beliefs which dominated Mosuli man, these beliefs form life and behavior of a person. It can be said that,there is no society if it was ancient or recent did not achieved conceptual and spiritual aspects or roles in the life. Nature of the life has imposed on a man the sense of his connection with hidden strength, this

strength controls his matters and his fate. In frame of this sense, the man arrived to his aims and he has no any ability to direct events or affect in circumstances. As a result, Mosuli man believed in fate in absolute way in attempting to defense himself and mastering on fate, as well as he directed to a special person (religion man) and searching in religion protection to solve his emotional matters. All these directions help in creating some comfortable during irresponsibility and avoiding feelings of guiltiness. Falling to face events, problems and daily crisis in reasonable way leads direction to magic solutions and unreasonable matters. Mosuli narratives covers different parts of life and idea of Mosuli man for the life and his behavior around him, and how narratives affect on him in goodness or devilry way. The researchers intend to introduce this study to discover how Mosuli narratives deal with conceptual matters in daily life in Mosuli society.

المقدمة:-في ظل الحضارة العربية القديمة، عرف العرب القصص غير المكتوب، شأنهم في ذلك شأن غيرهم من شعوب الأرض فحين تركن الجماعات إلى السمر يتبادلون الأحاديث ويروون الأقاصيص والحكايات،[١] فهي تجسد ذاكرة القبيلة، وتبقي البطولات حيةً في قلوب الناس وعقولهم وتحفظ إنجازات الماضي وتنقلها إلى الأجيال المقبلة.[٢]في حين لم يكن اهتمام الإسلام بالقصة لذاتها وإنما بصفتها أداةً تثقيفيةً يتخذها سلاحاً يشهره بوجه الفكر الوثني، وهكذا انتشرت القصة التي صار لها هدفاً وعظياً تربوياً[٣] لقوله تعالى:(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ) سورة يوسف-الآية: ١١١.وارتفع شأن القصص في العهد الأموي الذي استمر بدوره في الوعظ والتوجيه، حتى أصبح عملاً رسمياً يعهد به إلى رجالٍ رسميين يتلقون عليه أجراً.[٤]ومع التطور الذي حصل في العصر العباسي، اقتضى ذلك تغييراً في دور القاص الواعظ، وظهرت شخصية الحكواتي الذي يكون مؤلفاً

[١] د.مصطفى الشكعة، الأدب في موكب الحضارة الإسلامية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٧٤،ص٥٦١.

[٢] ر.ل.بريت، التصور والخيال، ترجمة: د.عبد الواحد لؤلؤة، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٧٩،ص١٧.

[٣] عزالدين إسماعيل، المكونات الأولى للثقافة العربية، ط٢، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦،ص١٣٢.

[٤] أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩،ص١٦٠.

للحكاية وممثلاً لها في آنٍ واحد.(١)وبدخول الوطن العربي تحت حكم العثمانيين، الذين لم يعطوا أبد الاهتمام للشؤون الاجتماعية ومجمل الحياة العامة للمواطنين خاصةً في المرحلة المتأخرة من حكمهم، ظهرت السير والملاحم الشعبية التي كانت التعبير الطبيعي عن ما يعتمل في نفوس الجماهير من أحلام وأمنيات عظيمة.(٢)واستمر الحال حتى أواخر القرن الثامن عشر، حيث بدأت النهضة العربية الحديثة، التي شملت النواحي الثقافية أيضاً ونشّطت حركة الترجمة، وكانت حملة نابليون على مصر أول احتكاكٍ بالغرب على صعيدي السياسة والثقافة ناهيك عن الصعيد الحضاري،(٣) وقد كان أثر ذلك ازدواج النظرة العربية تجاه الانفتاح، فكان موضوع الحكاية الشعبية محاولة التغني بأمجاد الماضي وأبطاله لخلق موازنةٍ نفسيةٍ بين ما هو كائنٌ وبين ما يطمحون إليه بعد احتكاكهم بالغرب ومن خلال ذلك عُكِسَت في الحكايات الشعبية أنماطاً للحياة الاجتماعية والعادات والتقاليد.(٤)أما عن الحكاية الشعبية في الوقت الحاضر، وعبر العقود الأخيرة ونتيجةً للتغير الاجتماعي السريع والنوعي والاتصال المتزايد بمعطيات الحضارة المعاصرة، أخذت بالانحسار ، بفعل الإذاعة والتلفزيون والصحف وغيرها من وسائل الإعلام.(٥)يوصلنا التطور التاريخي لمسار الحكاية الشعبية وشكلها، إلى تأكيد العلاقات الجدلية القائمة بين الحكاية والمجتمع الذي تُعَبِر عنه، وقد جعل ذلك الحكاية تتخذ أشكالاً متوافقة تماماً مع طبيعة المرحلة التي نشأت فيها ولها، كما ويؤكد على دور الحكاية الشعبية الفاعل في إيصال الأفكار والمعاني التي تعالج مختلف الظروف والنواحي الخاصة بحياة أي مجتمع.والملاحظ على الحكاية الشعبية عموماً والموصلية خصوصاً، تطرقها إلى مختلف مجالات الحياة، فنجد فيها صدق الحياة الاجتماعية بما فيها من علاقات وتفاعلات ومظاهر اجتماعية مختلفة، ومضامين سياسية وأخرى اقتصادية بكل أبعادها، ومضامين عقيدية إسلامية وخرفية، ومضامين أخلاقية.انقسم البحث على مقدمة وثلاثة مباحث،

---

١ محمد كمال، العرب والمسرح، دار الهلال، القاهرة، ١٩٧٥،ص٧٩.

٢ فاروق خورشيد، أضواء على السيرة الشعبية، منشورات اقرأ، بيروت، ١٩٨٠،ص١١٢.

٣ سعد الدين دغمان، الأصول التاريخية لنشأة الدراما في الأدب العربي، دار الأحد، بيروت،١٩٧٣، ص٣٧.

٤ فاروق خورشيد، اضواء على السيرة الشعبية، مصدر سابق، ص٢٥.

٥ د.أحمد زياد محبك، من التراث الشعبي، دراسة تحليلة للحكاية الشعبية، ط١، دار العرفة، بيروت، ٢٠٠٥،ص١٥.

الأول عنوانه الإطار المنهجي الذي تمثل بتحديد موضوع الدراسة، وأهميتها، ومنهجها، والمبحث الثاني تضمن مضامين أعتقادية أسلامية ، والثالث مضامين أعتقادية خرافية، وانتهى البحث بخاتمة تتضمن أبرز النتائج والتوصيات والمقترحات.

المبحث الأول:- الإطار المنهجي للبحث :-أولاً:- تحديد موضوع البحث:-تشكلت في الحكايات الشعبية معظم تصورات المجتمع، بل إنه (المجتمع) بكل جوانبه ومعطياته.ولم يكن أي مجتمع بعيداً عن مضامينه الأعتقادية سواءً كانت مضامين أعتقادية أسلامية أو مضامين خرافية، حاول غرسها في نفوس أبنائه من خلال تضمينها حكاياته الشعبية.ومن هنا حاول الباحثين إبراز صور هذه المضامين بشقيها الأسلامي والخرافي في موضوعٍ له حضور في علم الاجتماع العام ميدانه علم اجتماع القيم، فكان موضوع البحث (المضامين الأعتقادية في الحكاية الشعبية الموصلية) .

ثانياً:- أهمية البحث:-يكتسب البحث أهميته من خلال محاولته التأطير الأكاديمي لموضوعٍ له أهمية كبيرة في نفوس أبنائه (وهو الحكاية الشعبية) فضلاً عن ما لهذا الإسهام من إغناءٍ للدراسات التراثية وتوثيقٍ لجزءٍ من تراثنا الشفاهي.

ثالثاً:- هدف البحث:-يهدف البحث إلى تعزيز الفكر الاجتماعي الشعبي من خلال إضفاء الطابع العلمي على مضامينه كما يسعى إلى تعزيز الدعوة لمزيدٍ من الدراسات الاجتماعية حول تراثنا الاجتماعي.

رابعاً:- نوع البحث:-يتحدد نوع الدراسة أو نمط البحث "على أساس مستوى المعلومات المتوفرة لدى الباحث وعلى أساس الهدف الرئيسي للبحث"،([1]) وبما أن الدراسة ركّزت على تحليل الحكايات الشعبية، بهدف الوصول إلى مضامينها الأعتقادية فإن الدراسة لا تتوجه إلا إلى المأثور منها والمدوّن، فإنه اقتضت الضرورة، الاتجاه نحو الدراسة النظرية، فأصبح بذلك نوع الدراسة نظرياً ذا طابع وصفي-تحليلي.

خامساً:- منهج البحث:-استخدم الباحثان منهج التحليل الاجتماعي لمضامين الحكاية الشعبية الأعتقادية، يعد التحليل الاجتماعي من أنسب المناهج في تحليل الحكاية الشعبية إذا ما أخذنا في الاعتبار طبيعة الموضوع نفسه، ولعل أبرز من حقق في منهج التحليل الاجتماعي هو (ماكس فيبر)، وذهب ماكس فيبر إلى أن "أول مقولات المنهج هي مقولة الفهم، والفهم عند فيبر ليس مرادفاً للحدس التعاطفي الغامض الذي

[1] عبدالباسط محمد حسن، أصوال البحث الأجتماعي، ط١، دار غريب للطباعة، القاهرة، ١٩٧٧، ص١٢٩.

تحدث عنه غيره من الفلاسفة ولكنه فهمٌ فكريٌ وتحليليٌ، وتفسيرٌ تنبؤيٌ للسلوك"،[١] ولا شك أن الحكاية الشعبية هي من بين أبرز الموضوعات التي تقتضي فهماً أولياً قبل اللجوء إلى التفسير الاجتماعي ومن متغيري الحكاية والإنسان على اعتبار أن الحكاية ذات ارتباط جدلي به تصبح مقولة الفهم لازمة في التحليل الاجتماعي "وهو بهذه المثابة مدخل فريد للعلوم الثقافية لأنه يتعلق بالإنسان أكثر من أي شيءٍ آخر، فالإنسان هو القادر على فهم مقاصده الخاصة بواسطة الاستبطان وهو كذلك الذي يستطيع أن يفسر دوافع الآخرين من خلال معرفة مقاصدهم".[٢]إن التحليل الاجتماعي يعطينا نظرة مزدوجة فهو "إرجاع الكل إلى أجزائه"،[٣] وهو في هذا المعنى يصب في صلب موضوع الباحثة من محاولة قراءتها للحكاية الشعبية من منطق الكل (كل الحكاية) والاتجاه نحو جزئياتها (جزئيات الحكاية) ذات الدلالات الاجتماعية المتنوعة في أهدافها، خاصةً إذا ما أخذنا في الاعتبار طبيعة التحليل نفسه أنه "عملية ذهنية منطقية تقوم على تفكيك الموضوع المدروس إلى أجزاء أساسية بغية دراسة هذه الأجزاء دراسة مفصلة بهدف فهم العناصر التي تكوّن منها فهماً دقيقاً".[٤]

سادساً:- المفاهيم العلمية:-تعد الحكاية الشعبية من أنواع الفلكلور الشعبي، الذي يعتمد الكلمة، والذي من أنواعه الأشعار الشعبية ونصوص الأغاني والحزورات (أي: الأحاجي) والخرافات،[٥] أو ما يطلق عليه الأدب الشفاهي أو الفن الملفوظ، ويجوز أن يكون نوادر وأهازيج، وملاحم وأمثالاً،[٦] وبهذا فإن الحكاية توصف بأنها فن الشعب وأسلوبه في التعبير عن حياته وأفكاره، كما أنها ذاكرته التي تحتفظ وتنقل ما تحفظ إلى ما يأتي من أجيالٍ حاملةً في جوهرها أهدافاً تبتدئ الحكايات عادة بمقدمة يقول فيها القاص (أكسبكم الصلاة " علنبي" كلمن علينو ذنب، يقول التوبة واستغفر الله)، وبعد أن يستغفر الحاضرون

[١] ه.ب.ريكمان، منهج جديد للدراسة الإنسانية،ترجمة:علي عبد المعطي محمد . محمد علي محمد، ط١، مكتبة مكاوي، بيروت، ١٩٧٩، ص٢٦ .

[٢] المصدر نفسه، ص٢٩ .

[٣] د . عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط٣، ٢٠٠٠،ص١٨٧ .

[٤] فردريك معتوق، معجم العلوم الأجتماعية، أكاديميا بيروت، لبنان، ١٩٩٣-١٩٩٨، ص٣٧ .

[٥] شهرزاد قاسم حسن، حول ضرورة الإسراع في جمع التراث الموسيقي، مجلة التراث الشعبي، العددان(٥-٦)،السنة ٢، ١٩٧١،ص٨ .

[٦] أحمد كمال زكي، الأساطير-دراسة حضارية مقارنة-،ط٢، دار العودة، بيروت، ١٩٧٩، ص١٤-١٥ .

يدخل بالمقدمة التقليدية ((كان يا ما كان في قديم الزمان وعلى الله التكلان وكل من علينو ذنب يقول توبة وأستغفر الله)) [١] .وفي مختلف أنحاء الحكاية ينثر القاص ألفاظ منها ((الله يستر عليكم، ما شاء الله ، لا اله إلا الله، الله يرزقنا[٢] ، بإذن الله [٣]، الله كريم [٤] . .)) .وليس اثر الدين باديا في المفردات والتعابير فحسب، ولكنه ظاهر في مضمون الحكايات أيضا، فالفتاة في الحكاية (رحمة الله)[٥]،((تساعد الفتاة رحمة الله ،الحافظة للقرآن والتي لاتريد الإ رحمة الله ،الشاب الفقير العاطل عن العمل في إيجاد عمل له وتشير عليه بالخروج للتجارة؛فيكتسب الرجل خبرة ويتعلم من الناس معارف كثيرة. . . .)) فرحمة الله كفيلة وكافية لتحي الإنسان بسعادة واطمئنان .ومن هذا الأثر أيضا أن الأرواح الشريرة لا يطردها إلا ذكر الله عليها حيث تختفي تماما، فقد حدثتنا حكاية (أنا زكية)[٦] ((تطلب الأم من زكية إيصال الكبب الى أختها مكية،فأسرعت الخطىء في الزقاق الضيق، وبعد أن تقطع زقاقا" ثم أخر ، تتوقف عند قنطرة الجان، وأخذت تردد مع نفسها أخاف من (قنطرة الجان) فقد دخلها والدها ذات ليلة،فإذا بالجان تتنافر من حوله، وحينما حاول الخروج منها فإذا بحائط يسد الطريق أمامه وتظهر له جنية تطلب منه الزواج منها ،وبأنها ستأخذه معها الى مملكة أبيها فهو ملك الجان الأحمر، وحاولت أخافته لكي يقتنع، لكنه أخذ يقرأ سورة الكرسي فإذا بالنار تحرقها هي وكل من معها من الجان، وأرتفع الحائط وخرج والدها،وأسرعت الخطى فجال في خاطرها ماسمعته من أمها كيف خطف الجان الازرق أختها الصغيرة وتزوجها ونقلها الى سابع طبقات الأرض عندما مرت مع والدها في قنطرة الجان وكان ذاهب بها الى الشيخ ليرقيها من التهاب اللوزتين وفجأة أختفت، وأخيرا" أوصلت الكبب الى أختها ، وأسرعت بالعودة الى الدار. . . .)) ،وهكذا فأن

(١) عبد الباري عبد الرزاق النجم، ملامح الحكاية الموصلية ، مصدر سابق، ص ١٠٩ .

(٢) احمد الصوفي،حكايات الموصل الشعبية، مركز الفلكور العراقي، المكتبة الفولكلورية(٤)، ١٩٦٢، ص١٨-٢٣.

(٣) عبد الباري عبد الرزاق النجم، السمكة الضاحكة ، مصدر سابق، ص ٩٠.

(٤)حسب الله يحيى، أربع حكايات موصلية ،مجلة التراث الشعبي، العددان (٢-٣)، السنة السابعة، ١٩٧٦ ، ص ١٩٧.

٥ ينظر تكملة الحكاية:-عبد الحليم اللاوند، نظرات في الزجل والأدب الشعبي الموصلي، ط٢،شركة الجمهور، الموصل، ١٩٨٥،ص٢٢٦.

(٦) ينظر تكملة الحكاية:-عمر محمد الطالب، أثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية،مصدر سابق، ص١٢٦.

أفراد الجن لم ينهزموا أمام والد زكية إلا بقراءته آية الكرسي.

٢-القضاء والقدر. وفي الحكاية بعد الإيمان بالله ، الاطمئنان لقضائه وقدره، اطمئنان يريح النفس ويبعث على الاستقرار في التعايش مع النفس ومع الناس ومع الأشياء المادية في الحياة[١] .ومعنى الإيمان بالقدر: التصديق الجازم بان كل خير وشر إنما بقضاء الله وقدره، وانه الفعال لما يريد، لا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس في العالم شيء يخرج عن القدر والمقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور[٢]، قال تعالى:﴿ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾(الحديد: آية ٢٢) .ويتضح من الاستقراء العام للحكاية الشعبية الموصلية ، إيمان أبناء الموصل بالقضاء والقدر إيمانا تاما ، ومّما زاد في ترسيخ هذا الاعتقاد الكتب السماوية التي أكدت ذلك كما تعبر عنه ايضاَ الحكمة المأثورة ((اللي مكتوب على الجبين لازم تشوفه العين)) .وفي الحكاية الشعبية يحاول الإنسان التخلص من قدره ولكن من دون جدوى فالفتاة في حكاية (بنت السلطان وي عليك)[٣] ((كان لأحد السلاطين بنت يحبها كثيرا"، ويعطف عليها، فقد كان الطير يأتي كل يوم ويقف على الحائط ويصيح (بنت السلطان وي عليكي أش أغشعتي وأش تغشعين) ويصيح هكذ ثلاث مرات، فتاخذ بالبكاء خوفا" مما قد خبأة القدر، فيقرر الأب ترك البيت الى قصر خارج المدينة، إلا أن الطائر يلحق بهم ويردد العبارة نفسها فأرادوا العودة الى بيتهم القديم لعدم جدوى الأنتقال ، فيغلق باب القصر على أبنته، وتذهب محاولات والدها سدا" لإخراجها من القصر، فأخذت تفتح أبواب الغرف لتجد شابا" نائما" يتصبب عرقا"، فأخذت مروحة وأخذت تهف له وظلت على هذا الحال لعدة سنين، وفي أحد الأيام تشتري عبدة تحل محلها في أثناء ذهابها للصلاة. . .))فعلى الرغم من محاولتها الهرب من نبوءة الطائر ، إلا أنها تذهب إلى قدرها طائعة.

ويجب أن نعلم أن القدر قدرة الله سبحانه وتعالى ، وان كل شيء يجري بتقديره، ومشيئته تنفذ،

(١)عبد العزيزمحمد،التوحيد للناشئةوالمبتدئين،ط٤،وزارة الشؤون والأوقاف،المملكة العربية السعودية،١٤٢٤،ص ٣٣-٩٨.

(٢) عبد العزيز محمد آل عبد اللطيف،التوحيد للناشئة والمبتدئين، مصدر سابق ، ص ٩٨_١٠٨.

[٣] عبد الحليم اللاوند، نظرات في الزجل والأدب الشعبي الموصلي، مصدر سابق، ص٢٣٠،

لا مشيئة للعباد إلا ما شاء الله لهم فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، لقوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾(سورة الإنسان: الآية :٣٠)، وقوله تعالى: ﴿ . . . وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ ﴾ (سورة إبراهيم: الآية٢٧)، فالرزق مقدر ومكتوب ومحدود، وان الإنسان مهما سعى ومهما عمل لا يصيبه إلا ما قدر له من رزق ، قال تعالى : ﴿وَفِي السَّمَاء رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (سورة الذاريات: الآية ٢٢)، وفي الحكمة المأثورة ((لو تجري جري الوحوش غير رزقك ما تحوش)) .كما في حكاية (السمكة الضاحكة)([1]) ((يترك الشيخ حسن أبنته، متوجها" الى مكة لأداء فريضة الحج، وفي يوم تعثر أبنته على صرة فيها مسحوق أبيض فتتذوق منه القليل، ويعلم الأب بذلك بعد عودته، الإ إن المسحوق سحري تحمل أبنته بسببه، لتضع بعد أشهر طفلا" ، فما كان من الأب الذي خافض من الفضيحة، الأ أن يضع أبنته مع الطفل في صندوق ويرميه في النهر، ليجده صياد، ويأخذ هذه الفتاة مع الطفل الى داره، ويكرم مثواها، برغم رزقه القليل الذي بالكاد يكفي له ولأسرته، فيكرمه الله لحسن صنيعه، فيصطاد سمكة غريبة يهديها للوالي بناء على أقتراح الطفل الذي تكلم وهو في المهد، فيحمل الوالي السمكة الى أبنته، التي تظاهرت بالخجل من السمكة، فتضحك السمكة على ذلك، فيطلب الوالي من الصياد أن يعرف لماذا ضحكت السمكة؟ فيساعده الصبي بذلك، قائلا" هل ترغب يامولاي بمعرفة لماذا ضحكت السمكة؟ ويأخذ الوالي مع كل حاشيته الى غرفة البنت ، ويطلب الطفل من الملك أن يأخذ سيف وينزل الى سرداب له طريق تحت السجادة، فيجد عشيق أبنته. . . .)) فالرب الذي أرسل المرأة وطفلها كان كفيلاً بإرسال رزقهما إلى شبكة الصياد، وان الرزق محدد لكل يوم، حتى لو اجتهد الإنسان وعمل من الصباح الباكر حتى المساء ، كما في حكاية (الشواك)([2])،((يعتاش الشواك على جمع الأشواك فيحصل من بيعها على رزق يومه، وفي يوم من الأيام كان الشواك بقرب بئر، فإذا بصوت يطلب من الشواك أن يخرجه من البئر، ويحذره من غدر الإنسان، فسأله من يكون ، فأجابه بأنه الذئب وحصل منه على ثلاث شعرات متى مايدعكها جاء اليه ليساعده، وكذا يفعل مع الأسد ومع الأفعى، وأخيرا" يساعد أنسان

[1] عبد الباري عبد الرزاق النجم، حكاية موصلية (السمكة الضاحكة)، مجلة التراث الشعبي، العدد الثامن آب ١٩٧٠،ص٨٧ .

[2] عبد الباري عبد الرزاق النجم، حكاية موصلية، مجلة التراث الشعبي، العدد الثامن، السنة الرابعة ، ١٩٧٣، ص١١٠ .

ويخرجه من البئر، وتمر الايام ولايجد الشواك ما يعتاش عليه، فيساعده الذئب الذي أحضر له الكثير من الطعام، ولكن الشواك يعتاد على الراحة، وبعد أن ينفذ الطعام الذي جاء به الذئب، يطلب من الأسد أموالا" كثيرة، فيسرق له قافلة الملك ويعلم الرجل الذي أخرجه من البئر بذلك، ويخبر الملك بذلك، والذي يحكم على الشواك بالشنق، لتخلصه الأفعى التي التفت على رقبة أبن الملك ولم تتركه الا بطلب من الشواك، ليكافئه الملك على ذلك ويزوجه من أبنته)) .فالرزق معلق بحارس الأرزاق الذي يعطي من دون أن يسال كيف؟ ولماذا ؟ .

٣-الأنبياء والرسل من الأنبياء الذين ورد ذكرهم في الحكاية الشعبية الموصلية، ذكر النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فنجد الراوي يبدأ حكايته بقوله ((أكسبكم الصلاة علنبي))[١] ، وورد ذكر الصلاة على النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ،في حكاية (جنكر جنكر دوس)[٢]((رجل فقير اسمه جنكر، يركب عصاه على أنها حصان ، وينتقل بين الأزقة ، قائلا جنكر جنكر دوس، فيشير إليه النساء قائلات: أي حصان أيها القذر، ويضحكن عليه، وذات يوم قررت فتاة أن تطيب خاطره، فما أن قال : جنكر جنكر دوس كيف هو حصاني ؟ ردت قائلة : اللهم صلي على محمد ، كأنه حصان عنتر الأشهب، عندها اخرج جنكر كل النقود التي معه وأعطاها للفتاة وقال : منذ زمن وان انتظر احد يقول لي كلمة طيبة)) ،فضلاً عن أن اغلب أبطال الحكايات اسمهم (محمد) تيمنا بنبي الرحمة محمد(صلى الله عليه وسلم) ، وتكاد لا تحصى عدد الحكايات التي يرد فيها اسم محمد .ومن الأنبياء الذين ورد ذكرهم النبي موسى (عليه السلام) كما في حكاية (يا موسى أنت غيح الربك) وان هذه الحكاية فيها تأكيد لمعجزة التي اختصها الله بنبيه موسى، وهي انه كليم الله ، فجعله الذهن الشعبي وسيطاً بينهم وبين الله، يسألونه وهو ذاهب إلى جبل طور عن أمورهم ليجد لها حلا عند ربه جل وعلا.وقد لا نجد إشارة مباشرة إلى الأنبياء بأسمائهم إلا أن الحكاية تحفظ لهم عدداً من الصفات والمعجزات والكرامات التي وهبها الله رسله عليهم السلام.ومن هذه الإشارات نجد في حكاية (السمكة الضاحكة) الطفل الذي تكلم في المهد، وهذه المعجزة لنبي الله عيسى ابن مريم عليهما السلام، قال تعالى: فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ

(١) عبد الباري عبد الرزاق النجم، ملامح الحكاية الموصلية،مصدر سابق ، ص ١٠٩ .

(٢) ينظر : حسب الله يحيى، أربع حكايات موصلية ، مصدر سابق ، ص ١٩٦-١٩٧.))

صَبِيّاً ﴿ ٢٩ ﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَنِيَ الْكِتَبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً ﴿ ٣٠ ﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَوةِ مَا دُمْتُ حَيّاً ﴿ ٣١ ﴾ وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً ﴿ ٣٢ ﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً ﴿ ٣٣ ﴾ (سورة مريم: الآيات من ٢٩-٣٣) .وفي حكاية (السمكة الضاحكة) قال الطفل : السلام عليكم، وبهت الجميع! ومع ذلك ردوا التحية، فقال الطفل: هل ترغب يا مولاي أن تعرف لماذا ضحكت السمكة .... الخ الحكاية.ونجد في حكاية (الملك والحشيش السحري)([1]) إشارة إلى قصة سيدنا يوسف عليه السلام ،((يصاب الملك والذي له ثلاث أولاد(محمد وأحمد ومحمود) بالعمى، ولايفيد معه طب الأطباء وتوصف له أوراق شجرة تنبت وراء البحار السبعة فيهب أولاده للبحث عن هذه الشجرة فإذا ما وصلو مفترق طريق، أقترح أصغرهم أن يأخذ كل واحد منهم سبيلا"، يمضي محمد في طريقه فيرى شجرة ظليلة وعشبا" فينام مستريحا" بينما يرعى حصانه في الحشائش يستفيق محمد على صوت فحيح أفعى تتسلقى الشجرة لتلتهم صغار طائر، جرد حسامه وقتلها بعد صراع مرير، فما كان من الطائر الا يكافئه على فعله ، ويطلب من محمد أن يتمنى ويطلب مايريد، فيخبره محمد عن الشجرة التي يبغي الوصول اليها، هون الطائر عليه وحمله على ظهره وطار به الى حيث الشجرة، ليعود بالعشبة المطلوبة، وفي طريق العودة يمر محمد بأخوته ليعود معهم الى قصر والده، ويخبرهم بأنه حصل على الحشيش السحري فما أن وصلوا إلى البئر، فنزل عن جواده، وشد نفسه إلى حبل البئر ليستقي منها وفيما هو داخل البئر، إذ دخل الشيطان في قلبي أخويه فاخذا يتشاوران فيما بينهما عليه فقالا: لو نجح أخونا محمد في إيصال الحشيش إلى أبينا الملك لأكرمه واعزه وربما جعله ولي عهده فنقصت منزلتنا، خير لنا أن نقطع الحبل ونتركه في البئر، فوافقه أخوه الآخر وقطعا الحبل وركبا جواديهما وتركا أخاهما في القعر.....))، قال تعالى: لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَتٌ لِّلسَّائِلِينَ ﴿ ٧ ﴾ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿ ٨ ﴾ اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضاً يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْماً صَالِحِينَ ﴿ ٩ ﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَبَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ﴿ ١٠ ﴾ (سورة يوسف: الآيات من ٧-١٠) .

[1] أحمد الصوفي، حكايات الموصل الشعبية،مصدر سابق، ص٤٩.

٤-الصلاة يسبق الصلاة الوضوء، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فاغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَينِ وَإِن كُنتُمْ جُنُباً فَاطَّهَّرُواْ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاء أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء فَلَمْ تَجِدُواْ مَاء فَتَيَمَّمُواْ صَعِيداً طَيِّباً فَامْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ مَا يُرِيدُ اللّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(سورة المائدة: الآية ٦).ولقد ورد ذكر الوضوء في حكاية (محمد الكسلان)([1]) ((بعد أصرار الأم على محمد بأن يجد له عمل ، يكون درويشا" يجلس في الجامع، فطق عليه النساء يأتين إليه ليتبركن به وليعرفن متى يحبلن وهل المولود ذكر أم أنثى؟ وهل زوجها يحبها ؟ وكيف تجد السبيل الى قلبه. . . ؟ ذاعت شهرته بأنه يقول فلا يخطأ، ويتنبأ فتصح نبوئته، ويصل بذلك الى أن يستشيره الملك في قضيتين، أحدهما فقدانه لخاتمه ففي احد الأيام جلس السلطان يتوضأ والخادم يصب له الماء، فخلع السلطان الخاتم من أصبعه ونسيه على دكه الوضوء ، والأخرى سرقه خزانته، ويستجيب الحظ لمحمد الكسلان في هاتين القضيتين)) " ، وفي حكاية (المطلقات السبع) في قصة المطلقة الأولى: ((كأن زوجها صائما" مصليا" يحافظ على الصلوات بوقتها، استيقظت الزوجة عند الفجر لتدفئ الماء لزوجها من اجل الوضوء لصلاة الفجر ولم تجد حطب لتدفىء له الماء، فتشعل النار بثياب زوجها بدل عن الحطب وكان هذا السبب في طلاقها)) .

آما الصلاة ((فهي الصلة الدائمة المتكررة بالله سبحانه وتعالى وهي المنبه الذي يذكر الإنسان بخالقه، وما يجب عليه نحوه من عبادة وشكره خمس مرات في اليوم)) [2]، قال تعالى: ﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾(العنكبوت: الآية ٤٥) .

ورد ذكر فريضة الصلاة في حكاية (بنت السلطان وي عليك)" فعندما كانت تذهب بنت السلطان إلى الصلاة كانت العبدة تأخذ مكانها وتهف للشاب النائم" ، وفي حكاية (المطلقات السبع) في قصة المطلقة الأولى " كان زوجها صائماً مصلياً يحافظ على صلواته الخمس. . . " ، وورد ذكر صلاة الجماعة في

[1] عبد الحليم اللاوند، نظرات في الزجل والأدب الشعبي الموصلي، مصدر سابق، ص٢٣٤ .

(٢) عبد العزيز بن عبد الرحمن المحيميد، العبادة وأثرها في تربية النفس الإنسانية ، مصدر سابق ، ص١٦٥ .

حكاية (الملا) [١] " تحكى عن احد القرى التي يوجد فيها ملا متوكل بأمور الدين فيها، وكان يائم الناس دائما في صلاة الجماعة ".

ومن المعاني الدينية في حكاية (الشقيقات الثلاث)[٢] مظاهر استقبال رمضان، ((أشترى الزوج الرز والدهن والحاجات الأخرى تهيئا" لأستقبال رمضان، وأرسلها الى المنزل فأدخلتها زوجته الى المنزل....)).

٥.الحج آما الحج فانه ممارسة حياتية كاملة لشعائر معينة تؤديها الجوارح والروح، ولمدة محددة، ويتم فيه انتفاع الحاج بمنافع كثيرة[٣]، يقول عز وجل: وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ. ﴿٢٨﴾(سورة الحج: الآيات ٢٧–٢٨).والحج من المعاني الإسلامية المتناثرة في الحكاية ، وقد يعرضه الزوج أو الزوجة بعد وصولهما إلى سن الكهولة أو الشيخوخة حيث لا تبقى عليهما مهمات ينبغي أن يؤدياها في تربية أولادهم، كما اتضح ذلك في حكاية(السمكة الضاحكة) حيث يترك الشيخ حسن ابنته اليافعة في قصره العالي، وأوصى لها السقاء والقصاب والبقال بإحضار ما تحتاجه يوميا إلى القصر وترك الشيخ حسن المدينة متوجها إلى مكة لأداء فريضة الحج، وورد ذكر فريضة الحج في حكاية(زمر أبنج يا عجوز)[٤](ارد رجل أن يذهب الى الحج، فأنهالت عليه الطالبات، ولم يدفع له أحد نقودا" لشراء تلك الحاجات، وكانت من ضمن الحاضرين عجوزا" أعطته نقود ليحضر زمارة لأبنها فقال لهل (زمر أبنج ياعجوز) بمعنى أنه سوف يحضر لها طلبها لأنها دغعت ثمن شراء الزمارة))وذكر الحج في قصة المطلقة الخامسة من حكاية (المطلقات السبع)[٥] في حكاية المطلقة الخامسة((أرادت الأحتفال بعودة زوجها من الحج، فصفت الفناء بالصابون وبنت دكتين من الحناء ليبدو البيت أجمل

(١) عبد الباري عبد الرزاق النجم، ملامح الحكاية الموصلية،مصدر سابق ، ص ١١٣ .

(٢) ينظر نص الحكاية ، ص١١٢ .

(٣) عبد العزيز بن عبد الرحمن المحيميد، العبادة وأثرها في تربية النفس الإنسانية ، ط١، وزارة الشؤون الإسلامية ، المملكة السعودية، ١٤٢٤هـ، ص ١٧٢ .

(٤) عبد الباري عبد الرزاق النجم، ملامح الحكاية الموصلية،مصدر سابق، ص١١٥ .

٥ أحمد الصوفي، حكايات الموصل الشعبية،مصدر سابق، ص١٤ . ويقدمها: أزهر العبيدي، الموصل أيام زمان،ط٢، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة الموصل، ١٩٨٨،ص٢٢٤ . ويقدمها أيضا":–عبدالرزاق عبد الباري النجم، ملامح الحكاية الموصلية، مصدر سابق، ص١١٩ .

ولكن الفناء تبلل بماء المطر، فما أن دخل الزوج الدار حتى سقط وكسرت رجلاه..)) ، وورد ذكر بئر زمزم في حكاية (القطاة والغزالة والحمار)[١] ((فقد ضجرت هذه الحيوانات من ظلم الإنسان وقررت أن تعمل بعيدا عن شروره، فاتفقت علن أن تزرع الأرض وتقتات على نتاجها أتت القطاة بالحب وزرعت الغزالة الحب وحرث الحمار الأرض ، هطلت الأمطار ونما الزرع، وذات يوم بعد أن نما الزرع، تظاهر الحمار بالمرض وبعد أن ذهبت القطاة والغزالة،اندفع الحمار يأكل نتاج الأرض ولم يبق شيئا وعاد إلى النوم متظاهراً بالمرض، وعندما عادتا انزعجتا وهما تلاحظان الأرض القفر، اتهما الحمار بأكل المحصول وتعلل بمرضه وانه لم يبرح سريره واتفقوا على أن يقسموا عند بئر زمزم فأقسمت القطاة وطارت، وأقسمت الغزالة وعبرت،آما الحمار فسقط في البئر ومات نتيجة لحنثه في القسم) قال تعالى: ﴿ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران : الآية ٩٧) .

٦–قراءة القران للقران جاذبية ذاتية بحكم كونه كلام الله الحق المنطوي على الحق، الذي تكلم به خالق الخلق الذي يعلم ما يصلحهم ويؤثر فيهم، وما يهديهم وما يغويهم، وقراءة القران من العبادات الكبرى التي يؤجر فاعلها أجراً كبيراً[٢]، قال تعالى: ﴿كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة فصلت: الآية ٣)، وقراءة القران من المعاني الدينية التي وردت في حكاية (رحمة الله) فقد كانت الفتاة الصغيرة _ رحمة الله _ حافظة للقرآن.

٧–صلة الرحم وردت صلة الرحم في الحكاية الشعبية الموصلية، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴿ ٢٢ ﴾أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴿ ٢٣ ﴾(محمد: الايات٢٢–٢٣) .ولأهمية صلة الرحم، وما يترتب على قطعها، حرّم الإسلام الجنة على قاطع الرحم، فعن أبي محمد جبير بن مطعم (رض) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: (لا يدخل الجنة قاطع) قال سفيان في روايته: يعني : قاطع رحم، متفق عليه[٣]، ولقد وردت هذه الصفة

(١) احمد الصوفي ، حكايات الموصل الشعبية ، مصدر سابق، ص١١٨–١٢١.

ويقدمها : أزهر العبيدي، الموصل أيام زمان ، مصدر سابق، ص٢٢٢_٢٢٣.

(٢)عبد العزيز بن عبد الرحمن الحميد، العبادة وأثرها في تربية النفس الإنسانية ، مصدر سابق ، ص١٧٤.

(٣) الأمام أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، تحقيق: محمود بن الجميل، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ط٢، باب

في حكاية (ابن الملك والبنات الثلاث)[١] ((يعملن البنات الثلاثة بعد وفاة والديهن في غزل الصوف، ويوفق الحظ البنت الصغرى فتصبح زوجة لأبن الملك وبعد أشهر ترزق بتؤامين ، ولشدة حسد الأختان تتأمرن عليها ويغتنما فرصة المخاض فيبدلا التؤامين بجرو كلب، وتتركا التومان على باب الجامع، مما يحمل الأنمير على طلاقها، أما التومان فقد عثر عليهما صياد رق لهما قلبه ورغم فقره الشديد يتكفل برعايتهما، لأنه مدرك تماما" أن الذي جاء بهما الى الحياة ،هو الذي يتكفل برزقهما، تستأجر الأم دارا" يطل على البحر، وهناك تعثر على طفليها، ويكتشف الأمير وشاية الأختين ويدرك خطأه فيرجع معتذرا" الى زوجته ، وبرغم ما فعلت هاتان الأختين ، فقد أخذت الأخت الصغرى على نفسها أن ترسل إلى أختيها الأكبر منها بالهبات والعطايا كما كانت تفعل في السابق حسبة لله وابتغاء مرضاته)) .

٨-الأسماء ويتناقل الناس في مجتمعنا الأثر الشريف " خير الأسماء ما حمد وعبد" ولهذا فان أكثر الأسماء التي عمد القاص الشعبي إلى استعمالها اسم (محمد) تيمنا بني الله محمد (صلى الله عليه وسلم) وتورد أيضا أسماء مشتقة من الحمد(محمود،واحمد،وحامد) ولقد ورد هذا الاسم بكثرة في حكايتنا الشعبية وتكاد لا تحصى عدد المرات التي ذكر فيها هذا الاسم ومن بين تلك الحكايات :حكاية (محمد الكسلان)، وحكاية (محمد الاقع)، وحكاية (الملك والحشيش السحري)((والتي تحكي عن الملك الذي كان له ثلاث أولاد محمد ومحمود وأحمد . . .)) وغيرها العديد من الحكايات التي يكون أسم البطل فيها محمد، فالمعروف انه في حال ذكر اسم محمد فان ذلك يقترن بالصلاة على النبي محمد(صلى الله عليه وسلم) ، ومجرد ذكر الصلاة على النبي كفيلة بتحصين الطفل من الحسد والعين، ولهذا فإننا نجد بان اغلب العوائل التي يولد لها ذكر عقب ولادة ثلاثة أو أربعة إناث يعمدون إلى تسميته محمد .

المبحث الثالث:-المضامين الاعتقادية الخرافية في الحكاية الشعبية الموصلية:-

١. الحيوانات وظواهر الطبيعة. قيل عن المأثورات الشعبية عموماً إنها حفريات تأبى أن تموت [٢]، ((والحكاية الخرافية خصوصا تعد جزءً أساسيا

تحريم العقوق وقطيعة الرحم، مكتبة الصفا ، المملكة المغربية ، ٢٠٠٤، ص ١٢٤.

[١] أحمد الصوفي، حكايات الموصل الشعبية، مصدر سابق، ص٩٣.

(٢) فوزي العنتيل، الفولكلور ما هو ؟ ، مصدر سابق، ص ١٧.

من تراث ديني قديم))[١] . فإذا بحثنا عن مظاهر هذه العقائد في حكايتنا فإننا نجدها متعددة فالباحث في الحكاية الشعبية الموصلية، يلاحظ أن بعض أفرادها من البشر يحادثون مخلوقات من النبات والحيوان والأشياء، مما لا يجري عادة في الواقع، ففي حكاية (ست الستوت)[٢] ((راحت الفتاة الصغيرة وبعد أن ظردتها زوجة أبيها هي وأخيها الصغيرة من البيت ،تسلي نفسها بعد أن أصبحت وحيدة بعد أن يشرب أخيها من الماء المسحور ويتحول الى غزال، بالعناية بشجرة صغيرة غرستها، تسقيها وترعاها، والشجرة تكبر وتكبر وتجلس ست الستوت إلى شجرتها فتناجيها قائلة: شجرتي شجرتي من أطعمك؟ فتجيب : اكف يديك ، فتقول لها ست الستوت:اتكئي قليلا لا تفرج عليك، فتنكث الشجرة لؤلؤا ، وذات يوم يرأها أميرفيتزوجها ويعتني بها)) وفهم لغة الطيور لم تعد مقصورة على سليمان عليه السلام، بل إنها ميزة قد تقع لبعض أبناء البلد، نجد ذلك في حكاية (بنت السلطان وي عليك) إذ كانت بنت السلطان تفهم ما يقول لها البلبل وهو يردد نبؤته المشؤومة،وفي حكاية(العصفور والشوكة)[٣] التي تحكي عن عصفور دخلت شوكة في رجله وآلمته كثيرا فجاء إلى خبازه تخبز على التنور، توسل إليها أن تخرج الشوكة من رجله، ففعلت ورمت الشوكة في التنور فاحترقت، وجاء العصفور يطالبها بالشوكة أو بأخذ الخبز . . . .

وفي حكاية (الملك والحشيش السحري) حدثت الطير محمداً وأخذت تشكره على حسن صنيعه لإنقاذه صغارها من الأفعى التي كانت تحاول قتلهم . . . ، وفي حكاية (الشواك) تبادل الشواك الحديث مع الحصيني، والأسد ، والأفعى . . . . وغيرها العديد من الحكايات التي يتحدث فيها الإنسان مع الحيوانات ومع الشمس أيضاً، ومع القمر، في حكاية (اغات أوف)[٤] إذ كانت الفتاة تقضي نهارها تسامر الشمس فقد أهدتها سريرا ذهبيا لطفلها المنتظر وملابس من ماء الذهب ، وكانت تجلس في المساء تسامر القمر، وقد أهداها غطاء فضيا للسرير وبشرها بغلام وجهه مثل وجهه يشع جمالا ونوراً .

---

(١) فون دير لاين، الحكاية الخرافية ، ترجمة: نبيلة إبراهيم، مصدر سابق، ص ١١٩ .

[٢] عمر محمد الطالب، أثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية، مصدر سابق، ص١٣٩ .

(٣) ينظر تكملة الحكاية: احمد الصوفي ، حكايات الموصل الشعبية، مصدر سابق، ص ١٠٦-١٠٧ .

[٤] ينظر تكملة الحكاية:-عمر محمد الطالب، أثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية، مصدر سابق، ص١٠٥ .

٢. تناسخ الأرواح التناسخ عقيدة منافية للإسلام، فكيف دخلت الحكاية الشعبية العراقية والموصلية بالتحديد، وأصبحت انعكاسا لمعتقداتهم من دون أن يشعروا بذلك، إن السبب جلي وواضح لقد آمنت المزدكية والمانوية والبرهمية والبوذية بذلك وانتقلت إلى العراق عن طريق بلاد فارس، لاسيما أن الفرس اتخذوا من العراق مركزا لحكمهم كما هو معلوم في (المدائن) التي تعد ضاحية من ضواحي بغداد[١]، مما عكس معه بعض العقائد والأفكار التي أخذت تنقل عبر أحاديث يتداولها الناس فتصبح جزءً من حديثهم تنعكس في أحداث حكايتهم الشعبية، ومن الحكايات التي فيها ما يشير إلى عقيدة تناسخ الأرواح حكاية (الدجاجة)[٢]((كانت زوجة التاجر لم ترزق بمولود لسنين طويلة من زواجهما، وكانت تدعو الله أن يمن عليهما بمولود حتى لو كان دجاجة،ويستجيب الله لدعائها وترزق بدجاجة وكانت تتكلم وتتحرك وتتصرف كالإنسان ومتى مانزعت عنها جلد الدجاجة أصبحت فتاة حسناء، ليراها محمد أبن السلطان ذات يوم ويقرر الزواج بها ويجعلها تتلرك عنها جلد الدجاجة)) . وفي حكاية (ست الستوت) تحول الصبي إلى غزال بعد أن شرب من عين الماء .

٣ .الاعتقاد بالأرواح من المظاهر العقيدية الخرافية الاعتقاد بوجود الأرواح، ومن ذلك أن الإنسان عندهم ((إذا قتل ولم يطالب بثأره، خرج من رأسه طائر يسمى الهامة وصاح على قبره: إسقوني اسقوني إلى أن يطلب بثأره))[٣] . وقد قال الشاعر :

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي
أضربك حتى تقول الهامة اسقوني[٤]

وباعتقاد الإنسان بوجود الروح قدر أن يقنع نفسه بالخلود وبإبعاد شبح الفناء عنه، فما دامت الروح خالدة لا يمسها الموت فهو خالد باق معها، ويتضح من خلال ذلك العلاقة القوية بين أرواح الموتى، والإحياء وقد ترتب على هذا بطبيعة الحال الاعتقاد بخلود الروح وصلتها القوية بالإحياء .وهكذا شاع أن روح القتيل تبقى في مكان ارتكاب جريمة القتل ونجد تأكيد ذلك في حكاية (الرجل الذي لا يعرف معنى

(١) عمر الطالب ، اثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية،مصدر سابق، ص ٢٢ .

[٢] عبدالله أمين أغا، حكاية شعبية(الدجاجة)، مجلة التراث الشعبي، العدد الثاني عشر، السنة الثانية عشر، كانون الأول،١٩٨١،ص١٩٣ .

(٣) نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مصدر سابق، ص ١٠٤

(٤) يوسف أمين قصير، الحكاية والإنسان ، مصدر سابق، ص١٤ .

الخوف)[١]، " كان شجاع لا يعرف الخوف ، ذهب ذات مرة إلى مدينة أخرى فلم يجد مكاناً خالياً في خانات المدينة يبيت فيها فدله أهل المدينة على بيت كبير ينزل فيه الأغراب فلم يجد غير غرفة واحدة شاغرة لأنها مسكونة ومن يبيت فيها يموت في ليلته، ولكن شجاعا لم يلتفت لتحذيرات صاحب القصر، وفي منتصف الليل خرجت عليه جثة مقطوعة الرأس وسرعان ما جاء الرأس ليستقر فوق الجثة، أخبرته الجثة بأنه صاحب المنزل وقد ذبحته زوجته وخادمه في هذه الغرفة ودفنوا جثته في الحديقة وعندما شاهدوا كلبه يعوى باكيا قرب الحفرة التي دفن فيها، أخرجوه خارج البيت، وألحت الروح على شجاع أن يأخذ بثأرها من زوجته وخادمه وهددته الجثة بأنه إذا لم يفعل فإنها ستنتقم منه، ذهب شجاع في الصباح إلى صاحب الشرطة واخبره بما رأى وسمع فأرسل معه معاونه ليتأكد من قوله وفي منتصف الليل خرجت الجثة مطالبة بالثار وبلهجة اشد وتهديد اقوى، حتى كاد معاون الشرطة أن يموت هلعا كما مات من الخوف من بات في هذه الغرفة، وأجرى صاحب الشرطة التحقيق وجاءوا بالكلب فدلهم على مكان الجثة في الحديقة وأخرجوها، وحكم على الزوجة والخادم جزاء فعلتهم ، وعاد شجاع إلى مدينته وقد عرف الخوف لأول مرة في حياته ".وفي حكاية (الأشباح الثلاثة الأبيض والأسود والأحمر)[٢] تطالب الأشباح الثلاث بالثار والانتقام من روح الملك الذي دفن حديثا والذي أزهق أرواحها فيما مضى من الزمن، لذا يسهر (محمد) الابن الأصغر للملك مدافعا عن روح والده ثلاث ليال ليتركها بعد ذلك ذاهبة إلى ربها .

أما تحديد الليالي بثلاث فذلك ناتج عن الاعتقاد الشعبي بان الروح تبقى ثلاثة أيام هائمة حول مكان نشأتها ومدفنها وفي نهاية الليلة الثالثة تصعد إلى السماء .على انه لابد من القول بان الذي رسخ هذا الاعتقاد بوجود الروح ، هو تأكيد الديانات السماوية ذلك، إذ جعلت مصدرها من الخالق: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ (سورة الإسراء: الآية ٨٥) .

٤. العالم السفلي لقد ارتبط العالم السفلي الذي كان سائدا في الديانات القديمة بفكرة الفناء،فالأوليات التي كونت هذا العالم وأعطته طابعاً شبه واقعي قديمة جداً،ففي الحضارة السومرية نجد أن هناك عالماً

(١) احمد الصوفي ، حكايات الموصل الشعبية ، مصدر سابق، ص ٨٩-٩٢.

٢ أحمد الصوفي، حكايات الموصل الشعبية، مصدر سابق،ص١٠٢.

سفلياً، وهو عالم اللا رجعة عالم الأموات، ونجد ذلك أيضا فيما تركه الفراعنة من نصوص أدبية ودينية تتحدث عن هذا العالم ، وأيضا في أكثر الحضارات العالمية القديمة، ولنقترب أكثر من الواقع، فان الزائر إلى آثار(أور) يجد أن هناك بنايات وسراديب تحت الأرض تعشعش فيها بعض النسور، وأيضا فان كهوف عريسات الموجودة على مقربة من النجف والتي تعيش فيها بعض الطيور الجارحة كالنسور والخفافيش ليست بعيدة عن واقع القاص الشعبي، وأيضا عن اتخاذها مسرحا،أو بداية لدخول مسرح مهم للأحداث اللاواقعية[١] .ففي حكاية (الملك والحشيش السحري) فانه ما إن قطع الإخوة الحبل بمحمد وهو في البئر، فإذا بصوت يقترب منه فتمسك به وإذا به كبش ينزله إلى العالم السلفي، حيث المدينة ساكنة والناس شاحبون وكأنها مدينة أموات. . . . إن عقيدة الموت والهبوط إلى العالم السفلي هي عقيدة الديانات العراقية القديمة واستمرت في وجدان الشعب فانعكست على شكل حكاية.

٥- السحر في الوقت الذي يبدو السحر في نظر الإسلام قائما على مفاهيم باطلة، فانه في نظر الشعوب البدائية التي تمارسه عمل منطقي، لأنه يصل إلى نتائج طيبة، ويعتقد كثير من العلماء أن السحر هو أول استعمال لمفهوم العلة والنتيجة مارسه الإنسان[٢]، فالممارسات السحرية لا يمكن أن تفشل لأنها تنطوي على افتراضين هما : أن الشبه يرتبط بالشبيه، وان الأشياء التي حدث بينها اتصال سوف تحافظ على هذه الصلة حتى بعد زوال الصلات المكانية بينها[٣]، وهذا ما أطلق عليه (جيمس فريز) بـ (السحر الاتصالي)ويعتمد على قانون الاتصال والتلامس وينصب على أن الأشياء التي كانت متصلة ببعضها في وقت ما تسمى كذلك بنفس الحال من بعد [٤] .ونجد تأكيد ذلك في حكاية(محمد الاقع) فالشعرات التي حصل عليها من الخيول الثلاثة كانت كفيلة بإحضار الخيول إليه وفي الوقت الذي يريد بمجرد فرك هذه الشعرات، ونجد في حكاية (الشواك) حصوله على الشعرات من الحيوانات التي أخرجها من البئر، وفعلا تحضر الحيوانات بعد كل

(١) داؤد سليمان شويلي، البطل في قصصنا الشعبي، مصدر سابق، ص٧٠.

(٢) شاكر مصطفى سليم، مدخل إلى الانثربولوجيا، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٩٧٥، ص ٦٩ .

(٣) محمد علي محمد، دراسات تمهيدية في علم الإنسان، دار الجامعات المصرية ، الإسكندرية ، ١٩٧٤، ص١٥٢ .

(٤) جيمس فريزر، الغصن الذهبي، مطبعة دار العلم ، القاهرة، ١٩٧٥، ص٤٤ .

مرة يقدح فيها شعرات ذلك الحيوان، فالشعر على رأس هذه القاعدة، ظل يحتفظ بقوى صاحبه، حتى إذا ما حرقت شعرة الحصان مثلا فكان جسمه قد حرق واستدعي وهذا ينطبق على رماد الجمجمة التي تظل تحمل من صاحبها المتوفي خصائص الإنجاب إذا ما صادفت جنساً آخر، كما في حكاية (السمكة الضاحكة) تحمل بنت الشيخ حسن عن طريق مسحوق مسحور يشبه الدقيق وجدته في " صرة "[١] فتذوقت بعضا منه.ومن بين الممارسات السحرية التي وردت في الحكاية الشعبية ، القوة الخاصة التي تسكن سلاحاً سحرياً الذي بوساطته يقتل المارد أو الغول ، كما في حكاية (بنت الصياد)[٢](ترزق المرأة ببنت بعد وقت مدة طويلة من زواجها، وتكبر البنت، وبينما كان والدها يمشي في الغابة، هجم عليه أسد الخاص بغول الغابة فقتله، فغضب الغول وحول بنت الصياد الى صخرة، يحزن الصياد وزوجته كثيرا"، ويعلم أبن الملك بذلك فيصر على قتل الغول، وفي الطريق يجد أمرأة عجوز وتدله على السيف السحري الذي يقطع الغول وعلى الحصان السريع الذي يطير عاليا" فوق الغول، ليقتل الغول وتعود البنت الى حالتها الطبيعية، فالسلاح السحري أي السيف السحري هو الذي مكن ابن الملك من تقطيع غول الغابة، وإنقاذ بنت الصياد .

٦-التطير لقد خاف الإنسان من المصير المحتوم عليه، ولهذا فانه كان يحاول بشتى الطرائق السيطرة ولو بشكل جزئي على مجريات الأحداث، فلجا إلى التشاؤم والتفاؤل (التطير) في أثناء تقريره عمل شيء ما، وللعرب قبل الإسلام في هذا فنون كثيرة لا حصر لها، ومنها أن الرجل منهم كان إذا خرج فاستقبلته جنازة يرجع ولا يعود لحاجته لأنها لن تكون مقضيه ، فإذا خرج ورأى بعيرا قد شرد ورأى من يطلبه، تفاءل بأنه ينجو من عدو وسيأتيه فرج قريب[٣]، وفي الحكاية الشعبية يحاول الإنسان التخلص من قدره دون جدوى كقدر ولو افترضنا لا يمكن مجيئه لأنه قدر محتوم كقدر بنت السلطان في حكاية (بنت السلطان وي عليك) التي تحاول الهرب من الطائر المشؤوم ومن نبوءته دونما جدوى.فالإنسان لم يكن يفكر في تقرير الإله لنمط حياته وفنائه بقدر ما كان مشغولا بمسالة المصائر التي تسير على غير هدى في هذه الحياة، وهي تلك التي

(١) صرة: قطعة من القماش، توضع فيها الأشياء وتعقد عندئذ وتسمى " صرة" .

(٢) عبد الجبار صادق التكريتي، بنت الصياد، مجلة التراث الشعبي، العدد (١٢)ر، السنة (١٢)،١٩٨١،ص١٩٧.

(٣) نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مصدر سابق، ص ١١٢.

كان يحاول جهده أن يتفاداها عن طريق السحر والتطير .

٧-قراءة الطالع يقصد بقراءة الطالع قراءة الحظ والمستقبل، ويسمى الذي يقوم بذلك (الفتاح فال) أو فتاح الفال[١]، حيث يفتح البخت ويتكلم على سوء الطالع وحسن الطالع، ولقد فسر العالم الألماني (يونج) ظاهرة انتشار قراءة الطالع فقال: (إن موقف العالم اليوم الذي يتهدد سكان المدن بصفة خاصة ، قد جعل الإنسان يسقط خوفه على عالم السماء بدلاً من عالم الأرض، أي انه يسقطه على عالم الإجرام حيث كانت الآلهة تتربع ذات يوم وتتحكم في مصائر الناس، وبذلك يمكننا إن نقول مع المفارقة أن الآلهة أصبحت أكثر تدخلا في حياة الإنسان منذ أن اختفت من عالمه)[٢] .وفي وسع قارئ الطالع حسب الاعتقاد السائد، أن يتنبأ للناس بأحداث مستقبلية، ويشبه في عمله عمل الكاهن قبل الإسلام[٣]، ولا عجب أن يكون للكاهن شان بعيد عند العرب قبل الإسلام ذلك أن الكاهن هو الوسيط الفعال بينهم وبين الأرواح، وفي وسعه بناء على ذلك أن يخبرهم بما استغلق عليهم من أمور غيبية أو أن يتنبأ لهم بأحداث المستقبل، وقد كان الكهان يزعمون أنهم يفعلون ذلك عن طريق أتباعهم من الشياطين الذين كانوا يسترقون منهم السمع ويأتونهم بالأخبار[٤]،وفي هذا يقول عز وجل في كتابه العزيز: ﴿ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَاباً رَّصَداً ﴾(الجن: الآية ٩) .ففي حكاية (الرفق بالحيوان)[٥]((بعد أن تكسد صناعة الأحذية والتي كان نديم تعتاش منها، جلس يفكر فيما سوف يعمل، في أثناء ذلك تزحف اليه أفعى ،وتتحدث معه وتدليه على الخاتم السحري الذي ما أن يدعكه حتى يخرج منه خادم ليلبي له كل طلباته، يساعد المارد على الحصول على قصر وأموال كثيرة تكون سبب في زواجه من أبنة السلطان، ولكن القصر كان قريب من بيت يهودي أسمه (حزقيال)، والذي علم بسر الخاتم، طلب اليهودي من(فتاح الفال) أن يكشف له مخبأ الخاتم النحاسي الذي يملكه نديم صهر

(١) أزهر ألعبيدي ، الموصل أيام زمان، مصدر سابق ، ص ١٧٠ .

(٢) نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مصدر سابق، ص ٣٢٧ .

(٣) ينظر: ا. بتري ، مدخل إلى تاريخ الإغريق وأدبهم وأثارهم ، مصدر سابق، ص٩٣ .

(٤) نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مصدر سابق، ص ٣٢٧ .

٥ أحمد الصوفي، حكايات الموصل الشعبية،مصدر سابق،ص١٣١ .

السلطان فاستطاع فتاح الفال أن يعين له المكان الذي يوجد فيه..))، وهذا كله ماأتى به الشرع الأسلامي وحذر من الخوض فيه ؛ومنه كذب المنجمون ولو صدقو.

٨-الجان يوجد الجن في حياتنا وبالتالي في حكاياتنا، واخذ شكل الوجود صورة الإيمان بهم بحكم انتمائنا لعقيدة الإسلام ودستوره القران الكريم وقد ذكر فيه صراحة بسورة الجن، إلا أن المجتمع طور هذه العلاقة الاعتقادية إلى علاقة سلوكية فنجد تركيزاً للعلاقة الحسية بين الإنسان والجن فيكثر الزواج بين النوعين على غرار الزواج البشري،ونجد تأكيد ذلك في حكاية (أنا زكية) فقد ورد فيها ذكر قنطرة الجان وكيف أن والد زكية كاد أن يخطفه الجان، وكيف أن الجان خطف أختها الصغيرة وتزوجها .ومن الأمور المتعلقة بالجن حسب الاعتقاد الشعبي ، هي إمكانية اجتذاب الجن باللعب بخاتم مسحور ، كما في حكاية(الرفق بالحيوان) .ولقد امن أهل الموصل بوجود أماكن مسكونة، ((فالجن يسكن في محلات مظلمة وغير مسكونة وفي بيوت خربة لذا كان يصعب على بعضهم المرور في تلك الأماكن))[١] .فإذا أشيع حول دار أو مكان بأنه مسكون ينفض عنه الناس خوفاً وهلعاً، (كقنطرة الجان) التي وردت في حكاية (أنا زكية) وعدّ الدخول إليها في الليل مقياساً لإثبات الشجاعة.ويشترك مع أفراد الجن بعض المخلوقات، ومنها الغيلان فالغول كما يرى بعضهم انه " ساحرة الجن أو ذكر الجن أو شيطان يأكل الناس " [٢]، ولقد مر ذكر الغول في حكاية (بنت الصياد) التي تحدثت عن غول يسكن الغابة.

ومنها (السعلوة)أو الدامية، والسعلاة على ما يعرفها صاحب المستطرق _ نوع من المشيطنة_ وقال السهيلي: هو حيوان يترای للناس بالنهار ويغول في الليل، والسعلاة اسم لواحدة من نساء الجن يتغول لتفتن السفار على حد قول الجاحظ في الجزء السادس من كتاب الحيوان[٣] .

ولنبدأ من البداية مقتفين اثر هذا الرمز في الأشكال الأولى للتعبير الإنساني، حينما كانت الأسطورة تؤدي دوراً حيوياً في حياة الجماعة، وإذا علمنا بعد ذلك أن

(١) بنيامين حداد، وآخرون، من تراثنا الشعبي في قرى نينوى، الكتاب الأول ، مطبوعات الجمعية الثقافية للناطقين بالسريانية، مطبعة شركة التايمس ، بغداد ، ١٩٨٢، ص٢٧٣.

(٢) عبد الجبار محمود السامرائي ، السعلاة أو الغول في تراثنا الشعبي ، مجلة التراث الشعبي ، العدد الرابع ، السنة الثانية، ١٩٧٠، ص ٥٧.

(٣) عبد الجبار محمود السامرائي ، السعلاة أو الغول في تراثنا الشعبي ، مصدرسابق، ص ٥٨ .

هذا الرمز الذي ظهر بشكل أو بآخر بوضوح في الأساطير الأولى بل في المادة الاثنولوجية في التعبير التصويري الذي خلفته تلك العصور ، وما زال يعيش حتى اليوم في الحكايات الخرافية أو الشعبية بصورة أو بأخرى[١]، وأما الدامية أو السعلاة وحسب الاعتقاد السائد في العراق: " فإنها أشباح تمتص الدم "[٢]، أي أنها تتغذى على لحم البشر .ونجد تأكيد ذلك في حكاية (حديدان مع الدامية)[٣]({ تدور أحداث الحكاية حول ثلاثة أشخاص (نخيلان ، وقصيبان، وحديدان) ، إذ تتمكن الدامية الجائعة أن تجعل من نخيلان وقصبان طعاما لها ولأولادها، ولكنها تفشل في قتل حديدان لأنها لا تتمكن من دخول بيته المبني من الحديد، وأخيرا يتمكن منها حديدان ويقضي عليها}) . وفي حكاية (جرق والسعلوة)[٤]({ كانت غزالة تسرح في الصباح، لتعود في المساء بالطعام الى صغارها، الإ أن هذه الغزالة في يوم من الأيام حينما عادت لم تجد صغارها، فتسرع الى الدامية، بعد أن جمعت كل ماأوتيت من كره وحقد على الدامية وبكل رغبتها في أعادة صغارها الى أحضانها، لتنطح الدامية فتبقر بطنها لتخرج منها صغارها أحياء}) .وهكذا عاشت السعلاة (الدامية) حيناً من الدهر تبث الرعب في حياتنا الشعبية ، وتمسخ لياليا المواتع جحيماً، وإذا شاخت سيادتها _قبل اليوم_ وأصابها العطب مع الغزو الكهربائي،فإنها تسنمت تراثنا الشعبي أجيالا بعد أن أتاح لها الظلام والجهل أسباب الجبروت والقهر[٥] .ومهما يكن من شيء فان هذه المخلوقات قد حققت رسالتها في دنيا المثيولوجيا العراقية بعدان زرعت الإرهاب في مدننا وقرانا ردهاً من الزمن والهت العقل الشعبي العراقي يوم كان نهبا للجهل والظلام، أما اليوم فقد أصبحت من أساطير الأولين ومن الخرافات البائدة التي تقصها العجائز حول مواقد الشتاء ، وقد ظلت _السعلاة_ أو الغول تعيش في كل بيت وحديث كل أسرة وعشعش خيالها في أذهان جداتنا وأمهاتنا طويلا وما هي في الحقيقة بموجودة _ لقول احد الشعراء:

(١) نبيلة إبراهيم، الدراسات الشعبية بين النظرية والتطبيق، مصدر سابق، ص ٢٣٨.

(٢) نبيلة إبراهيم، حكايات شعبية عربية ، مجلة التراث الشعبي ، العدد الثاني ، السنة الثالثة،١٩٧١، ص ١٥١.

(٣) ينظر : احمد الصوفي، حكايات الموصل الشعبية ، مصدر سابق، ص ١٤١_١٤٤.

٤ عبدالباري عبد الرزاق النجم، ملامح الحكاية الموصلية،مصدر سابق،ص١٢٠.

(٥) عبد الحميد العلوجي،من تراثنا الشعبي، السلسلة الثقافية (١٣) وزارة الثقافة والإرشاد في الجمهورية العراقية، دار الجمهورية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦، ص ١٠٤.

أيقنت أن المستحيل ثلاثة الغول والعنقاء والخل الوفي[١] .

٩-الطب الشعبي تحدثنا حكاية (الملك والحشيش السحري) بزعم مؤداه أن بعض الحشائش تشفي من العمى وتحدثنا حكاية (قبيح ومليح)[٢] عن مخ القطة الذي شفى ابنة الملك من الجنون، برغم ما كان موجوداً من الأطباء الماهرين في الموصل فان بعض الناس كانت تسيطر عليهم فكرة الطب البديل، وليست هذه الوصفات بالمستغربة في الحكاية، إذ يوجد كثير من أهالي الموصل والى حد اليوم من يثقون كل الثقة في علاجات العطارين والمعشبين، وأكثرها من نبات الأرض، كالبيبون، وحبة البركة، وورد مأوي، والنعناع، والميرمية، والينسون. . . .وهناك من أنواع الطب الشعبي العزامة (الرقية) وهي ثابتة في الشرع وزيارة المراقد الدينية والمقدسة للشفاء وهذه لم تثبت في الشرع.فنجد بعض الناس يعتقدون بان العزامة من سيد أو أمام جامع تشفي كل مرض،فكان الناس يلجاؤن إليهم للعلاج من أي مرض كان[٣] ،ففي حكاية (أنا زكية)اصطحب والد زكية، ابنته الصغرى المصابة بالتهاب اللوزتين إلى الشيخ ليرقيها .

النتائج والتوصيات:-

أولا":- النتائج:-لقد توصل البحث الى نتائج عدة، لعل أبرزها يتجلى فيما يأتي:-

١- الحكاية الشعبية وليدة بيئة معينة لها ظلالها الأجتماعية الخاصة ولها ظروفها التي فرضت على الفرد تاثيرا" في فكره وعاداته وتقاليده، لذلك لم تكن الحكايات الشعبية وليدة ترف ذهني أو ترف أجتماعي، وإنما كانت جزءا" من ذات المجتمع وثقافته كما كان تاثير البيئة واضحا" جدا" فيها .

٢- إن هذه الحكاية كما هو واضح من خلال أستعراض الحقب الزمنية التي مرت بها، لاتبقى جامدة، وإنما تمتاز بمرونتها التي تسمح لها بأن تتبلور الى أشكال متوافقة تماما" مع طبيعة المرحلة الأجتماعية التي تنشأ فيها، الأمر الذي يؤكد العلاقة الجدلية القائمة بين الحكاية والواقع الأجتماعي الذي تعبر عنه.

٣- وتبين لنا أن المنهج الذي أشتغلنا عليه وهو منهج التحليل الأجتماعي مفيد جدا" ويناسب الى حد كبير

(١) عبد الجبار محمود السامرائي ، السعلاة أو الغول في تراثنا الشعبي، مصدر سابق، ص ٦٤ .

٢ خليل محمد أبراهيم، حكاية شعبية(قبيح ومليح)، مجلة التراث الشعبي، العدد الأول، السنة التاسعة والثلاثون، ٢٠٠٨،ص١٥٦.

(٣) ينظر: أزهر ألعبيدي ، الموصل أيام زمان، مصدر سابق ، ص ١٦٧ .

مايرمي البحث الوصول اليه، والمتمثل في المضامين العقائدية للحكاية الشعبية الموصلية.

٤- وأعتمادا" على هذا المنهج تم التوصل الى المضامين العقائدية الكامنة في الحكايات الشعبية الموصلية.وقد أتضح أن هذا المجتمع محكوم بتأثيرات دينية نابعة من تعاليم الدين الإسلامي الذي يعد دين الأغلبية في المجتمع الموصلي، وتبرز أعتزاز الناس في المجتمع بقيمهم الدينية الإسلامية في جزيئات الحكاية بشكل ملحوظ.

٥- كما أتضح انغماس المجتمع في الأوهام والانزلاق الى هاوية الخرافات والأباطيل، والركون الى المنجمين الذين كانت لهم يد طولى في تحويل هذه الأمور الى معتقدات أجتماعية شبه ثابتة، بدافع محاولة تفسير متغيرات واقعهم التي لم يجدوا لها تفسيرا" منطقيا" عقلانيا"، مما دفع المجتمع الى ممارسة السلوك والعادات المتصلة بالتفكير الخرافي، الذي كان أهم أسبابه هو العجز والضعف إزاء حاجاته أو مشكلاته المستعصية، وعدم القدرة على التفكير السليم، مما حذا ببعضهم الى أن يعزو الأمر الى الحظ ويتكل على مقولة الحظ العاطل لعله يجد الراحة من عناء التفكير في ذلك، وبذلك تكون المعتقدات والخرافات مظهرا" من المظاهر الأجتماعية التي كرستها أسباب كثيرة كما تبين لنا .

الهوامش:-

ثانيا":-التوصيات:-١- تشجيع العمل الهادف إلى حماية وصون النتاج الشعبي العراقي بشكلٍ عام والموصلي على وجه الخصوص وفرزه من الجواز وعدمه.

٢- الدعوة إلى إنشاء معاهد علمية ومراكز بحثية تعني بإعداد الكوادر المدربة على جمع وتوثيق وحفظ وأرشفة المأثورات الشعبية العراقية وفق آلية ونظام موحد .

٣- حث الباحثين والمهتمين بجمع المأثورات الشعبية ودراستها في العراق على مواكبة التطور العلمي في استخدام التقنيات العلمية الحديثة في توثيق مواد المأثورات الشعبية وإطلاق البوابة الالكترونية باللغتين العربية والانكليزية.

٤- توجيه الاهتمام من الجهات المعنية لتضمين النتاج الشعبي بكل أنواعه، ضمن الأنشطة الفنية بالمدارس.

٥- العمل على جمع وتسجيل مواد المأثورات الشعبية العراقية وتوثيقها بالوسائل الحديثة لتسهيل تقديمها للباحثين والدارسين والمهتمين بالمأثورات الشعبية.

محددة هي الإصلاح والتقويم والتوجيه والموافقة في مجال

الحياة العامة.([1])

أما التعريف النظري للحكاية الشعبية فهي:-شكلٌ سرديٌ تقليديٌ، ونتاجٌ فكريٌ غير مدونٍ في الغالب، أو في طور التدوين أحياناً، ينتقل عبر الأجيال بالرواية الشفوية، مبدعها الشعب، أبطالها المجتمع ورموزه، حوارها اللهجة العاميّة، يشترك في خلقها والتأثير فيها مجمل ظروف المجتمع الطبيعية والحضارية والسياسية والاقتصادية والدينية والثقافية، تضم صور الشعب وبطولاته الأخلاقية والتعليمية والتربوية والثقافية والعقائدية والاجتماعية بشتى مغامراتها ومفارقاتها، وهي تنقل خبرة المجتمع وتجربته القديمة عبر العصور للأجيال اللاحقة شفاهاً تارةً وكتابةً تارةً أخرى.

المبحث الثاني:-المضامين الأعتقادية الأسلامية في الحكاية الشعبية الموصلية:-

١. مقدمات الحكايات

[1] د.عمر محمد الطالب، أثر البيئة في الحكاية الشعبية العراقية، الكتاب(٢)، الموسوعة الصغيرة ٨٦، دار الجاحظ للنشر، بغداد، ١٩٨١،ص٣.

مدى افادة طلبة قسم الترجمة من مادة اللغه العربية في ترجمة النصوص الادبية :دراسه تحليليه لنقاط القوه والضعف

أ.د سهامه غفوري علي

المستخلص

مما لا شك فيه أن للترجمة دورا مهما وحيويا في الارتقاء بالجوانب الحضارية والثقافية للدول ، اذ تعد وسيلة للنهوض العلمي في الوطن العربي في جميع الاختصاصات لا سيما اللغة العربية، فهي أحدى ظواهر النشاط العلمي والحضاري الذي عرفته الحضارة العربية الإسلامية منذ عهودها الأولى. ولقد أسهمت الترجمة إلى حد كبير في تطوير البحث في اللغة العربية وذلك من خلال عمليات ترجميه وتعريبية واسعة، كان لها الفضل في تطوير اللغة وإغنائها ،وبما ان الترجمه هي نقل النص من لغه الى لغه اخرى الامر الذي يتطلب اتقان اللغه المترجم منها والمترجم اليها ، لذا فان اجادة اللغه العربية يعد احد العوامل المهمة في انجاح الترجمه من اللغه الانكليزيه الى العربية الامر الذي يتطلب معرفه جيده بقواعد اللغه العربية واسلوب التعبير واستخدام الالفاظ والتراكيب الملائمه مع المعنى المطلوب لهذا يتضمن منهاج طلبة الترجمه دراسة اللغه العربية لاربع سنوات متتاليه ليستطيع الطالب التعامل مع النصوص المختلفه .

لذا فالبحث يحاول تسليط الضوء على الاهداف الاتية:-

١. التعرف على الفائده المتحققه من مفردات اللغه العربية ضمن منهاج قسم الترجمه في رفع مستوى الترجمه من اللغه العربية الى الانكليزية والعكس صجيح
٢. اهم الجوانب التي غطتها مفردات اللغه العربية والتي حققت الفائدة المطلوبه من ترجمة النصوص الادبيه
٣. مدى فاعلية مفردات اللغه العربية في دقة ترجمة النصوص الادبية
٤. المشاكل التي تواجه الطلبة في ترجمة النصوص الادبية والمتعلقه بقواعد اللغه العربية واصولها

Abstract

The translation plays an important and vital role in promoting the cultural and cultural aspects of countries. It is considered as a means of scientific advancement in the Arab world in all specialties, especially the Arabic language, which is one of the phenomena of scientific and cultural activity that the Arab Islamic civilization has known since its early days. The translation has contributed greatly to the development of research in the Arabic language through the process of translation and wide-ranging,

which has been credited with the development of language and enrich, and the translation is the transfer of text from one language to another language, which requires proficiency in the language translated from the translator, The Arabic language proficiency is one of the most important factors in the success of translation from English to Arabic, which requires a good knowledge of the rules of Arabic language and style of expression and the use of words and appropriate structures with the meaning required for this curriculum includes students to study the Arabic language for four consecutive years to help Students deal with different texts.

Therefore, the research attempts to shed light on the following objectives:

1. Recognition of the benefits realized from the vocabulary of the Arabic language within the curriculum of the translation section in raising the level of translation from Arabic to English and vice versa
2. The most important aspects covered by the curriculum of the Arabic language, which achieved the required benefit from the translation of literary texts
3. The effectiveness of the curriculum of Arabic language in the accuracy of the translation of literary texts
4. Problems faced by students in translating literary texts related to the rules of Arabic language and its origins

اهمية البحث

من المؤسف جداً أن تعليم اللغه العربية في اقسام الترجمة في البلاد العربية يعد مادة ثانوية قياسا بالمواد الاساسية التي يحتاجها الطالب ، كما أن المدارس الأجنبية التي يشتد الإقبال عليها أخذت تدرّس اللغة العربية للأجيال الناشئة بطريقة هجينة تكاد توحي للمتعلم أن اللغة الأصلية هي الأجنبية وليست اللغة

مشكلة البحث

يتضمن منهاج قسم الترجمة تدريس مادة اللغه العربية للمراحل الاربعه، وذلك لحاجة الطلبة الى اتقان اللغه العربية سواء من ناحية النحو او الصرف او اختيار التراكيب الملائمة للمعنى الحقيقي للجمل المترجمه عند ترجمة النصوص من اللغه العربية واليها ،لذا فالبحث يحاول الاجابة على التساؤلات الاتية:-

١. هل ان طبيعة المفردات ومحتوياتها للسنوات الاربعه قادرة على اكساب الطلبة المهارة لترجمة النصوص وفق قواعد اللغه العربية الصحيحة؟

٢. هل يتبع اساتذة المادة الاستراتيجيات المتنوعه التي من شانها مساعدة الطلبة في الترجمه الدقيقة؟

٣. هل اساتذة المادة يملكون القالية على التعامل مع النصوص المختلفه.

مراجعة الادبيات

هدفت دراسة (منجد مصطفى بهجت وداؤد ماهر محمد ١٩٨٧.) البحث الى معرفة فاعلية تدريس اللغه العربية في اقسام غير الاختصاص في كلية الاداب في جامعة الموصل وتوصل البحث الى ان جميع الطلبة يرون ان مادة اللعه العربية مهمه في حياتهم العلمية والعملية .اما (الدليمي ١٩٨٨) سعى الى التعرف على المشكلات الخاصه بتدريس اللغة العربية العامة لاقسام غير الاختصاص في جامعة بغداد وكشف البحث ان هناك عدد من المشاكل التي تواجه الطلبة في كليتي الاداب واللغات منها مايتعلق بالكتاب المقرر ومفرداته ومنها مايتعلق بالامتحانات المختلفه. وفي سنة ١٩٩٦ درس (احمد علي كنعان ١٩٩٦) واقع تدريس اللغه العربية بجامعة دمشق للطلبة غير الاختصاص وخلص البحث الى ان مادة اللغه العربية مفيدة للطالب ولايمكن الاستغناء عنها .ودرس كل من (الجبوري، فتحي طه مشعل وعائشه ادريس عبدالحميد ،٢٠٠٥) تقويم تدريس اللغه العربية في اقسام غير الاختصاص في كلية التربية الاساسية وهي قسم اللغه اللانكليزية العلوم الاجتماعية والرياضيات والعلوم وتوصل البحث الى ان مفردات اللغه العربية العربية سوى مكمّلة للغة الأجنبية، من هنا تكمن اهمية البحث في محاولة توجيه انظار القائمين على اعداد مفردات اللغه العربية لاقسام الترجمة ان تكون المفردات متوافقه مع حاجات الطلبة من اجل التعامل مع النصوص المختلفه وترجمتها ترجمه دقيقة متوافقة مع قواعد اللغه العربية وفي هذه الحالة قد نلمس تحسناً في مستوى الترجمة من العربية وإليها، بل قد لا نحتاج إلى الترجمة.

اهداف البحث

١. التعرف على الفائده المتحققه من مفردات اللغه العربية ضمن منهاج قسم الترجمه في رفع مستوى الترجمه من اللغه العربية الى الانكليزية والعكس صجيح
٢. اهم الجوانب التي غطتها مفردات اللغه العربية والتي حققت الفائدة المطلوبه من ترجمة النصوص الادبيه
٣. مدى فاعلية مفردات اللغه العربية في دقة ترجمة النصوص الادبية
٤. المشاكل التي تواجه الطلبة في ترجمة النصوص الادبية والمتعلقه بقواعد اللغه العربية واصولها

منهج البحث

استخدم منهج دراسة الحاله وذلك لملائمته طبيعة المعلومات المجمعه في البحث

مكتوبه او مبصره (الدليمي،طه علي حسين والوائلي، سعاد، ص ٥٧)

ان اهمية اللغه العربية تبرز من تميزها بتاريخ عريق وصلتها الوثيقة بكتاب الله فهي من الوسائل المهمى لعملية الاتصال والتفاهم بين الطالب وبيئته ولذا يهدف تعليم العربية الى تمكين المتعلم من الوصول الى المعرفه بتزويده بالمهارات الاساسية في القراءة والكتابه والتعبير. ان اللغه العربية تنبع اهميتها من كونها ذات قدرة على تذليل الصعاب وقوة واضحه في مجابهة الحياة وانها تتمتع بقدرة فائقه على استيعاب كل جديد من العلم والحكمة والفلسفه وانواع المعرفه الاخرى .(الدليمي،طه علي حسين و الوائلي ، سعاد ، ص٦٠)وكذلك فهي لغة الحديث النبوي الشريف فقد قال النبي محمد صل الله عليه وسلم" من احب الله تعالى احب رسوله محمد ومن احب الرسول العربي احب العرب ومن احب العرب احب العربية" (الدليمي،طه علي حسين و الوائلي، سعاد، ص٦١)

الترجمة الادبية

الترجمة الأدبية من الحقول المعرفية الرصينة جدا وهي واحدة من أهم أنواع الترجمة المتخصصة والتي تغطي واضحة ومفهومة الا انها مكررة لاتواكب التطورات الحديثة . اما الدراسة الحالية فتختلف عن الدراسات السابقة بكونها تتناول افادة الطلبة من مادة اللغه العربية في ترجمة النصوص الادبية المختلفه محاولة وضع توصيات من شانها تطوير مفردات المادة ودعمها لتكون اداة فاعلة للطلبة .

الجانب النظري

لقد اختلف العلماء القدامى منهم والمحدثون في تعريف اللغه ومعرفة ماهيتها فقد قال ابن جني في حد اللغه " اما حدها فانها اصوات يعبر بها كل قوم عن اغراضهم وغرفها ابن خلدون في مقدمته وتحديدا في تعريفه المحدثون بانها "نظام رمزي صوتي ذو مضامين محددة تتفق عليه جماعه معينة ويستخدمه افرادها في التفكير والتعبير والاتصال فيما بينهم وعرفت ايضا بانها نظام صوتي يمثل سياقا اجتماعيا وثقافيا له دلالته ورموزه وهو قابل للنمو والتطور ويخضع في ذلك للظروف التاريخية والحضاريه التي يمر بها المجتمع . فاللغه اهم الظواهر الاجتماعية التي اغنت التفكير البسسشري وهي سمة انسانية لذلك يجب ان تكون في خدمة اهداف الانسان واغراضه الحقيقه واللغه ايضا احد الظواهر الحضارية المهمة في المجتمع وهي اما منطوقه او

والمعنى والصور الشعرية التي تميز الشعر في اللغة الهدف. كما أن صناعة السينما توظف المترجمين الأدبيين لترجمة الأفلام الى اللغات الآخرى. (literary translation. p1)

فالنص الأدبي من حيث بنيته المعقدة وتفرده بخصائص جوهرية تحدد ماهيته ضمن نوع من الأنواع الأدبية يصير من المُحال نقله بدقة إلى اللغة الهدف بدون الإحاطة ببعض الجوانب من المعرفة كالإلمام بالمبادئ الأولى للفنون البصرية والسّمعية، مثل توافق الألوان والأشكال أو تفاوتها وتناقضها، ومغزى الاتساق في الصوتي المخارج والإيقاعات، والحس الموسيقي بصفة عامة، ومغزى التكرار وأنواعه وألوانه، ودلالات المجاز والكناية والأمثال الشعبية والحكم التراثية والقيم الدينية والعادات الاجتماعية (محمد عناني، ص٦) . من بين أهم الصعوبات التي يلْقَاها المترجم صعوبة ترجمة الألفاظ وخصوصاً المجردة منها وهي التي تحيل على العواطف والأفكار والانفعالات. وهذه الألفاظ تحتمل أكثر من معنى واحد وقد يتم ذلك في سياق نص بعينه فضلاً عن النصوص المتباينة واستعمالات الألفاظ في سياقات تستوعب مدلولات كثيرة

مختلف الأجناس الأدبية مثل الروايات والقصص القصيرة والمسرحيات والشعر. ويقوم بترجمة النصوص الأدبية مترجمون يمتلكون الخبرة والمقدرة على الربط الشامل بين الخبرة في مجال الترجمة والمعرفة الأدبية الواسعة لأن ترجمة الأعمال الأدبية ليست مهمة سهلة. والترجمة الأدبية لايمكن النظر أليها من زاوية كونها فنا قائما بذاته لأنها أكثر من ذلك بكثير حيث أن الروائع الأدبية تضم مثلا جمالية وتعبيرية ، كما أن لكل جنس أدبي مشاكل ترجمية خاصة به دون غيره. فعلى سبيل المثال يقوم المترجم بترجمة الخطاب المسرحي أو غيره من الخطابات. وهذا النمط من الترجمة لا يقتصر ببساطة على قراءة النص وكتابته حيث يتعين عل المترجم أن يقرر أنتقاء اللغة المناسبة للموضوع الذي هو بصدد ترجمته وكذلك العلاقات فيما بين الشخصيات. والمثال الآخر يتعلق بالقصص القصيرة التي تشكل صعوبات في الترجمة من خلال وجوب المحافظة على التركيز الشكلي والموضوعي والوحدة الموضوعية في النص الأدبي وهذه أمور لابد من المحافظة عليها من خلال التماسك اللغوي واضح المعالم. ويصعب على المترجمين بشكل خاص التعاطي مع ترجمة الشعر وخاصة مايتعلق بالشكل الفني والأيقاع

المشاكل الخاصه بترجمة النصوص العربية

من الألفاظ أيضا تلك التي تخص المجسدات وبها من الصعوبات ما هو أقل شأناً من المجردات، ومن صعوباتها هو الاختلاف الحضاري بين الثقافتين اللتين تشغلان لب المترجم، فما هو موجود في العالم الأول من تطور تقني وحضاري ورقي صناعي وعلمي قد لا يستوعبه وعاء دول العالم الثالث إلا بالتدريج، وربما كانت المشكلة أعقد من ذلك لوجود مميزات تحدد هوية الثقافة الأجنبية المهيمنة تفتقر إليه الدول الصاعدة ودول الهامش، فضلا عن كون البيئات الطبيعية التي هي مظهر من مظاهر المجسدات تختلف اختلافا بيناً عنها في دولنا العربية، ورغم وعي المترجم بها فإنه يعاني صعوبة في توصيلها إلى أفهام الناس. وهذه الصعوبة أشار إليها محمد ديداوي أيضاً بحيث قال في كتابه: «وقد تكون الكلمة أحيانا مثاراً للجدل والخلاف، مثلما حدث حول الاتفاقية الرباعية حول مدينة برلين. وأجل إبرام هذه الاتفاقية بسبب الاختلاف على ترجمة كلمة أي دخول، ولوج، وصوز(محمد ديداوي، ص٣٦)

والعلاقات الدولية ذات المفردات المتغيرة باستمرار.

ولا يجوز للمترجم ولا للمصحح اللغوي الإغضاء عن هذه التغيرات التي تطالعنا يومياً. ثم إن الدلالات اللغوية وإيحاءاتها تخضع للتطورات الناجمة عن حركة العولمة إلى جانب التطورات الطبيعية التي تحكم لغة المجتمع الذي تتطور احتياجاته ومفاهيمه تحت وطأة التطورات الطبيعية للعلاقات الاجتماعية. ونخلص من هذا الى ان هنالك العديد من المشاكل الخاصه بترجمة النصوص العربية منها على سبيل المثال لاالحصر:-

١- مشكلة الوقت:- من اهم العوامل التي تؤدي الى وقوع المترجم في الخطا فهو مقيد بوقت محدد لاتمام ترجمته(القاسمي، علي، ص١٢٧)

٢- قدرة المترجم الانتاجية:- ان كثير من المؤسسات تطلب من المترجم قدرا معينا من النصوص المترجمه يوميا ومن العوامل التي تؤثر على قدرة المترجم الانتاجيه هي:-(القاسمي، علي، ص١٢٩-١٣٠)

٣- صعوبة النص المترجم :- بعض النصوص تتسم بالصعوبه سواء بالمفردات اللغوية او بالمعنى مما يتطلب من المترجم ان يحسن قراءة واستيعاب النص الذي يترجمه.

تحتاج عملية ترجمة النصوص المختلفه الى معرفه وثيقه باساسيات الترجمه ومتطلب بديهية. وباستثناء الترجمات التي يتولاها أدباء من ذوي الكفاءة باللغتين المرسلة والمستقبلة ظلت معظم الترجمات العربية الشائعة تعاني من ضعفٍ شديد في مختلف المجالات المعرفية، وكان قراء الترجمات إلى العربية يشتكون بوجه خاص من ضعف لغة المترجمين واستهانتهم بقواعد اللغة العربية وجماليات أساليبها. ولكن مشكلة المترجمين في المجال العربي لها وجه آخر يتمثل في الضعف اللغوي المستشري في الترجمات بسبب غياب أي تأهيل لغوي عربي لدى المترجمين. وأكثرهم لا يكلفون أنفسهم مشقة تحسين معرفتهم باللغة الأم. وهكذا يتضح أن مستقبل الترجمة العربية قاتم جداً لأن أقسام اللغات الأجنبية في الجامعات العربية ترفض أيضاً تخصيص مقررٍ لتدريس اللغة العربية، ولا ندري هل مدرّس الترجمة في هذه الأقسام مؤهل لإعطاء لغته الوطنية الاهتمام الكافي، ومعظمهم طبعاً من متخرجي الجامعات الأجنبية. وهناك استثناءات عائدة طبعاً إلى وعي الأسرة بضرورة الاهتمام باللغة العربية في مراحل التعليم المبكرة(الخطيب، حسام) .

يضاف إلى كل ما تقدم أن لغات العالم المعاصر تحتاج دائماً إلى تغذية تناسب التطورات العلمية والتجارية

نظرا لكون اعلبية المترجمين يستخدمون المعلج الثنائية اللغه عند القيام بالترجمه فالمعجم الثنائي يعاني من مشكلتيين هما

تكديس اشباه المترادفات في مقابل الكلمة الاجنبية الواحدة وخلط مفردات الحقل الدلالي الواحد

الترجمه تزيد متعة القراءه للنصوص المترجمه فضلا عن كونها تعلم الكتابه الادبية (القاسمي ، علي، ص ١٥٤)

فالمترجم وسط بين مؤلف اجنبي وقارئ وطني ، وسيط بين لغة الاصل المرسله ولغة الترجمه اللمتلقيه وسيط بين الثقافه التي كتب فيها النص والثقافة اتي نقل اليها النص ويتوقف نجاح الترجمه على كيفية اداء هذا الوسيط لدوره واتقانه له ويعتمد تفوق المترجم على تمكنه من اللغتين والمامه بالثقافتيين ومعرفته لموضوع النص وادراكه لاسلوب المؤلف وتقنياته (القاسمي،علي، ص ١٥٥)

الجانب العملي:-المواد وطرائق العمل

اجراءات الدراسة

استخدم منهج دراسة الحاله والمنهج الوصفي القائم على تحليل اراء طلبة المراحل الدراسية الاربعه في قسم الترجمه اذ تم تحليل فقرات الاستبانه (الملحق –

٤- الهدف الاساسي من الترجمه :- من المهم جدا عند الترجمه بغض النظر عن موضوعها ان يعرف المترجم الهدف الذي من اجله يترجم من اجل انجاح عملية الترجمه.

٥- وسائل المترجم هل يكتب المترجم الترجمه بنفسه او يمليها على كاتبة اختزال وهل يستخدم المعاجم اللغوية التي تساعده في الترجمه

٦- خبرة المترجم هل يمتلك المترجم خبرة طويله في مجال الترجمه

٧- اللغه التي يترجم اليها:- وهل يمتلك المترجم معرفة وافية بتفاصيلها

٨- مشاكل تاهيل المترجميين وتخصصهم(القاسمي، علي، ص ١٣١)

كان المترجمون في السابق يحترفون مهنة الترجمة دون اعداد متخصص وانما كان معظمهم من دارسي اللغات الاجنبية الذين نموا لديهم مهارات الترجمة بالممارسه اما اليوم فان معظم المترجمين قد حصلوا على تاهيل رسمي متخصص في الترجمة

٩- مشكلة المعجم العربي (القاسمي، علي، ص ١٣٢-١٣٣)

مجتمــع الدراسة

اشتمل مجتمع الدراسة على طلبة المراحل الدراسية الاربعه للسنة الدراسية ٢٠١٧–٢٠١٨ اذ اذ بلغ عدادهم (٢٧٣ طالب) مورعين كالاتي:–

أ– فقرات الاستبانه) التي تم توزيعها على الطلبة للتعرف على مدى افادة مادة اللغه العربية في ترجمة النصوص من اللغه الانكليزية الى العربية ،اذ تم استخدام مقياس ليكرت الخماسي (اتفق كثيرا–اتفق–محايد– لااتفق– لااتفق كثيرا)

الجدول(رقم ١)

يبين المجموع الكلي لمجتمع البحث

المرحلة	عدد طلبة المراحل المختلفه
الاولى	٨٥
الثانية	٥٩
الثالثه	٥٠
الرابعه	٧٩
المجموع	٢٧٣

الوسائل الاحصائية:– تم استخدام الوسائل الاحصائية الاتية:–

الوسط المرجح: استحدم لوصف كل فقرة بمعرفة قيمتها وترتيبها ضمن كل مجال وفق القانون الاتي:–

وبعد توزيع الاستمارات واستلام الاجابات تم تفريغ البيانات في جداول اذ استخدمت الوسائل الاحصائية الاتية:–

$$وح = \frac{ت١\times٥ + ت٢\times٤ + ت٣\times٣ + ت٤\times٢ + ت٥\times١}{ن}$$

اذ ان وح= الوسط المرجح ، ن= عدد افراد العينة

ت٤= تكرار الاستجابه الرابعه لااتفق ووزنها (درجتان)

ت٥=تكرار الاستجابه الخامسة لااتفق كثيرا ووزنها (درجة واحدة)

ت١=تكرار الاستجابه الاولى اتفق كثيرا ووزنها (خمس درجات)

ت٢= تكرار الاستجابه الثانية اتفق ووزنها (اربع درجات)

ت٣= تكرار الاستجابة الثالثه محايد ووزنها (ثلاث درجات)

الوزن المئوي= الوسط المرجح × ١٠٠

الدرجة القصوى

النصوص المختلفه على اعلى وسط مرجح ووزن مئوي اذ بلغ الوسط المرجح (٣,٣) والوزن المئوي (٦٦) الامر الذي يعكس على مقدرة استاذ اللغه العربية على التعامل مع النصوص الادبية المختلفه.

ويقصد بالدرجة القصوى اعلى درجة حصل عليها المقياس الحماسي الا وهي اتفق كثيرا

الجدول رقم (٢)

النتائج الخاصه بالفقرات من ١ الى ٣

يبين الجدول رقم (٢) ان الفقرة الخاصة بامتلاك استاذ مادة اللغه العربية القدرة العلمية على التعامل مع

استجابات الطلبة للفقرات من ١ – ٣

الفقرات	اتفق كثيرا	اتفق	محايد	لااتفق	لااتفق كثيرا	الوسط المرجح	الوزن المئوي
تساعد محتويات المفردات على الترجمه الدقيقة	٤٠	٤٣	٣٠	٩٠	٧٠	٢,٦	٥٢
تناسب المفردات الحاجه الفعلية للمترجم	١٠	٣٠	٢٠	١٥٠	٦٣	٢,٢	٤٤
يمتلك الاستاذ المتخصص القدرة على التعامل مع	٨٣	٥٠	٥٠	٥٠	٤٠	٣,٣	٦٦

النصوص المختلفه							

اعلى وسط حسابي مرجح ووزن مئوي اذ بلغ الوسط المرجح (٤,٢) والوزن المئوي (٨٤) مما يدل على اهمية التفاعل مع الحوارات المختلفه التي تجري داخل القاعه الدراسية .

النتائج الخاصه بالفقرات من ٤-٦

يبين الجدول رقم ٣ ان الفقرة الخاصه بامتلاك الاستاذ على ادارة الحوارات اللغوية المختلفه قد حصلت على

الجدول رقم (٣)

يبين استجابات الطلبة للفقرات من ٤-٦

ت الفقرات	اتفق كثيرا	اتفق	محايد	لااتفق	لااتفق كثيرا	الوسط المرجح	الوزن المئوي
تساعد المفردات على حل مشاكل ترجمة النصوص الى اللغه العربية	٣٢	٣١	٤٠	١٠٠	٧٠	٢,٥	٥٠
يمتلك استاذ الماده القدرة على ادارة الحوارات اللغوية	١٣٠	٩٠	٢٢	٢٠	٢١	٤,٢	٨٤
يستخدم الاستاذ جوانب تطبيقية متنوعه	١٣	٢٠	٢٠	٢٠٠	٢٠	٢,٣	٤٦

والوزن المئوي (١٠٦) الامر الذي يدل على قصور منهج اللغه العربية في مساعدة طلبة الترجمة في ترجمة النصوص الخاصه باللغه الانكليزية الى اللغه العربية وترجمتها ترجمه دقيقة تتوافق مع قواعد اللغه العربية السليمة.

النتائج الخاصة بالفقرات من ٧-٩

يشير الجدول رقم (٤) الى ان الفقرة الخاصة بمفردات المنهج غير كافية وغير شامله في تغطيتها لاحتياجات طلبة الترجمة قد حصلت على اعلى وسط حسابي مرجح ووزن مئوي اذ بلغ الوسط المرجح (٥,٣)

الجدول رقم (٤)

استجابات الطلبة للفقرات من ٧-٩

الفقرات	اتفق كثيرا	اتفق	محايد	لاتفق	لاتفق كثيرا	الوسط المرجح	الوزن المئوي
ضعف مهارة المدرس في التعامل مع النصوص المختلفه	٣٠	٢١	٢٢	١٠٠	١٠٠	٢,٢	٤٤
من الضروري الملم مدرس اللغه العربية باللغات الاجنبية وتحديدا اللغه الانكليزية	١٠٠	١٠٠	٣١	٢٢	٢٠	٣,٩	٧٨
مفردات المنهج غير كافية وغير شامله	١٤٠	١٠٠	١٥	١٠	٨	٥,٣	١٠٦

ترجمة النصوص من اللغه الانكليزية الى اللغه العربية او العكس فالطلبة وفقا لاستجاباتهم يدرسون مواد مختلفه كل سنة دراسية منها اللغه العربية العامة والبلاغه والصرف والبعض من هذه المفردات لاتتناسب مع توجه القسم واحتياجات الطلبة المختلفه.

النتائج الخاصه بالفقرات من ١٠-١٢

يشير الجدول رقم (٥) الى ان الفقرة الخاصه بمفردات المنهج لاتتفق واحتياجات طلبة الترجمة قد حصلت على اعلى وسط مرجح ووزن مئوي اذ بلغ الوسط المرجح (٢,٤) والوزن المئوي (٤٨) مما يدلل على حاجة الطلبة الى مفردات تسهم بشكل فاعل في تحسين

الجدول رقم (٥)

استجابات الطلبة للفقرات من ١٠-١٢

الفقرات	اتفق كثيرا	اتفق	محايد	لاتفق	لاتفق كثيرا	الوسط المرجح	الوزن المئوي
مفردات المنهج لاتتفق واحتياجات طلبة الترجمة	٣٠	٣٠	٢٠	١١٢	١٠١	٢,٤	٤٨
يركز استاذ المادة على اشراك الطلبه في	٣٠	٣٠	٣٠	٩٣	٩٠	٢,٣	٤٦

النقاشات العلمية للتوصل الى ترجمه دقيقه للنصوص المختلفه							
يستخدم الاستاذ اساليب تدريسية تتناسب مع طبيعه اللغه العربية وتخصص الترجمة	٢٥	٣٠	٢٠	١٠٠	٩٨	٢,٢	٤٤

يستطيع من تحقيق الفائدة المرجوة من تدريس اللغه العربية لطلبة الترجمة وهذا من شانه ان يساعد الطلبة على مقارنة النصوص الادبية المختلفه وترجمتها ترجمة سليمة.

النتائج الخاصه بالفقرات من ١٣–١٥

يبين الجدول رقم (٦) ان الفقرة الخاصه بافتقار منهج اللغه العربية الى الدراسات الادبية المقارنة قد حصلت على اعلى وسط مرجح ووزن مئوي اذ بلغ الوسط المرجح (٤,٦) والوزن المئوي (٩٢) الامر الذي يشير الى ضرورة توافر استاذ تخصص ادب مقارن لكي

الجدول رقم (٦)

استجابات الطلبة للفقرات من ١٣–١٥

الفقرات	اتفق كثيرا	اتفق	محايد	لااتفق	لااتفق كثيرا	الوسط المرجح	الوزن المئوي
يوضح استاذ المادة جوانب الترابط بين اللغه العربية واللغه الانكليزية	١٠	١٢	١	١٥٠	١٠٠	١,٨	٣٦
يفتقر منهج اللغه العربية الى الدراسات الادبية المقارنة	١٩٠	٨٠	١	١	١	٤,٦	٩٢
تشجع مفردات الماده في ترجمة النصوص الانكليزية الى اللغه العربية السليمة القواعد	٣	٢	–	١٩٨	٧٠	١,٧	٣٤

٦. ومن نقاط الضعف التي كشفها البحث عدم استخدام الجوانب التطبيقية العملية التي من شانها رفع مستوى وكفاءة الترجمة.

٧. كما كشف البحث ان استاذ اللغه العربية يفتقر الى استخدام اساليب تتناسب مع طبيعة تخصص الترجمة الامر الذي اثر سلبا على ترجمة النصوص الادبية.

التوصيات:-

١. لكي تحقق عملية ترجمة النصوص الاجبية من اللغه الانكليزية الى اللغه العربية فاعليتها فانه ينبغي ان يتواجد تدريسي متخصص بالدراسات الادبية المقارنه ليتسنى له اعطاء الطلبة نماذج تطبيقية لترجمة النصوص من اللغه الانكليزية الى العربية والعكس صحيح.

٢. التوسع باستخدام تكنولوجيا المعلومات وتوظيفها في عملية الترجمه والترجمة الالية الامر الذي ينعكس ايجابيا على مستوى الطلبة

٣. تكليف اللجنة الخاصه باللغه العربية العامة بالنظر بمفردات اللغه العربية والتي تدرس في اقسام الترجمة من اجل تغييرها وبمايتلائم مع الاهداف الرامية

النتائج

١. توصل البحث الى هنالك بعض المواد لايتم الافاده منها بشكل فاعل عند ترجمة النصوص الادبية وتحديدا من اللغه الانكليزية الى اللغه العربية مثل مادة البلاغه العربية

٢. افتقار مادة النحو العربي الى الجوانب المتمثلة باعطاء الطبة امثلة تطبيقية لترجمة بعض النصوص الادبية والتي من شانها ان تعزز عملية الترجمه .

٣. افتقار تدريس مادة اللغه العربية الى طريقة منهجية واضحه ليتمكن الطلبة من التفاعل والمشاركة في الدرس

٤. توصل البحث الى ان مفردات منهج اللغه العربية للمراحل الدراسية المختلفه غير وافي وشامل في تغطيته لاحتياجات الطلبة خاصه عند ترجمة النصوص الادبية المختلفه وخذه تعد نقطة ضعف واضحه في المنهاج الدراسي.

٥. بينت نتائج التحليل امتلاك استاذ اللغه العربية المقدرة على ادارة الحوارات اللغوية وهذه نقطة قوه الا انه لايستطيع من توظيف امكانياته اللغوية عند ترجمة النصوص الادبية لافتقاره الى معرفة اللغه الانكليزية.

فضلا عن مقدرتها على مساعدة الطلبة في ترجمة النصوص الادبية المختلفه.

٥. تحدبث اساليب تدريس اللعه العربية لافسام غير الاختصاص وبما يتناسب مع الحاجة الفعلية لتطور الترجمة

الى تكوين جيل من المترجمين قادر على التعامل مع النصوص الادبية وترجمتها وفق قواعد اللغه العربية الصحيحه.

٤. دعوة القائمين بتدريس اللغه العربية الى استخدام مناهج تدريسية تتلائم مع واقع حال الطلبة

المراجع

١- احمد علي كنعان. ١٩٩٨ تدريس اللعه العربية لغير المختصين واقعا وطموحا دراسة ميدانية في كلية التربية بجامعة دمشق مجلة اتحاد الجامعات العربية ع ٣٣ عمان ص ٢٢٣-٢٦٢.

٢- الجبوري فتحي طه مشعل و عائشة ادريس عبدالحميد . تقويم تدريس اللغه العربية في الاقسام غير الاختصاص في كلية التربية الاساسية من وجهة نظر الطلبة ." في" مجلة التربية والعلم مج ١٢ ع ١ ٢٠٠٥.ص٢٨٢-٣١٠.متاح على الرابط https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext

٣- الخطيب ، حسام . مشكلات الترجمة العربية : مقاربة ميدانية.متوافر على : www.arabpa.org/... مشكلات%٢٠الترجمة%٢٠حسام%٢٠الخطيب.doc

٤- الدليمي، طه علي حسين. و الوائلي ، سعاد عبدالكريم عباس . اللغه العربية : مناهجها وطرائق تدريسها . -عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٥. ٢٨٠ ص.

٥- الدليمي، محسن حسين مخلف ١٩٨٨. مشكلات تدريس مادة اللعه العربية العامة لاقسام غير الاختصاص في كلية الاداب بجامعة بغداد" جامعة بغداد كلية التربية رسالة ماجستير.

٦- القاسمي، علي. الترجمه وادوارها :دراسات في النظريه والتطبيق.- بيروت:مكتبة لبنان ناشرون،٢٠٠٩,٢٠٤ص.

٧- محمد ديداوي. علم الترجمة بين النظرية والتطبيق "في" حفيظ بورحيم.صعوبات الترجمة الادبية متوافر على http://www.m.ahewar.org/s.asp?aid=492228&r=0 تاريخ الاسترجاع ١٤-٣-٢٠١٩

تحضير ودراسة التراكيب لبعض المعقدات الفلزية المشتقة من الاوكسادايازول وفعاليتها البايولوجية

عامرة جهاد احمد الشاهين محمد مؤيد ضياء الدين العمري

الخلاصة

أجرينا تحضير معقدات للايونات المنغنيز (II) والحديد (II) والكوبلت (II) والنيكل (II) والرصاص (II) والكادميوم (II) والفضة (I) مع الليكاند الجديد بس 2- (ايزوبروبايل) ثايو-5- فنيل- 4 و 3 و1- اوكسادايازول بنسب مولالية : 1: 1و 1: 2 فلز : ليكاند . المعقدات المحضرة شخصت باستخدام تقنيات كيميائية وفيزيائية منهاالتحليل الدقيق للعناصر وطيفية مختلفة مثل اطياف الاشعة تحت الحمراء والاطياف الالكترونية والعزم المغناطيسي والتوصيل المولارية، ووجد من الدراسات الفيزيوكيميائية المذكورة اعلاه ان لها الصيغ البنائية العامة حيث ان :- $[M(L)(H_2O)_2Cl_2]$ ، M = Pb(II) , Ni(II) , Fe(II) $[Ag(L)](NO_3)_n$ ، $[Co(L)_2Cl_2]$ and M= Mn(II), Co(II), Cu(II), Zn(II) $[M(L)Cl_2]$ ، Cd(II) $[Mn(L)_2]Cl_2$ بينت دراسات الاشعة تحت الحمراء بأن الليكاند L يسلك كليكاند ثنائي السن يتناسق مع الايون الفلزي من خلال ذرات, N, N وتبين من الدراسات الفيزيوكيميائية المذكورة اعلاه ان لهذه المعقدات بينات ثمانية السطوح ورباعية السطوح ومربع مستوي في حين امتلك ايون الفضة (I) بنية خطية منحرفة . شخصت الفعالية الفطرية لليكاند ومعقداته على نوعين من الفطر *Aureobasidiam,* *Trichoderma* وقد أثبتت المعقدات بأن لها فعالية كمضادات للفطريات.

الكلمات الدالة: معقدات الاوكسادايازول، ترايكوومادا ، آريروبازديوم معقدات العناصرالانتقالية وغيرالانتقالية

Synthesis and Structural Studies on Metal Complexes Derived from Oxadiazole and their Biological Activity

Amira J. Al-Shaheen[1] **Mohamed Moayed**[2]

Abstract

Complexes of bis- 2-(isoprppyl) thio-5-phenyl-1,3,4-oxadiazole with Mn(II), Fe(II), Co(II), Ni(II),Cu(II);Zn(II); Cd(II), Pb(II) and Ag(I) have been synthesized and characterized on the basis of physicochemical investigations including infrared and electronic spectroscopy, magnetic moment measurements, molar conductance and elemental analysis. The have been assigned the formula: $[M(L)\ (H_2O)_2\ Cl_2]$; where M=Fe(II), Ni(II), and Pb(II), $[M(L)_2Cl_2]$, Where M= Mn(II), Co(II), Cu(II), Zn(II), Fe(II), $[Ag(L)](NO_3)n$, $[Mn(L)_2]Cl_2$ $[Co(L)_2Cl_2]$. Infrared spectral data suggest that the ligand BOXIP: behaves as a, bidentate ligand with N,N donor sequence towards the metal ions. On the basis of the above physicochemical data , octahedral, tetrahedral,square planer and non linear geometries were assigned for the complexes. The ligand and its complexes were screened for their antifungal activities against two species of fungi, *Trichoderma* and *Aureobasidium*; and it was found that the complexes possess certain degree of activity.

Keywords: oxadiazole complexes, *Trichoderma*, *Aureobasidium*

Transition and non Transition complexes

المقدمة

Introduction

المركبات الحلقية غير متجانسة المحتوية على مجموعة الثايو امايد –N–C=S– اهمية في تحضير معقدات للعناصر الانتقالية وغير انتقالية والتي لها دور في مجال العلاج بالادوية المحتوية على العناصر [1].

استخدمت الهيدرازيدات وما تزال تستخدم فيم جالات كيميائية وبايولوجية كثيرة، استخدمت كمواد لمعالجة السل [2]. فضلا عن امكانية تحويلها الى مركبات خماسية الحلقة غير متجانسة مثل الترايازول والاوكسادايازول والثايو دايازول والتي اظهرت تاثيرا بيولوجيا في دراسات عديدة [3-5]. اذ يمكننا

الحصول على عدد كبير من المركبات الحلقية غير المتجانسة مختبريا والتي تمتاز بخواص قيمة كمواد علاجية كيميائية وعقاقير واصباغ ومرافقات انزيمية وبوليميرات [6]. حديثا اظهرت المشتقات العديدة ١و٣و٤ اوكسادايازول اهمية علاجية خصوصا الحاوية على مجاميع معوضة في الموقعين (2، 5) لحلقة الاوكسادايازول وبشكل خاص ٢-مركبتو اوكسادايازول التي تتميز باحتوائه على مجموعة الثايوامايد المهمة في نقل السموم والتي تدخل في تركيب العديد من المركبات الدوائية [7]. ويعود الاهتمام الكبير لهذه المجموعة وذلك لوجود ذرة الكبريت اللينة (Soft) بجانب ذرة النتروجين (Hard) التي تجعل المركب العضوي ليكاند فعال على مدى واسع مع مختلف الايونات الفلزية فضلا كون ذرة الكبريت تجعلها مراكز فعالة لعدد كبير من الانزيمات المهمة حيث تتاصر مع عدد [8,9] من الايونات الفلزية الانتقالية نظرا لاهمية هذه المركبات لذا ارتأينا تحضير مشتق جديد للاوكسادايازول و تشخيصه بعدة تقنيات تم دراسة فعاليته على نوعين من الفطريات المهمة صحيا واقتصاديا. وفيما يلي الصيغة التركيبية لليكاند المشتقL .

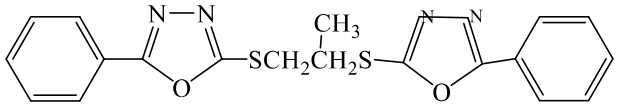

المواد وطرائق العمل Experimental

١- المواد الكيميائية: جميع المواد الكيميائية المستخدمة في الدراسة مجهزة من شركة (Aldrich,Fluka,BDH) واستخدمت كما هي بدون تنقية.

تم تحضير المواد الاولية باتباع الطرائق الموجودة في الادبيات [9]

أ- في البداية حضرالمركب **بنزوايل هيدرازين:** وكانت نسبة الناتج 87% درجة الانصهار 114°م. راسب ابيض القيمة المعتمدة في المصادر 112°م الصيغة الكيميائية

ب- $C_7H_8N_2O$

N%	H%	C%
20.95	5.91	نظريا 61.68

عمليا 61.37	5.82	20.81

ت-**تحضير الليكاند الاساس 2-ثايو-5-فنيل-4 و3 و1- اوكسادايازول (OXH)**

حضر هذا الليكاند حسب الطريقة المستخدمة من قبل يونك ودد Yang wood [10] راسب ابيض وتعاد بلورته من الايثانول وكانت نسبة الناتج 85% درجة انصهار الليكاند (OXH) الملاحظة 220°م درجة انصهاره المقررة 219° الصيغة الكيميائية $C_8H_4N_2O_5$

	C%	H%	N%
نظريا	54.23	3.51	15.81
عمليا	53.91	3.61	15.73

ج- **تحضير الليكاند 2-(ايزوبروبايل) ثايو5-فنيل-4 , 3, 1-اوكسادايازول (L)**

اذيب (0.2 مول ، 35.6 غم) من 2-ثايو-5-فنيل- 4 و3 و1-اوكسازول في محلول كحولي لهيدروكسيد البوتاسيوم (0.2 مول،11.2غم) مذاب في 100 مل ايثانول مع التحريك المستمر يضاف اليه (0.2 مول، 20.20غم) من ثنائي برومو ايزوبروبان على شكل قطرات مع التحريك المستمر واجري التقطير الارجاعي لمدة ٣ ساعات ثم يرد المزيج الى درجة حرارة المختبر حيث لوحظ تكون راسب رصاصي اللون واعيدت بلورته من الايثانول وكانت نسبة الناتج 82 % درجة انصهاره الليكاند (L) 150 °م الصيغة الكيميائية $C_{19}H_{16}N_4O_2S_2$

	C%	H%	N%
نظريا	57..57	4.00	14.14
عمليا	57.81	3.91	14.43

د- تحضير المعقدات تحضر المعقدات بنسبة (1:1 او 1:2) فلز: ليكاند :

يضاف (0.01 مول من الملح الفلزي المذاب في اقل كمية من الماء المقطر او الايثانول الى 0.01 او 0.02 مول من الليكاند المذاب (L) في 25 مل من الايثانول (96%) ويصعد المزيج حراريا لمدة 1/2-2 ساعة ثم يبرد ويرشح الراسب المتكون ويغسل بالايثر وتعاد بلورته بالايثانول الساخن ثم يجفف، حضرت معقدات للفلزات المذكورة سابقا كما في الجدول (1)

هـ- القياسات التحليلية والفيزيائية:

تم قياس التحليل الدقيق لعناصر CHN لليكاند المحضر من مواده الاولية وكذلك للمعقدات باستخدام جهاز Combustion System Model 4010 من نوع Costech Instruments Elements في قسم الكيمياء-كلية العلوم- جامعة الموصل في حين تم تقدير كل من المنغنيز (II) والحديد (II) والكوبلت (II) والنيكل (II) والخارصين (II) والكادميوم (II) والرصاص (II) والفضة (II) بطريقة طيفية باستخدام

جهاز الامتصاص الذري في كلية التربية- قسم الكيمياء جامعة الموصل من نوع Sons GBA Scientific Equipment بعد هضم المعقدات بحامض النتريك المركز وتحضير محاليل بتراكيز تقع ضمن حدود تراكيز النماذج القياسية المتوافقة مع المدى الخطي للمنحني المعياري للعناصر المقاسة الجدول (2). كذلك قيست درجات الانصهار او التفكك للمركبات المحضرة في قسم الكيمياء- كلية التربية- جامعة الموصل باستخدام

جهاز Melting Point Apparatus موديل SMP30 والمصنع من قبل شركة Bibby Scientific Limited سنة 2003، لقد قيست التوصيلية الكهربائية المولارية للمعقدات المحضرة بجهاز Consort C832 باستخدام مذيب DMF بتركيز 10^{-3} M وعند درجة 25 °م. اما القياسات المغناطيسية لبعض المعقدات استخدمت طريقة فارادي بجهاز Magnet Brucker BM6 بعد حساب معامل التصحيح المغناطيسي (D) باستعمال ثوابت باسكال الخاص بالذرات المكونة للمعقدات في قسم الكيمياء- كلية العلوم- جامعة الموصل حيث ان D = (غم. ذرة) $^{-1}\sum$ = عدد الايونات او الذرات للعنصر × ثابت باسكال.

اما الاطياف الاشعة تحت الحمراء سجلت للمواد الاولية والليكاند ومعقداته في قسم الكيمياء – كلية التربية– جامعة الموصل باستخدام جهاز Infrared Spectrophotomer FTIR– Tensor 27– Brucker Co., Germany 2003. في المنطقة المحصورة ما بين (4000–400)سم$^{-1}$ بدلالة العدد الموجي وعلى شكل اقراص بمادة KBr، وسجلت الاطياف الالكترونية للمعقدات للاشعة فوق البنفسجية والمرئية بجهاز Shimadzu–uv–visible 1800 Spectrophotomer وباستعمال مذيب ثنائي مثيل فورهايد وباستعمال خلايا الكوارتز قطرها 1 سم في المدى 1000–200 نانوميتر.

و– تقييم الفعالية الفطرية:

تم في هذه الدراسة اختبار الفعالية التثبيطية لبعض المركبات المحضرة في نمو نوعين من الفطريات:

1- *Aureobasiduim Pullans*
2- *Trichodermaviride*

لدراسة تاثير المركبات المحضرة في نمو الفطريات اتبعت طريقة Bauer [11] وتم تحضير اقراص من ورقة الترشيح من نوع (Whatman No.1) وبقطر 6 ملم واضيف 0.1 سم^3 من مذيب DMSO المذاب فيه وزن معين من تراكيز (200، 100، 50) ملغم/سم^3 من المادة قيد الدراسة اي حاوية على اقراص معقمة وبعدها تم تثبيت الاقراص المشبعة بالتراكيز المختلفة بواسطة ملقط معقم على وسط أكار البطاطا الملقح بنقل 5–3 مستعمرة نقية وفتية من الفطريات المذكورة اعلاه وحضنت الاطباق في درجة حرارة 28–25 م° ولمدة 5 ايام وبعدها تم قياس منطقة التثبيط باستخدام مسطرة مدرجة وسجلت النتائج كما في الجدول(5) .

النتائج والمناقشة: ان المعقدات الناتجة جميعها مواد صلبة واغلبها ملونة ومستقرة في الهواء ولها القابلية على الذوبان في مذيب DMF، ولقد بينت القياسات التوصلية الكهربائية المولارية في مذيب DMF جميع المعقدات غير الكتروليتية وضعيفة التوصيل في المحلول تسلك سلوك المركبات المتعادلة ماعدا معقدات 2 و9 الكتروليتية بنسبة 2;1 و1;1 على التوالي [12] وكما موضح في الجدول (1).

لقد قيست العزوم المغناطيسية لمعقدي المنغنيز (II) وقد اعطى المعقد1قيمة عزم مغناطيسي 5.54 BM وتتفق مع معقدات المنغنيز رباعية السطوح وكذلك اعطى معقد2 قيمة5.90 B.M. على التوالي وهذا يشير الى ان ذرة المنغنيز رباعية التناسق ذات شكل رباعي السطوح عالية البرم وهذا يتفق بشكل عام مع معقدات Mn(II) المنشورة في الادبيات [13]. كذلك اظهر معقد الحديد(II) 3 عزوما مغناطيسية بمقدار 4.80 B.M وتتفق مع معقدات الحديد ثمانية السطوح عالية البرم [14]. كما وجد من خلال القياسات العملية لمعقد الكوبلت(II) 4 ان العزم المغناطيسي 4.13 B.M. وهذه القيمة تتفق مع معقدات الحديد(II) ذوات الشكل رباعي السطوح [15]. اما المعقد5 للكوبلت(II) كانت قيمة العزم المغناطيسي له 4.70 B.M مما يشير الى ان ذرة الكوبلت سداسية التناسق ذات شكل ثماني السطوح عالي البرم [16] في حين اظهر معقد النيكل 6 (II) خواص بارامغناطيسية اذ كانت قيمة العزم المغناطيسي 2.95 B.M وتتفق مع قيم معقدات النيكل (II) ثمانية السطوح عالية البرم [17]. اما معقد7 Cu(II) فقد اظهر خواص دايامغناطيسية فهو يمتلك بذلك شكل مربع المستوي [18] كما موضح في جدول (1).

قيس طيف الاشعة فوق البنفسجية لليكاند L باستخدام مذيب DMF وقد اعطى الحزمة 31746 cm وتعود للانتقال $n \rightarrow \pi^*$ لمجموعة C=S. بينما تعود الحزمة 363636 cm^{-1} الى الانتقال الالكتروني $\pi \rightarrow \pi^*$ لمجموعة C=N،اما الحزمة 41152 cm^{-1} تعود الى تداخل الانتقاليين السابقين [19].

وفي دراستنا هذه قيست الاطياف الالكترونية لانتقالات d–d في مذيب DMF وبتركيز 10^{-3} M فضلا عن اطياف انتقال الشحنة الجدول (3).

معقدات Mn (II) (1&2) المحضرة ذات بنية رباعي السطوح لا يتوقع ان تظهر انتقالات (d-d) في المنطقة المرئية لأنها محضورة برما واوربيتاليا (قاعدة لابورتا)[20] ولوحظ ظهور امتصاصات تعود إلى حزم انتقال الشحنة بين الفلز و الليكاند الجدول (3).

اما الطيف الالكتروني لمعقد الحديد (II) (3) ثماني السطوح عالي البرم فيعطي حزمة امتصاص واحدة عند 11638 سم$^{-1}$ وهي تعود الى الانتقال

$^5T_{2g} \rightarrow {}^5Eg$ وهذا يتفق مع معقدات الحديد (II) ثمانية السطوح عالية البرم [17].

وتظهر υ_3 احيانا كحزمة عند المدى 18000-13000 سم $^{-1}$ تعود جميعها الى انتقال واحد $\upsilon_3\ {}^4A_2 \rightarrow {}^4T_1$ (P). اما الانتقالات υ_1 و υ_2 فانها لا تظهر حزما لكونها تقع خارج مدى الاجهزة المستعملة. فالمعقد الكوبلت (II) (4)اظهر حزمة

$7500-12000\ cm^{-1}$ υ_1 $^4T_1g\ (F) \rightarrow {}^4T_2g\ (F)$

$14000-16000\ cm^{-1}$ υ_2 $^4T_1g\ (F) \rightarrow {}^4A_2g\ (F)$

$18000-22000\ cm^{-1}$ υ_1 $^4T_1g\ (F) \rightarrow {}^4T_1g\ (P)$

اظهر المعقد (5)حزمة υ_1 غند 10917 سم$^{-1}$ وحزمة عند 15151 سم$^{-1}$ تعود الى υ_2 اما الحزمة υ_3 فقد ظهرت عند 23041 سم$^{-1}$ على التوالي [22] لسداسي التناسق ثماني السطوح. اما معقدات النيكل(II) سداسية التناسق ثمانية السطوح

$7000-13000\ cm^{-1}$ υ_1 $^3A_2g\ (F) \rightarrow {}^3T_2g\ (F)$

$11000-20000\ cm^{-1}$ υ_2 $^3A_2g\ (F) \rightarrow {}^3T_1g\ (F)$

تظهر معقدات الكوبلت (II) رباعية السطوح ثلاث انتقالات [21] في المديات على التوالي:

$4000-3000\ cm^{-1}$ υ_1 $^4A_2\ (F) \rightarrow {}^4T_2\ (F)$

$7780-4600\ cm^{-1}$ υ_2 $^4A_2\ (F) \rightarrow {}^4T_1\ (F)$

$16725-13250\ cm^{-1}$ υ_3 $^4A_2\ (F) \rightarrow {}^4T_1\ (F)$

عند 16385سم$^{-1}$ وهذه تمثل υ_3 اما الحزم υ_1 و υ_2 تقع خارج مدى الجهاز.

اما في حالة الكوبلت(II) سداسي التناسق ثماني السطوح عالي البرم فيظهر ثلاث انتقالات مسموحة برما

ينقسم تيرم الحالة المستقرة لايون النيكل(II) الحر في مجال ثماني السطوح الى تيرمات ثلاثية وتترتب حسب زيادة طاقتها لذلك تتوقع ثلاث انتقالات الكترونية مسموحة برمها وهي:

$^3A_2g\ (F) \rightarrow {}^3T_1g\ (F)$	υ_3	$7000-13000\ cm^{-1}$

لقد اظهر معقد النيكل(II) (6)حزما ثلاث في المدى 11285 سم$^{-١}$ و 15661 سم$^{-١}$ و23661 سم$^{-١}$ على التوالي تعود الى بنية ثماني السطوح لمعقدات النيكل(II) [17]

في حين أظهر الطيف الالكتروني لمعقد النحاس (7) (II) رباعية التناسق المحضرة وجود حزمة امتصاص واسعة عند المنطقة ($15316\ cm^{-1}$) كما في الجدول وتتفق هذه القيم مع معقدات النحاس (II) رباعية التناسق ذوات الشكل المربع المستوي[17].

اظهر طيف الاشعة تحت الحمراء لليكاند L حزمة قوية وعريضة في المنطقة 704 سم $^{-١}$ وتعزى الى التردد الامتطاطي لاصرة υ_{C-S} وعند مقارنتها بطيف الليكاند الاوكسادايازول الاصلي (OXH) الحاوي على حزم S–H، C=S و N– H وعدم وجودها في L تدل على اختفائها وتحويله الى مشتق الاوكسادايازول فضلا عن ذلك ظهور حزمة متوسطة الشدة في طيف عند 1460سم$^{-١}$ تعزى الى التردد الانحنائي لاصرة $S-CH_2$ وعدم وجودها في طيف OXH، كذلك اظهر طيفL حزمة امتصاص ضعيفة عند الموقع 2932 سم$^{-١}$ تُعزى الى التردد الامتطاطي المتماثل والغير متماثل لاصرة C–H الاليفاتية ولمجموعة CH_2 الاليفاتية وهذه الحزمة بقيت في مواقعها في طيف المعقدات وتؤكد تحول OXH الى L [23] . اظهر طيف L حزمة امتصاص عند المنطقة 1604 سم$^{-١}$ والى تعزى الى التردد الامتطاطي لاصرة C=N والتي تزاح نحو ترددات واطئة في طيف المعقدات دلالة على تناسق الفلز مع النتروجين وهذا يتفق مع ما نشر في الادبيات من بحوث [24]. كما لوحظ التردد الامتطاطي لاصرة N–N في طيف الليكاندL في المنطقة 1001 سم$^{-١}$ تزاح هذه الحزمة في طيف المعقدات التي يتم الارتباط عن طريقها وتظهر بشكل حزمة امتصاص عريضة والتي ازيحت الى ترددات عالية لتآصر الليكاند عن طريق ذرة النتروجين مع الفلز، كذلك اظهر طيف الليكاند L حزمة امتصاص لمجموعة C–O–C ضمن حلقة الاوكسادايازول الواقعة في المنطقة 1095 سم$^{-١}$ في طيف الاشعة تحت الحمراء ولم تزاح هذه الحزمة في طيف المعقدات وهذا يؤكد عدم حدوث تناسق الفلز مع ذرة الاوكسجين اذ ان الزوج الالكتروني الموجود على ذرة الاوكسجين يساهم في ريزونانس الحلقة[25].

طيف الاشعة تحت الحمراء للمعقدات في منطقة التردد الواطيء اظهر حزمتان عند المنطقة 520-490 سم$^{-1}$ و 560-550 سم$^{-1}$ وقد عزيت هذه الحزمة الى ترددات الامتطاط لكل من اواصر M–N و M–O على التوالي [26]. لقد اظهرت المعقد الحاوية على الكلور حزمة في المنطقة 600 سم$^{-1}$ وهي دلالة على ارتباط الكلور بشكل ايوني في المعقدات بينما لم يلاحظ الكلور المرتبط بشكل اصرة فلز–كلور والتي عادة تظهر بين 200سم$^{-}$300 لانه يقع خارج مدى جهاز القياس. إلا انه تم الكشف عنه بعد هضم المعقد باستعمال حامض النتريك المركز ثم يضاف نترات الفضة التي ترسب فيها الكلور على شكل راسب ابيض من AgCl [27] بينما اظهر المعقد 9 حزمة عند 1386 سم$^{-1}$ وهي اشارة على ارتباط ايوني لمجموعة النترات في المعقد [27] وهذا يطابق النتائج المحصول عليها في قياس التوصيلية الكهربائية لهذا المعقد.

حدد الباحث Gamo [28] حزم التأرجح (Rocking) في المعقدات المائية عند ١cm^{-} (576-738) للاملاح اللاعضوية للماء المتناسق كذلك اوضح عدد من الباحثين[28] وجود ماء التبلور بتشخيص حزمة عريضة وضعيفة تشمل المدى (3448–3200)سم$^{-1}$ ،وحدد باحثون اخرون المنطقة (33433)سم$^{-1}$ للماء المتناسق، اظهرت المعقدات الحاوية على الماء حزم امتصاص في المدى المذكور أعلاه وكما موضح في الجدول(4) بالاضافة إلى ظهور حزمة ضعيفة في المنطقة (650-550)سم$^{-1}$عزيت إلى $M\text{-}OH_2$ وهي متفقة مع ما نشر من بحوث

جدول (1) النتائج التحليلية وبعض الخواص الفيزيائية لمعقدات الليكاند

رقم المعقد	ملح الفلز	وزن الملح الفلزي غم	وزن الليكاند غم	صيغة المعقد المقترح	درجة الانصهار او التفكك م d	اللون	التوصيلة المولارية م$^{-1}$ سم^{2}.مول$^{-1}$ Λ_{DMF}	Meff. B.M	التركيب الفراغي
1	$MnCL_2.4H_2O$	1.98	3.96	$[Mn(L)CI_2]$	132	بلورات بيضاء	6	5.54	رباعي السطوح
2	$MnCL_2.4H_2O$	1.98	7.92	$[Mn(L)_2]CI_2$	160	بلورات صفراء	140	5.9	رباعي السطوح
3	$FeCl_2,4H_2O$	1.99	3.96	$[Fe(L)(H_2O)_2\ Cl_2]$	140	بني محمر	13	4.80	ثماني السطوح
4	$CoCl_2,6H_2O$	2,37	3.96	$[Co(L)CI_2]$	< 300 d	زيتوني	7	4.13	رباعي السطوح
5	$CoCl_2.6H_2O$	2.37	7.92	$[Co(L)_2\,CL_2]$	263	نفطي غامق	11	4.70	ثماني السطوح
6	$NiCl_2.6H_2O$	2.37	3.96	$[Ni(L)(H_2O)_2CI_2]$	240	اخضر فاتح	28	2.95	ثماني السطوح
7	$CuCl_2.2H_2O$	1.70	3.96	$[Cu(L)\ Cl_2]$	295 d	زيتوني	19	1.87	مربع مستوي
8	$ZnCl_2$	1.36	3.96	$[Zn(L)\ CI_2]$	145	أبيض	26	_	ثماني السطوح
9	$AgNO_3$	1.69	3.96	$[Ag(L)]NO_3$	183	نفطي	73	-	خطي منحرف
10	$Cd\ Cl_2$	1.83	3.96	$[Cd(L)\ Cl_2]$	125	ابيض حليبي	13	_	رباعي السطوح
11	$PbCl_2$	2.78	3.96	$[Pb(L)(H2O)_2\ Cl_2]$	280	اصفر	14	-	ثماني السطوح

الجدول (2) يوضح التحليل الدقيق للعناصر CHN والفلز للمعقدات المحضرة

رقم المعقد	صيغة المعقد المقترح	النسبة المئوية للعناصر نظريا (عمليا) %			
		C	H	N	M
1	$[Mn(L)CI_2]$	33.46	4.05	7.09	13.94
		(33.72)	(3.99)	(6.89)	(14.20)
2	$[Mn(L)_2]Cl_2$	47.56	3.60	10.09	9.90
		(47.61)	(3.51)	(9.95)	(10.0)
3	$[Fe(L)(H_2O)_2\ Cl_2]$	33.37	4.04	7.07	14.15
		(33.50)	(3.95)	(6.92)	(14.22)
4	$[Co(L)CI_2]$	47.48	3.23	10.07	10.07
		(47.63)	(3.61)	(9.90)	(11.10)
5	$[Co(L)_2\ Cl_2]$	36.41	3.22	10.01	10.55
		(36.52)	(3.30)	(9.91)	(10.15)
6	$[Ni(L)(H2O)Cl_2]$	47.22	3.22	10.01	10.55
		(47.34)	(3.41)	(9.94)	(10.20)
7	$[Cu(L)\ Cl_2]$	36.41	3.31	7.72	16.27
		(36.65)	(3.50)	(7.93)	(10.57)
8	$[Zn(L)_2\ CI_2]$	47.22	3.22	10.01	10.55
		(47.43)	(3.43)	(9.91)	(10.50)
9	$[Ag(L)]NO_3$	31.42 (31.58)	2.38 (2.27)	10.00 (9.89)	25.71 (25.93)
10	$[Cd\ L\ Cl_2]$	25.02 (24.88)	2.27 (3.01)	5.30 (5.54)	21.23 (21.33)
11	$[Pb(L)(H2O)_2\ Cl_2]$	25.85 (25.94)	2.35 (2.44)	5.48 (5.50)	40.54 (40.81)

الجدول(3)الاطياف الالكترونية(سم$^{-1}$)لمعقدات(L) المحضرة باستخدام مذيب DMF(10^{-3}M)

رقم المعقد	اطياف انتقالات d-d (سم$^{-1}$)			
	υ_1	υ_2	υ_3	CF
1	14888	21833	32467	38759
2	14992	21929	31230	46728
3	10904	27722	38759	---
4	11848	29063	35671	---
5	15880	35971	---	----
6	11809	16247	21830	37878
7	15084	22624	32894	---
8	11245	16896	22727	36757

الجدول (4) يوضح عدد من الحزم المهمة لليكاند (L)ومعقداته في طيف الاشعة تحت الحمراء (سم$^{-1}$)

Comp No.	ν(C=N)	ν(N-N)	ν(C-S)	ν(M-N)	Other
L	1604	1001	704	-	νS-CH_2 1460, νC-H 2932, νC-O-C 1095,
1	1555	1026	704	493	ν-OH_2 3448, 625 νM-O 550
2	1555	1026	704	493	νIonicCl 600
3	1554	1000	704	493	ν-OH_2 3385, 576 νM-O 550
4	1551	999	705	490	ν-OH_2 3435, 625 νM-O 550
5	1565	1010	703	498	ν-OH_2 3395, 538 νM-O 550
6	1572	1018	701	497	ν-OH_2 3400, 635 νM-O 560
7	1556	1024	703	520	ν-OH_2 3250, 625 νM-O 550
8	1554	1026	704	493	ν-OH_2 3325, 620 νM-O 550
9	1558	1004	706	492	νIonicNO_3 1386, 738
10	1554	1001	704	492	ν-OH_2 3200, 645 νM-O 550
11	1554	1027	704	492	ν-OH_2 3448, 650 νM-O 550

الدراسة البيولوجية:

تم اختبار الليكاند وبعض معقداته كمضادات للفطريات بطريقة الانتشار بالاقراص (Disk Diffusion Method) وباستعمال عدة تراكيز للمركبات mg/ml (50, 100, 200) وتشير النتائج المبينة في الجدول (5) الى ان معظم المعقدات اظهرت تاثير تثبيطا متباينا في نمو الفطريات وحسب زيادة التركيز، حيث تميزتاغلب المعقدات بفعاليتها التثبيطية العالية حتى عند استعمال تراكيز قليلة من المادة. ويمكن ملاحظة تاثير المعقدات اكثر من الليكاند ما يعرف بالتاثير المتداوب[17] في المعقدات وذلك بادخال الذرة الفلزية اي الليكاند العضوي وتعزى هذه الفعالية لعدة اسباب منها قد يسبب وجود المجاميع الالكيلية والاروماتية الى تكوين معقدات مع العناصر الموجودة داخل الخلية مثل K^+ , Zn^{2+} , Co^{2+}, Cu^{2+} التي تحتاجها خلية الفطر وفقدانها تؤدي الى موتها .

الجدول (5) يوضح الفعالية التثبيطية للمركبات على الفطر *Aureobasidium* علما ان قطر دائرة التثبيط مقاسا بالملم.

Compound	قطر دائرة التثبيط مقاسا بالملم					
	Aureobasidium			*Trichoderma*		
	50mg/ml	100mg/ml	200mg/ml	50mg/ml	100mg/ml	200mg/ml
L	0	2	5	0	7	12
1	7	9	13	0	7	10
2	5	8	11	5	7	11
3	7	13	14	8	12	14
4	25	27	30	8	11	35
5	9	13	14	8	11	35
6	9	13	14	8	11	35
7	0	7	10	3	5	9
8	7	10	28	7	10	29
9	6	14	14	4	8	12
10	0	3	7	0	6	13
11	0	3	6	2	4	7

الاستنتاج : نتيجة الدراسات الفيزيائية والكيميائية والطيفية والتحليل الدقيق للعناصر يمكن التوصل الى ان الليكاند L يسلك كليكاند ثنائي السن يتناسق مع الذرة الفلزية من خلال ذراتي النتروجين وتم الحصول على معقدات بنسب 1:1 و 2:1 (فلز: ليكاند) كما في الاشكال الاتية :-

وقد تفاعل الليكاند L مع ايون الفضة (I) ونتج معقد خطي ذات بنية منحرفة وبنسبة1:1 كما في الشكل A

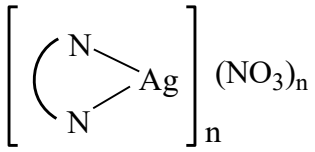

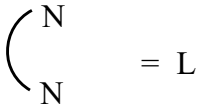

الشكل (A)

كما اعطى الليكاند (L) معقدات رباعية التناسق مع المنغنيز (II) والكوبلت (II) والنحاس (II) والخارصين (II) والكادميوم (II) كما في الشكل (B) .

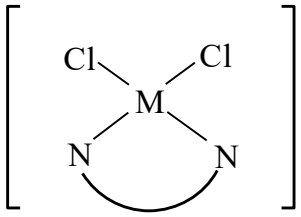

$[M(L)Cl_2]$

M= Mn(II), Co(II), Cu(II), Zn(II), Cd(II)

نسبة (1:1)

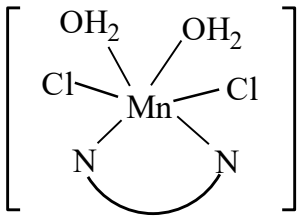

الشكل (B)

M= Fe(II), Ni(II), Pb(II), $[M(L)(H_2O)_2\ Cl_2]$

معقدات سداسية (II) والرصاص (II) والنيكل (II)

في حين اعطى مع الحديد (II) والنيكل)(II) والرصاص معقدات سداسية التناسق مع الكوبلت كما في الشكل(C).

وقد تفاعل الليكاند L نسبة (2:1) مع المنغنيز واعطى معقدات رباعية التناسق في حين اعطى معقدات

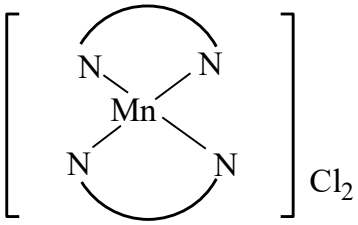

نسبة 2:1

$[Mn(L)_2]Cl_2$

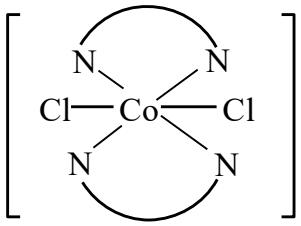

نسبة٢:١

$[Co(L)_2Cl_2]$

الشكل (C)

References

1--Taher A.T., Georgey H.H. , El-Subbagh H.I. (2011) "Synthesis and pharmaco Chemical Investigation of Some Novel 1,3,4-Oxadiazole with Potential Antidisease Agents" European J.of Med.Chem,37, PP.1-7.

2-Ahmad Luqman, Victoria L. Blair, Rajihi, Brammananth, Paulk crellin, Ros L, Coppel and Philip C. Andrews (2015), powerful antibacterial activity of

Wu.,Yougqian (2014),,"Synthesis,Structure,and Luminescent propertieso of 2-novel 5 chlorohhdroxybenzoate-imidazole metal organic complexes"., Turk.J of.Chem..,38,79- 87.

7 -D.Lednieer and L.Misher, (197 Kirkuk Uni.J.\ Sci.Sudies,10,1 7), "The Organic Chemistry of Drug Synthesis" A Wiley Interscience Publication, Vol.2, P.253

8- Amira.J.Al.Shaheen and Mohamed Moayed.(2015, "Synthesis Characterization and Biological Activity of Some Metal Complexes Derived from Oxadiazole" Kirkuk Uni.J.\ Sci.Sudies,10, 2,20.

9- Amira J. Al-shaheen and Ahmad M. Mohammed, (2013) "Preparation of New Complexes of Ligand 2-(2-butyl)thio-5-Phenyl-1,3,4-Oxadiazole with Studying their Biological Activities" J.of Baghdad for Science, 3,10, pp 497-508.

10- Yong Wood (1955), "The Cyclization of 3-acyl Dithiocarbazates Esters, J.Am-Chem-Soc.,77,400.

phenyl-thiolato bismuth (II) complexes derived from oxadiazole thiones, European J. of Inorganic Chem. vol.29,4945.

3-G.Mazzon; F.Bohina; R.B.Arrigo and G.Blanino (1980), "Synthesis of Pharmaceutically Significant of Thiosemicarbazide Derivatives", Farmaco, Ed. Sci., 36,3,181.

.

4- Amira J. Al-shaheen and Ahmad M. Mohammed, (2013) "Preparation of New Complexes of Ligand 2-(2-butyl)thio-5-Phenyl-1,3,4-Oxadiazole with Studying their Biological Activities" J.of Baghdad for Science, 3,10, pp 497-508

5-Sharma R, Kumar and Yaday R, (2016) "Chemistry and pharma cological importance of 1,3,4-oxadiazole Derivatives, Conference on Histochemistry, July 14-15, philodelphia, USA, published in Research and Reviews J. of Chemistry.

6-Hong C.Siyuan Hong C.,SiyuanL,Xiuling

11- Bauer A.W., W.A.M. Kirby, I.S. Sherris and M.Turk, (1966), "Antibiotic Suceptibility Testing by a Standard Single Disk Method", Am.J.Clin. Pathol., 45,493-496.

12- Geary W.J.,"The use of conductivity measurement in organic solvent for Characterization of coordination compounds , Coord. Chem. Rev., 7, 8 , (1971).

13-Amira Jihad Al- Shaheen, Tamem A . Al- Muhge(r2016) ", Synthesis, Spectroscopic and X-ray powder Diffraction(XRD) of Some Oxadiazole Complexes." International Journal of Enhanced Research in Science Technology & Engineering , ISSN :2319-7463 , Vol.5 issue 6 , June p.1339.

14- S.A. Shaker, H.A.Mohammed and A.A. Salih, (2010), "Preparation, Physico-Chemical Investigation of Cluinalizorin Complexes with Mn(II), Fe(II), Co(II), Ni(II) , Cu(II), Zn(II), Cd(II) and Pb(II), Aus.J. Basic and applied Sci.4(10), 5178-5183

15- D. Nicholls (1975), "The Chemistry of Iron, Cobalt and Nickel", Pergamon Press Oxford, pp.1087.

16- J.C. Bailar, H.J. Emeleus, Sir R. Nyholm and A.F. Trotman-Diskenson, (1973)", Comprehensive Inorganic Chemistry, 1st .ed., Pergamon Press, Oxford , 1151.

17-D. Suttan, (1998), "Electronic Spectra of Transition Metal Complexes", Mc. Grow-Hill Publishing , London , pp. 11-21.

18- Kutzemigg W.andR. Meck,(1961)"Spectroscopic unter Suchngen an Organsim Chem.", Spectro.Chem..Acta,17,530.

19- Lever,A.B.P(1986)," Inorganic Elctronic Spectroscopy," Amsterdam-London, Yorkork.

20- Y. Zou, (2010),"Tetraaquabis [μ-N-(5-Nitro-2-Hydroxybenzylidene) Glycylglycinato] Manganese(II) Dinickel(II) Tetrahydrate", Acta Cryst. E66, 471-472.

21- Rajavel,R.,Vadiva.M.S and Antha,C(2008),"Synthesis ,Physical , Characterization and

biological activity of some Schiff base of complexes E.J.of Chem.,5(3), 620-626.

22- Abhay, N. S ;Netra, P. S and Chandra, K. Sh(2016) .In vitro antibacterial and antifungal activities of binuclear transition metal complexes of ONNO Schiff base and 5-methyl-2,6-pyrimidinedione and their spectroscopic validation *J.Arab of Chemistry*,9 (1), 148-61.

23- Hoggarth,(1949),"" Compounds Related to thiosemicarbazi-3-Phenyl-1, 2,4-tri azole derivatives", J Chem. Soc 2, 113, , (1949).

24- Amira Jihad Al- Shaheen and Sabahaa.A.Al-Sabaawai ,Preparation and Physicochemical Investigation of Manganese(II) complexes with Hydrazone Ligand ac cepted for publication in the third scientific conference in chemistry Octber 24-25,2018 published in Rafi. J.Sci (2018).

25 M.A.E. Shaban, A. Z. Nasr and S.M. El-badry,(1991),"Synthesis and Biological Activities of Some 1,3,4 –oxadiazole" ,J. Islamic acad Sci.,4,3,148-191.

26-Sallomi I .J and A.J , Al-Shaheen (1994), "Complexes of hydrazide Schiff bases " Trans.Met.Chem.,19,275-276.

27-Nakamoto K.,(1997)," Infrared and Raman 7 Spectra of Inorganic and Coordination Compound" , 5th ed., Part B, John Wiley and Sons , Inc.,

28- I. Gamo, (1961) " Infrared Spectra of Water of Crystallization in Some Inorganic Chlorides and Sulfute, Bull, Chem. Soc., 34, 760, 1430.

29-Malhdra; M., Hans, P., Sharma S., Deep, A. and phoyat; P. (2012), "Syntheses and Characterization of Methoxyphenyl-5-pyridine-4-y1-1,3,4-Oxadiazole Derivatives as Potent Anti fungal Agents. Acta Pol Pharm-Drug Res.69 (3), 433-438.

موارد ابن أبي أصيبعة عن أطباء الموصل

(ت ٦٦٨ هـ /١٢٦٩ م)

أ.م. د. هدى ياسين الدباغ

الملخص

يعد كتاب(عيون الانباء في طبقات الاطباء)لابن ابي اصيبعة، كتاب فريد من نوعه قدم فيه المؤلف ترجمة لأربعمائة طبيب تقريبا وسلط فيه الضوء على تاريخ الطب منذ اقدم العصور حتى وفاته، ومنهم اطباء الموصل الذين اوردهم في كتابه وكان عددهم (١٤) اربعة عشر طبيباً، وقد تنوعت الموارد التي اعتمد عليها ابن ابي اصيبعة في حديثه عن اطباء الموصل، وجاءت الروايات الشفوية بالمرتبة الاولى، ثم المصادر المكتوبة، وجاءت المعرفة الشخصية بالمرتبة الثالثة، واخيراً: المصادر المجهولة.

Abstract

Resources Ibn abi Usaibia about The physicians of Mosul (d.1269A.D/668A.H) Abook (oyoun al-Anba,a fi tabakat al-Ateba,a) by Ibn abi Usaibia is consider one of the most unigue book , in which the author present biographies of about 400 physicians and he highlighted history of medicine since the earliest ages until his death , he mentioned in this book fourteen physicians from Mosul were among them . The resources which relied on by Ibn abi usaibia in his talk about the physicians of Mosul were varied . the oral narratives came firstly and then Written sources , personal Knowledge came in third class and finally anonymous sources

مقدمة

تُعدُ دراسة الجوانب الحضارية من التاريخ العربي الاسلامي من الدراسات الاسلامية المهمة ، لأنها تعكس النشاط العلمي والأدبي والفكري للأمة العربية الاسلامية في عصورها الزاهية . ومن ذلك على سبيل المثال ، الطب الذي يُعد من العلوم العقلية المهمة التي نهض بها العرب المسلمون وصنفوا فيه التصانيف الكثيرة ، لما لهذا العلم من الأهمية الكبيرة في خدمة الانسان وصحته ، فقد أكد الرسول ﷺ على الاهتمام به وأمر بالتداوي والتطبب من الأمراض ووردت عنه أحاديث تشير إلى مكانة الطب ورفعته عند العرب المسلمين ، واستمر الاهتمام بالطب وتطور في الفترات الاسلامية اللاحقة وأصبح لها أسس وشروط مستمدة من الأخلاق العربية الاسلامية ومن عمق الرسالة العربية التي أصبحت سمة مميزة للمجتمع العربي الاسلامي على مر الدهور .

وفي مدينة الموصل برز العديد من العلماء في مختلف ظروب المعرفة والفنون ، ومنها في ميدان الطب، إذ برز فيها أطباء أضافوا الجديد إلى علم الطب بما أنتجوه من مؤلفات قيمة . ويعد كتاب(**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**) لموفق الدين أحمد بن القاسم السعدي الخزرجي المعروف بابن أبي أصيبعة (ت ٦٦٨/١٢٦٩م)، من كتب السير والتراجم الخاصة بالأطباء ، وهذا ما يدل عليه عنوان الكتاب ، إذ قدّم معلومات قيّمة جداً عن أبرز الأطباء والصيادلة فاحتل موقع الصدارة من بين الكتب التي ألفت في هذا المجال . ومن بين الذين ذكرهم العديد من أطباء الموصل لذلك ، فقد جاء هذا البحث من أجل التعرف على هؤلاء الأطباء ومن ثم دراسة الموارد التي اعتمد عليها ابن أبي أصيبعة في حديثه عن أطباء الموصل . والتي سيتم تقسيمها إلى عدة نقاط رئيسية بحسب ما أعتمد عليه ابن أبي أصيبعة من موارد سواء أكانت مصادر مكتوبة أو روايات شفوية ... الخ .

وقبل أن نبدأ حديثنا عن هذا الموضوع ، لابد من اعطاء نبذة عن ابن أبي أصيبعة صاحب الكتاب الفريد (**عيون الأنباء في طبقات الأطباء**) . فقد ولد في مدينة دمشق في عام٦٠٠ هـ / ١٢٠٣ م في بيت علم وأدب ، فقد كان والده من أمهر الكحالين (أطباء العيون) في دمشق ، وقد تلقى ابن أبي أصيبعة علوم الطب عن والده في دمشق ، ثم رحل إلى القاهرة لتلقي علوم الطب والتحق بالبيمارستان الناصري الذي أنشأه الملك الناصر صلاح الدين في القاهرة ، وأخذ في العمل المتواصل والمثابرة على تحصيل العلم فأشتهر بذكائه وحسن مداواته لأمراض العيون ، وفي عام ٦٣٤ هـ / ١٢٣٦ م شغل منصباً في أحد بيمارستانات

القاهرة ووصلت شهرته إلى أسماع الأمير عز الدين ايدمر في صرخد [١] ، فأرسل في طلبه فرحل إليه ، ومكث ابن أبي أصيبعة في صرخد حتى وفاته عام (٦٦٨ هـ/ ١٢٦٩ م) [٢] .

المبحث الاول: أطباء الموصل عيون الأنباء في طبقات الأطباء

زخرت مدينة الموصل بالعديد من مشاهير الأطباء على مدى قرون عديدة، وقد بلغ عدد اطباء الموصل الذين ذكرهم ابن ابي اصيبعة اربعة عشر طبيباُ، وقبل أن نتحدث عن موارد ابن أبي أصيبعة عن أطباء الموصل كما أوردهم في كتابه لابد من إعطاء نبذة عنهم :

١ . أحمد بن أبي الأشعث :

هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن أبي الأشعث [٣] . وهو من الأعلام الروّاد الأوائل للمدرسة الطبية في الموصل في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي الذين كان لهم اسهام فاعل في تطور الدراسات الطبية تطبيباً وتدريساً وتأليفاً عند العرب المسلمين [٤] ، كان أصله من فارس فلمّا دخل المغول هناك خرج فاراً ، ثم توجه إلى الموصل، وكان بحالة سيئة ثم تحسنت حالته وبدأ يمارس الطب، فعرف بكونه طبيباً مقتدراً . وكان لأحمد بن الأشعث عدة أولاد اشتهروا بصناعة الطب[٥] .ولهُ العديد من الكتب في ميدان الطب[٦]

(١) **صرخد :** بلد ملاصق لبلاد حوران من أعمال دمشق ، وهي قلعة حصينة وولاية حسنة واسعة . (شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ، معجم البلدان ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، د . ت)مج ٣ / ٤٠١ .

(٢) عماد الدين اسماعيل بن عمر ابن كثير الدمشقي، البداية والنهاية(بيروت، دار ابن كثير،١٩٦٧) ص٢٥٧؛جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة(مصر، وزارة الثقافة والارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطبع والنشر) ج ٧ / ٢٢٩ ؛ مقدمة المحقق نزار رضا لكتاب(عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي،(بيروت، دار مكتبة الحياة ، ١٩٦٥، د . ت)ص ٥؛ دون مؤلف، ابن أبي أصيبعة، دائرة المعارف الاسلامية(تهران ، انتشارات جهان ،)ج ٢/٦٩ ٧٠

(٣) موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس المعروف بابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضا(بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥) ٣٣١-٣٣٢ .

(٤) عبد الستار حمدون، أحمد بن الأشعث، بحث منشور ضمن ندوة الطب في الموصل، الموصل ، ١٩٩٨، ص٢٨ .

(٥) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق، ص ٣٣١ ؛ محمود الحاج قاسم محمد ، مشاهير أطباء الموصل منذ الفتح الاسلامي وحتى الحكم العثماني ، بحث منشور ضمن ندوة دور الموصل في التراث العربي للمدة من ١٦ / ٣ / ١٩٨٨ . ١٧ / ٣ / ١٩٨٨، جامعة بغداد ،مركز احياء التراث العلمي العربي ، ص ١ . ٢ .

،كما كان له العديد من التلاميذ مثل محمد بن ثواب الموصلي وأحمد بن محمد البلدي، وغيرهم. ويعد ابن أبي الأشعث من الذين أدخلوا الطب في الجزيرة وإلى الموصل بصفة خاصة وصاحب مدرسة تخرج منها أطباء كانت لهم مكانة مرموقة، وكانت وفاة ابن الأشعث في سنة ثلثمائة ونيف وستين للهجرة [٧] .

٢ ـ محمد بن ثواب الموصلي :

هو أبو عبد الله محمد بن ثواب بن محمد، ويعرف بابن الثلاج، تميز في صناعة الطب وكان خبيراً بالعلم والعمل، أخذ الطب وتعلمه من شيخه أحمد بن أبي الأشعث حيث لازمه واشتغل عليه وكان لديه الكثير من المؤلفات [٨]

٣ ـ أحمد بن محمد البلدي [٩] :

هو الشيخ أحمد بن محمد بن يحيى من مدينة بلد . وهو من أبناء القرن الرابع الهجري. كان خبيراً بالطب ، وحسن العلاج والمداواة ، وكان من أحسن تلامذة أحمد بن أبي الأشعث ، حيث لازمه مدة سنتين واشتغل عليه وتميز. وأكمل دراسة الطب قبل سنة ٣٥٣ هـ / ٩٦٤ م ،ألّف كتاب (**تدبير الحبالى والأطفال والصبيان وحفظ صحتهم ومداواة الأمراض العارضة لهم**)[١٠] ، ويعد هذا الكتاب قفزة نوعية من حيث كونه أوسع وأكمل ما كتب في طب الأطفال قبل عشرة قرون . وأرسى فيه أيضاً الدعامة الأولى لعلم الحصانة ضد الأمراض[١١] .

٤ ـ ابن قوسين :

وهو من الأطباء الذين نالوا شهرة في زمانه، في ميدان الطب، أقام بالموصل. وكان يهودياً ثم أسلم. وله كتب منها(**مقالة في الرد على اليهود**) [١٢] .

٥ ـ أوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن علي ملكا البلدي :

هو هبة الله بن علي بن ملكا ويلقب بأوحد الزمان وكنيته أبو البركات، وهو من أطباء القرن الخامس الهجري . ولد في مدينة بلد وأقام ببغداد ، وكان يهودياً ثم أسلم . وكان في خدمة الخليفة

(٦) للمزيد ، ينظر : ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ .

(٧) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٣٣١ ـ ٣٣٢ ؛ قاسم ، المرجع السابق ، ص ٢ .

(٨) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ٣٣١ ـ ٣٣٢ ؛ سعيد الديوه جي ، تاريخ الموصل ، (بغداد ، المجمع العلمي العراقي ، ١٩٨٢) ج ١ / ٢١٧ .

(٩) **البلدي نسبة إلى بلد :** وهي مدينة قديمة على دجلة فوق الموصل ، بينهما سبعة فراسخ . ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، مج ١ / ٤٨١ .

(١٠) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٣٣٣ .

(١١) قاسم ، المرجع السابق ، ص ٤٥٣ .

(١٢) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٣٣٣ ؛ الديوه جي ، المرجع السابق ،ج ١ / ٢١٨ .

العباسي المستنجد بالله (٥٥٥ ـ ٥٦٦ هـ /١١٦٠ ـ م) . بداية دراسته للطب كانت على يد الشيخ أبا الحسن سعيد بن هبة الله بن الحسين ، وهو من المشايخ المتميزين في صناعة الطب ، واصبح أبو البركات من أجلّ تلاميذه ، وأصبح طبيباً فاضلاً ، وأحاط ببقية العلوم حتى صار فيلسوفاً وطبيباً فاضلاً [١٣] . وقد أُصيب أبو البركات بالعمى في آخر عمره ، وكان له عدد من التلاميذ ممن يكتبون عنه ما يقول . وكان لأبو البركات العديد من الكتب والمقالات والرسائل والشرح [١٤] .

٦ ـ مهذب الدين بن هبل :

هو أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن هبل البغدادي ، ويعرف بالخلاطي ، وهو ليس خلاطياً ، إلاّ أنه أقام بها فنسب إليها . وهو من أطباء القرن السادس الهجري. ولد في بغداد سنة ٥١٥ هـ /١١٢١م، ونشأ فيها ، ودرس في المدرسة النظامية[١٥]، وتعلم الأدب والطب. ثم اشتهر بعد ذلك بصناعة الطب وكان من المتميزين فيه . ثم رحل إلى الموصل واستوطنها حتى وفاته[١٦] . وكان مهذب الدين بعد رحلته إلى الموصل قد ذهب إلى خلاط [١٧] حيث أقام عند أميرها شاه أرمن وبقي عنده مدة ،وحصل منه على مال كثير أرسله إلى والي الموصل .وأقام عند بدر الدين لؤلؤ(٦٣١-٦٥٧هـ/ ١٢٣٣-١٢٥٨م) ، ثم عاد إلى الموصل وأقام بها إلى وفاته[١٨] .وقد أُصيب مهذب الدين بالعمى وكان عمره خمساً وسبعين سنة فلزم منزله بسكة أبي نجيح ، وكان يجلس على سرير لِيُعَلِمَ طلابه الذين كانوا

(١٣) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ؛ جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ، تاريخ الحكماء (بغداد ، مكتبة المثنى ، ومؤسسة الخانجي بمصر ، ١٩٠٣) ص ٣٤٤ ـ ٣٤٥ ؛ قاسم ، المرجع السابق ، ص ٧ .

(١٤) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٣٧٥ ـ ٣٧٦ ؛ ابن القفطي ، المصدر السابق ، ص ٣٤٥ .

(١٥) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٤٠٧ ـ ٤٠٨ ؛ القفطي ، المصدر السابق ، ص ٢٣٨ ؛ عبد الجبار حامد أحمد ، ابن هبل وجهوده في علم الطب بالموصل في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ،بحث منشور ضمن ندوة دور الموصل في التراث العربي للمدة من ١٦ / ٣ / ١٩٨٨ ـ ١٧ / ٣ / ١٩٨٨ . جامعة بغداد ، مركز احياء التراث العلمي العربي ، ص ٧ .

(١٦) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٤٠٨ ؛ القفطي ، المصدر السابق ، ٢٣٨ ـ ٢٣٩ .

(١٧) **خلاط :** وتعرف أيضاً بأخلاط وهي مدينة بأرمينية بينها وبين منازكرد سبعة فراسخ (والفرسخ يتألف من ٣ أميال) عماد الدين اسماعيل المعروف بأبو الفدا ، تقويم البلدان، (بغداد ، مكتبة المثنى ، د . ت) ص ٣٩٥ .

(١٨) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٤٠٨ .

يقصدونه لتلقي العلم، وكان لمهذب الدين عدداً من الكتب ، ومنها كتاب(**الطب الجمالي**)ألفه لجمال الدين محمد الوزير المعروف بالجواد[١٩] وذلك في سنة ستين وخمسمائة للهجرة بالموصل، وتوفي مهذب الدين بن هبل بالموصل في سنة عشر وستمائة، ودفن بمقبرة المعافى بن عمران[٢٠] .

٧ . شمس الدين بن هبل :

هو شمس الدين أبو العباس أحمد بن مهذب الدين أبي الحسن علي بن أحمد بن علي بن هبل ، وهو من أطباء القرن السادس الهجري. ولد سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ، وكان متميزاً بالأدب ، واشتغل بالطب ، ، ثم سافر إلى بلاد الروم إذ أكرمه صاحب الروم الملك كيكاوس بن كيخسرو[٢١] إكراماً كبيراً وبقي عنده قليلاً ثم توفي هناك. ثم حمل إلى الموصل ودفن بها . وكان له ولدان من أعيان الفضلاء مقيمان بالموصل [٢٢] .

٨ . كمال الدين يونس :

هو كمال الدين أبو عمران موسى بن يونس بن محمد بن منعة ، وهو من علماء القرن السادس الهجري. ويعد من العلماء الموسوعيين الذين نالوا شهرة واسعة في زمانه، . وكان كمال الدين مدرساً في المدرسة الزينية بالموصل والتي سميت أيضاً الكمالية[٢٣] لطول مكثه فيها ، وكان يدرس العلوم بأسرها من الفلسفة والطب وغيرها [٢٤]. ولم يقتصر كمال الدين بن يونس على تدريس الطلبة من داخل

(١٩) **جمال الدين :** هو الوزير الأتابكي جمال الدين الأصفهاني (٥٢١ - ٥٥٩ هـ / ١١٢٧ - ١١٦٣م)

أصله من أصفهان ، نشأ من أسرة اشتهرت بالأدب والعلم وتهذب في بلاط السلاطين ، وأظهر كفاية ومقدرة ، وشغل بعض المناصب فذاعت شهرته ووصلت إلى عماد الدين زنكي فولاه عدد من المناطق فأبان كفاية فكان من خواصه وأكبر ندمائه . للمزيد ، ينظر : عماد الدين محمد بن محمد بن حامد الأصفهاني ، تاريخ دولة آل سلجوق ، اختصار : الشيخ الامام الفتح بن علي بن محمد البنداري (بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، د . ت) ص ١٩٥ ؛ علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم المعروف بابن الأثير ، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق : عبد القادر أحمد طليمات (القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، بغداد ، مكتبة المثنى ، د . ت) ص ٨٤ - ٨٥ .

(٢٠) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٤٠٨ ؛ سعيد الديوه جي ، المرجع السابق ، ج ١ / ٣٨٤ .

(٢١) **كيكاوس بن كيخسرو :** هو عز الدين كيكاوس ، ملك سلاجقة الروم ، كان حسبما يصفه أبو شامة ، ظالماً سفاكاً للدماء ، مات فجأة وهو سكران سنة ٦١٥ هـ / ١٢١٨ م (الذيل على الروضتين أو تراجم رجال القرنين السادس والسابع ، ط ٢ ، بيروت ، دار الجيل ، ١٩٧٤) ص ١١٣ .

(٢٢) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٤٠٨ .

(٢٣) المدرسة الكمالية: بناها زين الدين ابو الحسن علي بن بكتكين المتوفي سنة ٥٦٣ه ،والد الملك المعظم مظفر الدين كوكبوري صاحب اربل ، وفوض تدريسها الى رضي الدين يونس بن منعة (٥٠٨-٥٧٦هـ)ودرس بعده ابنه كمال الدين فصارت تعرف بالمدرسة الكمالية. سعيد الديوه جي، تاريخ الموصل(بغداد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي،١٩٨٢)ص٣٤٥ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٤١١ ؛ قاسم ، المرجع السابق ، ص ١٣ .

مدينة الموصل فقط ، بل كان يقصده طلاب العلم من كل حدب وصوب [٢٥] ، حتى أن ملك الفرنج (فردريك الثاني) . الذي كان متفنناً في العلوم . أرسل رسوله إلى كمال الدين بن يونس من أجل حل عدد من المسائل في علم النجوم وغير ذلك . وفعلاً استقبل كمال الدين ذلك الرسول وكتب له أجوبة تلك المسائل بأسرها [٢٦] ، ولكمال الدين بن يونس العديد من المؤلفات في شتى المجالات ، وقد وصفها ابن أبي أصيبعة بأنها غاية في الجودة . توفي كمال الدين في الموصل سنة ٦٣٩هـ /١٢٤١م ، وكان له عدد من الأولاد بمدينة الموصل اتقنوا الفقه وسائر العلوم، وكانوا يعدون من أفاضل المدرسين والمصنفين [٢٧] .

٩ . عمار بن علي الموصلي :

وهو من أطباء القرن الرابع الهجري، وكان أحد أطباء العيون المشهورين ، ولد في الموصل ، وتعلم الكحالة فيها، ومارس الكحالة وعملياتها . فكانت له خبرة بمداواة أمراض العيون [٢٨] ، تجول في عدد من الحواضر مثل وسوريا وفلسطين ومكة المكرمة.كما زار مصر في زمن الحاكم بأمر الله الفاطمي(٣٨٦-٤١١هـ /٩٩٦- ١٠٢٠م)الذي جعله أحد أطباءه المقربين ، وألّف له كتاب(**المنتخب في العين**)حوالي سنة (٤٠١ هـ /١٠١٠م)[٢٩] "وفي هذا الكتاب الكثير من الأفكار الأصيلة التي لم يذكرها قبله الكحالون العرب وتفصيلات دقيقة في وصف علامات وأعراض أمراض العين وتداويها لم يسبقه إليها اليونانيين، ولهذا يعد كتاب المنتخب هذا أكثر الكتب العربية أصالة في هذا الاختصاص" [٣٠] .هذا وقد ترجم كتابه المنتخب إلى اللاتينية ، وبقي من مقررات التدريس في كليات الطب بأوربا حتى أوائل القرن الثامن عشر[٣١] .

١٠ . جابر بن منصور السكري

من أطباء القرن الرابع الهجري، كان من العلماء في ميدان الطب، ومن أكبر المتميزين فيه.كان تلميذاً لابن الأشعث ، ثم لازم محمد بن ثواب الموصلي تلميذ ابن الأشعث. وقرأ عليه وكان ذلك في سنة٣٦٠هـ /٩٧٠م .وقضى أكثر حياته مقيماً في مدينة الموصل[٣٢] .

١١ . ظافر بن جابر السكري :

هو ظافر بن جابر بن منصور السكري ، كان فاضلاً في ميدان الطب. وكان موجوداً في سنة٤٨٢هـ

(٢٥) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٤١١ .

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٤١١ ؛ قاسم ، المرجع السابق ، ص ٤١١ .

(٢٧) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٤١١ .

(٢٨) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٦ .

(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٦ ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور ، سعد زغلول ، أحمد مختار العبادي ، تاريخ الحضارة الاسلامية العربية، ط ٢ (الكويت ، منشورات ذات السلاسل للطباعة ،١٩٨٦) ص ١٢٣ .

(٣٠) قاسم ، المرجع السابق ، ص ٦.

(٣١) الديوه جي ، المرجع السابق ، ج ١ / ٢١٧ .

(٣٢) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٦١٣ .

/١٠٨٩ م، وهو موصلي. ثم انتقل من الموصل إلى مدينة حلب، وأقام بها إلى آخر عمره، وكان لديه العديد من التلاميذ في ميدان الطب ومقامهم بحلب . وقد ألّف ظافر بن جابر كتب في ميدان الطب[٣٣] .

١٢ . موهوب بن ظافر:

وهو أبو الفضل موهوب بن ظافر بن جابر السكري ، وهو من أصل موصلي . كان من المتميزين والمشهورين في ميدان الطب ، وأقام بمدينة حلب وألّف في ميدان الطب [٣٤] .

١٣ . جابر بن موهوب :

هو جابر بن موهوب بن ظافر بن جابر بن منصور السكري ، وهو من أصل موصلي . اشتهر أيضاً في ميدان الطب وكان خبيراً به ، وأقام بمدينة حلب [٣٥] .

١٤ . عبد اللطيف البغدادي :

هو الشيخ موفق الدين أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن محمد، ويعرف بابن اللباد [٣٦] . موصلي الأصل بغدادي المولد، وهو من العلماء الموسوعيين، كما ويعد من أبرز علماء ولد عبد اللطيف البغدادي في سنة ٥٧٥ه/ ١١٦٩في بغداد[٣٧] من أسرة عرفت بحب العلم واشتهر أفرادها بعلمهم وتدينهم. عني البغدادي عنايةً كبيرة بدراسة الطب ومارسه وبرع فيه . ومن شيوخه الذين درس عليهم وانتفع منهم في هذا المجال، ابن التلميذ[٣٨]،وقد امتدحه البغدادي وأثنى عليه، كما عني بدراسة الرياضيات والفلسفة والمنطق وغيرها . وكانت للبغدادي العديد من الرحلات والتي لم تتوقف حتى وفاته في سنة(٦٢٩هـ/ ١٢٣م) . وقد ترك البغدادي بعد وفاته الكثير من الكتب في شتى ميادين العلم والمعرفة ، إلاّ أن أغلب تلك المؤلفات كان في ميدان الطب [٣٩]

---

(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٦١٤ .

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ٦١٤ .

(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٦١٤ .

(٣٦) تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي ، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ومحمد محمود الطناحي (ط ١ ، القاهرة ، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، ١٩٧١) ج ٨ / ٣١٣ .

(٣٧) زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق : بشار عواد معروف (ط ١ ، القاهرة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاؤه ، ١٩٧٦) مج ٦ / ٤ .

(٣٨) **ابن التلميذ :** أبو الحسن هبة الله بن أبي العلاء صاعد بن ابراهيم بن التلميذ ، كان وحيد زمانه في صناعة الطب ويدل على ذلك ما هو مشهور من تصانيفه وحواشيه من الكتب الطبية ، وكان رئيس الأطباء ببغداد إلى حين وفاته. للمزيد ينظر : ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق، ص ٣٤٩ . ٣٥٠ .

(٣٩) للمزيد ينظر : المصدر نفسه ، ص ٦٨٣ وما بعدها .

المبحث الثاني: موارده

عني ابن أبي أصيبعة في أغلب الأحيان بذكر الموارد التي اعتمد عليها ، ولكنه في أحيان أخرى لم يشر إليها . وقد اختلفت وتنوعت الموارد التي اعتمد عليها ابن أبي أُصيبعة في حديثه عن أطباء الموصل بحسب ما كان متوفراً لديه من معلومات ،ويمكن تقسيم هذه الموارد من حيث أهميتها ودرجة اعتماده عليها على النحو الآتي :

أولاً : الرواية الشفوية :

تعد الرواية الشفوية، المصدر الرئيسي لموارد ابن أبي أصيبعة، وهي تأتي بالمرتبة الأولى من بين موارده التي اعتمد عليها في حديثه عن أطباء الموصل، وكانت أغلبها موارد شفوية معلومة إذ ذكر أسماء الأشخاص الذين زودوه بتلك المعلومات أو كانوا ممن شاهدوا أو عاينوا بعض الأمور بأنفسهم، أو كانوا على علاقة أو معرفة بالشخصية التي كان يترجم ابن أبي أصيبعة لها سواءاً كانوا شيوخ أو قضاة أو محدثين أو أمناء وغيرهم، كما أننا نجد في بعض التراجم أن ابن أبي أصيبعة كان حريصاً على ذكر سلسلة الإسناد في الرواية الشفوية التي يذكرها .

ففي ترجمته لأوحد الزمان أبو البركات هبة الله بن علي ملكا اعتمد ابن أبي أصيبعة بالدرجة الأساس على الروايات الشفوية ، فقال:" وحدثني الشيخ مهذب الدين عبد الرحيم بن علي[٤٠]، قال، حدثني موفق الدين أسعد بن ألياس المطران[٤١]،قال حدثني الأوحد بن التقي[٤٢]، قال حدثني أبي، قال حدثنا عبد الودود الطبيب[٤٣]، قال حدثني أبو الفضل[٤٤] تلميذ أبي البركات المعروف بأوحد الزمان، قال: كنّا في خدمة أوحد الزمان في معسكر السلطان... " [٤٥] . وفي موضع آخر من ترجمته لنفس الشخصية قال:" حدثني الشيخ سعد الدين أبو سعيد

---

(٤٠) **مهذب الدين عبد الرحيم بن علي :** المعروف بالدخوار ، ولد سنة ٥٦٥ هـ / ١١٧٠ م ، طبيب ، ولد ونشأ في دمشق ، واتصل بالملك العادل سنة ٦٠٤ هـ ، فارتفعت منزلته عنده حتى جعله من جلسائه وأصحاب مشورته ، توفي سنة ٦٢٨ هـ / ١٢٣٠ م . للمزيد ينظر : خير الدين الزركلي ، الأعلام ، ط ٤ (بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩) ج ٣ / ٣٤٧ .

(٤١) **موفق الدين أسعد بن ألياس المطران :** طبيب باحث ، من أهل دمشق ، أسلم في أيام صلاح الدين الأيوبي ، وعلت مكانته عنده ، تميز في زمانه في ميدان الطب ، وكان عارفاً بالعلوم الحكمية ، صنف العديد من الكتب ، توفي ٥٨٧ هـ / ١١٩١ م . للمزيد ينظر : ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٦٥١ وما بعدها ؛ الزركلي ، المرجع السابق ، ج ١ / ٣٠٠ .

(٤٢) **الأوحد التقي :** لم أعثر على ترجمة له .

(٤٣) **عبد الودود الطبيب :** لم أعثر على ترجمة له .

(٤٤) **أوحد الزمان :** مرّ التعريف به .

(٤٥) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٣٧٥ .

بن أبي السهل البغدادي [٤٦] العواد، وكان في أول أمره يهودياً ، أنه كان يسكن ببغداد في محلة اليهود قريباً من دار أوحد الزمان ... " [٤٧] .

وفي المثال السابق نلاحظ أن ابن أبي أصيبعة لم يكتفي بذكر صاحب الرواية الشفوية التي استقى منها معلوماته ، وإنما اشار إلى الديانة التي كان عليها صاحب الرواية قبل أن يسلم ومما ذكره أيضاً من الروايات الشفوية من خلال ترجمته لأوحد الزمان قوله:" حدثني بدر الدين أبو العز يوسف بن مكي [٤٨] قال: " حدثني مهذب الدين ابن هبل، قال: سمعت أوحد الزمان يقول ... "[٤٩].وفي ترجمة الطبيب والعالم الموسوعي كمال الدين بن يونس قال:" وقال جلال الدين [٥٠] ... " [٥١] ، وقال أيضاً في ترجمته للشخصية ذاتها:" وحدثني نجم الدين حمزة بن عابد الصرخدي [٥٢] ... "[٥٣]،وعن طبيب موصلي آخر وهو، مهذب الدين ابن هبل اعتمد ابن أبي أصيبعة على عدد غير قليل من الروايات الشفوية فقال:" وحدثني عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدنان النحوي الموصلي [٥٤] قال... " [٥٥] .

ومن الجدير بالذكر فإن ابن أبي أصيبعة كان حريصاً على ذكر سلسلة الاسناد لا سيّما عندما يورد حديثاً للنبي محمد ﷺ. فمن خلال ما ذكره عن الطبيب مهذب الدين ابن هبل أشار إلى سماع الأخير للحديث، وأورد حديثا للرسول محمدﷺ رواه ابن هبل فقال:" حدثني الحكيم بدر الدين أبو العز يوسف بن أبي محمد بن المكي الدمشقي المعروف بابن السنجاري [٥٦] قال: حدثنا مهذب الدين أبو الحسن علي بن أبي العباس أحمد بن هبل البغدادي المعروف بالخلاطي [٥٧]، أخبرنا الشيخ الحافظ أبو القاسم اسمعيل بن أحمد بن عمر ابن الأشعث السمرقندي [٥٨]،أخبرنا

---

(٤٦) **سعد الدين أبو سعيد أبي السهل البغدادي :** لم أعثر على ترجمة له .

(٤٧) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٣٧٦ .

(٤٨) **بدر الدين أبو العز يوسف بن مكي :** لم أعثر على ترجمة له .

(٤٩) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٣٧٦ .

(٥٠) **جلال الدين :** هو القاضي جلال الدين البغدادي ، تلميذ كمال الدين يونس ، وكان جلال الدين مقيماً عند ابن يونس في المدرسة (المصدر نفسه ، ص ٤١٠) .

(٥١) المصدر نفسه ، ص ٤١١ .

(٥٢) **نجم الدين حمزة بن عابد الصرخدي :** لم أعثر على ترجمة له .

(٥٣) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٤١١ .

(٥٤) **عفيف الدين أبو الحسن علي بن عدنان :** لم أعثر على ترجمة له .

(٥٥) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٤٠٨ .

(٥٦) **بدر الدين أبو العز يوسف : بن ابي محمد بن المكي الدمشقي المعروف بالسنجاري.** لم اعثر على ترجمة له

(٥٧) **مهذب الدين أبو الحسن علي :** مرَّ التعريف به .

(٥٨) **أبو القاسم اسماعيل بن أحمد بن عمر ابن الأشعث السمرقندي:** ولد بدمشق سنة أربع وخمسين، وسمع بها من الخطيب عبد الدائم الهلالي ، وسمع ببغداد من جماعة ، ما أعدل به أحداً من شيوخ العراق ، وهو من شيوخ ابن الجوزي (أبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب في

أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتاني[٥٩]، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن أبي نصر[٦٠]، وأبو القاسم تمام بن محمد الرازي[٦١]، والقاضي محمد بن أحمد بن هرون الغساني المعروف بابن الجندي[٦٢]، وابو القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن علي بن أبي العقب[٦٣]، وأبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن عبيد الله بن يحيى القطان[٦٤]، قالوا: أخبرنا أبو القاسم علي بن يعقوب بن ابراهيم بن أبي العقب [٦٥]، حدثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمر بن عبد الله بن صفوان البصري[٦٦] ، حدثنا علي ابن عياش[٦٧]، حدثنا شعيب بن أبي حمزة عن نافع

أخبار من ذهب ، بيروت ، مطابع دار السراج ، د . ت) ج ٤ / ١١٢ .

(٥٩) **أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن محمد الكتاني :** التميمي الدمشقي الصوفي الحافظ ، ولد سنة ٣٨٩ هـ / ٩٩٨ م ، روى عن تمام المرادي وطبقته ، ورحل سنة ٤١٧ هـ إلى العراق والجزيرة . توفي سنة ٩٩٩ هـ / ١٠٧٢ م (المصدر نفسه ، ج ٣ / ٣٢٥ ؛ الزركلي ، المرجع السابق ، ج ٤ / ١٣) .

(٦٠) **أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي نصر :** المفتي صلاح الدين أبو القاسم الكردي ، الشهرزوري ، الشافعي، والد الشيخ تقي الدين ابن الصلاح ، ولد قبل الأربعين وخمسمائة ، تفقه على القاضي شرف الدين بن أبي سعد بن أبي عصرون وغيره ، سكن حلب ، ودرس بالمدرسة الأسدية ، توفي بحلب (شمس الدين ، أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي ، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، بيروت ، دار الكتاب ، حوادث ووفيات ٦١١ ـ ٦٢٠ هـ ، ط ٢ ، ص ٢٠٠١) ص ٤٠٤ .

(٦١) **أبو القاسم تمام بن محمد الرازي :** هو تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر أبو القاسم البجلي الرازي ثم الدمشقي ، من حفاظ الحديث ، كان محدث دمشق في عصره ، له كتاب الفوائد (ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ج ٣ / ٢٠٠ ؛ الزركلي ، المرجع السابق ، ج ٢ / ٨٧) .

(٦٢) **محمد بن أحمد بن هرون الغساني :** ابو نصر المعروف بابن الجندي، قاضي دمشق والغوطة ومحدث. قال ابن عساكر، هو جد شيخنا ابي الحسن بن ابي الحديد لامه ،حدث عنه الدمشقيين. ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق ٤٩٩-٥٧١، دراسة وتحقيق: علي شيري(د . م، دار الفكر للطباعة والنشر،د.ت) ج٥١/ ١٦١ .

(٦٣) **أبو القاسم عبد الرحمن بن الحسين بن علي بن أبي العقب :** المحدث كان ثقة مأموناً، حدث عن جد ابيه ابي القاسم علي بن يعقوب بن ابي العقب بشئ يسير ، توفي سنة ٤١٥هـ ودفن في باب الصغير.(ابن عسكر، المصدر السابق،ج٣٤/ ٣٠٩ .

(٦٤) **أبو بكر محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله :** لم أعثر على ترجمة له .

(٦٥) **أبو القاسم علي بن يعقوب بن ابراهيم بن أبي العقب :** الدمشقي المحدث المقرئ ، روى ابن أبي زرعة الدمشقي وطائفة، توفي في سنة ٣٥٣هـ /٩٦٤م عن ثلاث وتسعين سنة (ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ج ٣ / ١٣) .

(٦٦) **أبو زرعة عبد الرحمن بن عمر بن عبد الله بن صفوان البصري :** لم أعثر على ترجمة له .

(٦٧) **علي بن عياش :** الالهاني الحمصي الحافظ ، محدث حمص وعابدها ، سمع من جرير بن عثمان وطبقته وذكر فيمن يصلح لقضاء حمص (ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ج ٢ / ٤٥) .

[٦٨]عن ابن عمر(رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ :الخيل في نواصيها الخير إلى يوم القيامة " [٦٩] .

ومن الملاحظ على بعض الروايات الشفوية التي ذكرها ابن أبي أصيبعة هي استعانته بشخص معين لأكثر من مرة عند ترجمته لبعض الأطباء، ومثال ذلك قوله في ترجمة أوحد الزمان: "وحدثني القاضي نجم الدين عمر بن محمد المعروف بابن الكريدي أو الكرندي[٧٠] قال ..." [٧١]، وقوله في ترجمة كمال الدين بن يونس: "حدثني القاضي نجم الدين عمر بن محمد بن الكريدي قال : ... " [٧٢] . وفي موضع آخر من ترجمته للشخصية ذاتها قال : " حدثني أيضاً القاضي نجم الدين بن الكريدي قال: حدثني القاضي جلال الدين البغدادي تلميذ كمال الدين بن يونس ... "[٧٣] .

ثانيا : المصادر المكتوبة :

تأتي المصادر المكتوبة في المرتبة الثانية لموارد ابن أبي أصيبعة ، فقد اعتمد في ترجمته للأطباء المواصلة على عدد من المصادر المكتوبة، ونلاحظ أنهُ يذكر في بعض الأحيان أسماء الكتب التي أطلع عليها بنفسه ونقل منها تلك المعلومات، وفي أحيان أخرى يذكر اسم الشخص الذي نقل منه تلك المعلومات دون أن يذكر اسم الكتاب .

ففي ترجمته للطبيب(أحمد بن الأشعث) قال: " ونقلت من كتاب عبيد الله بن جبرائيل ابن بختيشوع قال ... "[٧٤]، وهنا نلاحظ أن ابن أبي أصيبعة لم يذكر اسم الكتاب وإنما ذكر فقط اسم المؤلف وهو عبيد الله بن جبرائيل بن بختيشوع ،وكان الأخير يعد فاضلاً في صناعة الطب ، متقناً لأصولها وفروعها، من جملة المتميزين من أهلها، كما كان له العديد من التصانيف في هذا الميدان[٧٥] .

وفي ترجمته للشخصية ذاتها، أحمد بن الأشعث اعتمد ابن أبي أصيبعة على كتاب ألفه صاحب الترجمة نفسه وذكر اسم ذلك الكتاب فقال: " ولأحمد

---

(٦٨) **شعيب بن أبي حمزة :** بن دينار الحمصي مولى بني أمية وصاحب الزهري ، قال أحمد بن حنبل رأيت كتبه وقد ضبطها وقيّدها ، قال وهو عندنا فوق يونس وعقيل ، وقال علي بن عياش كان عندنا من كبار الناس ، وكان من صنف آخر في العبادة (ابن العماد الحنبلي ، المصدر السابق ، ج ١ / ٢٥٧ ـ ٢٥٨) .

(٦٩) صحيح البخاري ، أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم ، اعتنى به : أبو عبد الله محمود بن الجميل ، ط ٢ (د . م ، مطابع دار البيان الحديثة ، ٢٠٠٣) ج ٢ / ٢٩ .

(٧٠) **القاضي نجم الدين عمر بن محمد المعروف بابن الكريدي :** لم أعثر على ترجمة له .

(٧١) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٣٧٦ .

(٧٢) المصدر نفسه ، ص ٤١٠ .

(٧٣) المصدر نفسه ، ص ٤١٠ .

(٧٤) المصدر نفسه ، ص ٣٣١ .

(٧٥) المصدر نفسه ، ص ٢١٤ .

بن أبي الأشعث من الكتب: كتاب الأدوية المفردة، ثلاث مقالات، وكان السبب الباعث له على تصنيفه قوم من تلامذته سألوه ذلك وهذا نص كلامه في صدر الكتاب: قال:" سألني أحمد بن محمد البلدي أن أكتب هذا الكتاب ... "[٧٦]، وقال في موضع آخر عن أحد مؤلفات أحمد بن أبي الأشعث: " ... وله كتاب في العلم الإلهي في نهاية الجودة وقد رأيته بخطه ... "[٧٧] .

أما في ترجمة الطبيب عبد اللطيف البغدادي، فنجد أن موارد ابن أبي أصيبعة قد تنوعت وكان من بين موارده المصادر المكتوبة، لا سيما التي ألفها صاحب الترجمة نفسه فقد أفرد ابن أبي أصيبعة حوالي(١٤) صفحة في ترجمته لهذا الطبيب، واستقى معلوماته بالدرجة الأساس من السيرة التي ألفها هذا الطبيب عن نفسه، فقال:" ونقلت من خطه في سيرته التي ألفها ما هذا مثاله ... "[٧٨]، وفي حديثه عن المؤلفات التي قام بتأليفها البغدادي في شتى ميادين العلم والمعرفة قال:"... والذي وجدته من خطه أشياء كثيرة جداً بحيث أنه كتب من مصنفاته نسخاً متعددة ..."[٧٩] . وفي موضع آخر من ترجمته للبغدادي قال:" ومن كلام موفق الدين عبد اللطيف البغدادي، مما نقلته من خطه قال: ... "[٨٠] . فضلاً عن ذلك فقد أشار ابن أبي أصيبعة إلى المراسلات التي كانت تتم بين والده(والد ابن أبي اصيبعة)وبين البغدادي . فقال: " ومن مراسلات الشيخ موفق الدين عبد اللطيف أنه بعث الى أبي في أول كتاب ، وهو يقول فيه ... "[٨١] .

وفي ترجمة الطبيب أوحد الزمان نجد أن ابن أبي أصيبعة اعتمد على أحد المصادر المكتوبة ممثلة بما كتبه البغدادي نقلاً عن أحد الأشخاص فقال:" ... نقلت من خط الشيخ موفق الدين عبد اللطيف البغدادي فيما ذكره عن ابن الدهان المنجم قال ... "[٨٢] .

ثالثاً : المعرفة الشخصية :

من الموارد الأخرى التي اعتمد عليها ابن أبي أصيبعة في حديثه عن أطباء الموصل هي معرفته الشخصية أو معرفة أحد أفراد عائلته بالشخصية التي يترجم لها، فمثلاً في حديثه عن الطبيب كمال الدين بن يونس بن منعة. أشار ابن أبي أصيبعة إلى عمه رشيد الدين بن خليفة الذي كانت له رغبة في زيارة الموصل للقاء كمال الدين بن يونس لِما عرف عنه من

(٧٦) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٣٣٢ .

(٧٧) المصدر نفسه ، ص ٣٣١ .

(٧٨) المصدر نفسه ، ص ٦٨٣ .

(٧٩) المصدر نفسه ، ص ٦٨٣ .

(٨٠) المصدر نفسه ، ص٦٩١ .

(٨١) المصدر نفسه ، ص ٦٩١ .

(٨٢) المصدر نفسه ، ص ٣٧٥ .

العلم والفضل ولكن لم يتسنى له ذلك : وعن ذلك قال ابن أبي اصيبعة :" ... أقول: وكان عمي رشيد الدين بن خليفة ، وهو في أول شبيبته قصد السفر إلى الموصل ليجتمع بالشيخ كمال الدين بن يونس ويشتغل عليه، لما بلغه من علمه وفضله الذي لم يلحقه فيه أحد وتجهز للسفر فلما علمت بذلك والدته ، جدتي، بكت وتضرعت إليه أن لا يفارقها، وكان يأخذ بقلبها فلم يمكنه مخالفتها وأبطل الرواح إليه "[٨٣] .

ومن الأمثلة الأخرى على موارد ابن أبي أصيبعة التي اعتمدت على المعرفة الشخصية هي ما ذكره عن الطبيب عبد اللطيف البغدادي إذ كان ابن أبي أصيبعة على معرفة شخصية به ووصفه، وعن ذلك قال:" ... وأتى إلى دمشق من الديار المصرية، وأقام بها مدة وكثر انتفاع الناس بعلمه. ورأيته لما كان مقيماً بدمشق في آخر مرة أتى إليها ، وهو شيخ نحيف الجسم ، ربع القامة ، حسن الكلام ، جيّد العبارة ، وكانت مسطرته إبلغ من لفظه، ... "[٨٤] . وقال في موضع آخر:" ولما أقام بحلب قصدت أني أتوجه إليه واجتمع به فلم يتفق ذلك ، وكانت كتبه أبداً تصل إلينا ومراسلاته وبعث إليّ أشياء من تصانيفه من خطه (وهذه) نسخة كتاب كتبته إليه لما كان بحلب ... "[٨٥] .

فضلاً عن ذلك فقد كان لعائلة ابن أبي أصيبعة علاقة شخصية بعبد اللطيف البغدادي ممثلة بأبيه وعمه وجده ، وعن ذلك قال ابن أبي أصيبعة: " وكان صديقاً لجدي[٨٦] وبينهما صحبة أكيدة بالديار المصرية لمّا كنّا بها . وكان أبي [٨٧] وعمي[٨٨] يشتغلان

(٨٣) المصدر نفسه ، ص ٤١٢ .

(٨٤) المصدر نفسه ، ص ٦٨٣ .

(٨٥) المصدر نفسه ، ص ٦٩٠ .

(٨٦) ويعرف بابن أبي أصيبعة ، ولد بدمشق ونشأ بها وأقام سنين كثيرة ، وكان له همة عالية ومحبة للفضائل وأهلها ، توجه إلى الديار المصرية عندما فتحها صلاح الدين الأيوبي ، وكان في خدمته وخدمة أولاده من بعده . المصدر نفسه ، ص ٧٣٦ .

(٨٧) **القاسم بن خليفة بن يونس :** ولد سنة ٥٧٥ هـ / ١١٧٩ م بالقاهرة ونشأ بها واشتغل أيضاً بها مع أخيه علي بن خليفة ، ولما ترعرعا أراد والدهما تعليمهما صناعة الطب لمعرفته بشرفها ، ودرسا على يد العديد من الشيوخ ولازم ابن الحجاج يوسف واشتغل بصناعة الكحل وباشر أعمالها واتقن صناعتها ، المصدر نفسه ، ص ٧٣٦ .

(٨٨) **علي بن خليفة بن يونس :** العلامة رشيد الدين ، ولد بحلب سنة ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م ، وتوفي شاباً عن سبع وثلاثين سنة ، نشأ بالقاهرة واشتغل بها وبرع في الطب وغير ذلك من علوم الحكمة ، وقد اشتغلوا عليه في الطب وله خمس وعشرون سنة . المصدر نفسه ، ص ٧٣٦ ؛ الذهبي ، تاريخ الاسلام ٦١١ ـ ٦٢٠ ، ط ٢ ، ٢٠٠١ ، ص ٣٠٦ .

عليه بعلم الأدب، واشتغل عليه عمي أيضاً بكتب أرسطو طاليس "[٨٩] .

ومما يلاحظ فإن ابن أبي أصيبعة في بعض تراجم الأطباء التي ذكرها كان على معرفة شخصية بأولادهم فمثلاً ، في ترجمة ابن أبي أصيبعة للطبيب أحمد بن الأشعث ، واشارته إلى أولاد الأخير ذكر ما يدل على معرفته الشخصية بهم ، لا سيما أحد أولاده الذي اشتهر بالطب فقال : " ... وكان له عدة أولاد ، والذي وجدته مشهوراً منهم في صناعة الطب محمد " [٩٠] .

وقال أيضاً في ترجمة الطبيب شمس الدين بن هبل قال: " ... كان لشمس الدين بن هبل ولدان من أعيان الفضلاء وأكابرهم وهما في وقتنا هذا مقيمان بمدينة الموصل"[٩١] .

رابعاً: موارد مجهولة:

ومن الجدير بالذكر فإن هناك العديد من تراجم أطباء الموصل لم يذكر ابن أبي أصيبعة موارده عنها ، وقد أتسمت تلك التراجم بكونها موجزة ومقتضبة مثل ترجمة الطبيب محمد بن ثواب الموصلي [٩٢] ، وأحمد بن محمد البلدي [٩٣] ، وابن قوسين [٩٤] ، وجابر بن منصور السكري [٩٥] ، وعمّار بن علي الموصلي [٩٦] ، وظافر بن جابر السكري [٩٧] ، وموهوب بن الظاهر [٩٨] ، وجابر بن موهوب [٩٩] . ولعل سبب ذلك يعود إلى قلّة معلوماته عن تلك الشخصيات ، وأن المعلومات التي جاء بها عنهم كانت مما تناقله الناس سواءاً كانوا أطباء أو غيرهم، كذلك نجد أن ابن أصيبعة قد اعتمد على مصدر مجهول في أحد التراجم التي ذكرها ، ففي ترجمته للطبيب أوحد الزمان كان من بين موارده كلمة (قيل) [١٠٠] ، وهذا يدل على عدم تأكده مما سمع .

الخاتمة

يعد كتاب (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي اصيبعة كتاب فريد من نوعه ، قدّم فيه المؤلف ترجمة لأربعمائة طبيب تقريباً وسلّط الضوء على تاريخ الطب منذ أقدم العصور حتى وفاته ، ومنهم أطباء الموصل الذين أوردهم في كتابه ، وقد تبيّن من خلال البحث أن أطباء الموصل كانوا حوالي (١٤)

(٨٩) ابن أبي أصيبعة ، المصدر السابق ، ص ٦٨٣ .

(٩٠) المصدر نفسه ، ص ٣٣٢ .

(٩١) المصدر نفسه ، ص ٤١٠ .

(٩٢) المصدر نفسه ، ص ٣٣٢ .

(٩٣) المصدر نفسه ، ص ٣٣٢ .

(٩٤) المصدر نفسه ، ص ٣٣٣ .

(٩٥) المصدر نفسه ، ص ٦١٣ .

(٩٦) المصدر نفسه ، ص ٥٤٩ .

(٩٧) المصدر نفسه ، ص ٦١٤ .

(٩٨) المصدر نفسه ، ص ٦١٤ .

(٩٩) المصدر نفسه ، ص ٦١٤ .

(١٠٠) المصدر نفسه ، ص ٣٧٥ .

طبيب ، وقد اتسمت تراجم بعض هؤلاء بكونها مقتبضة جداً ، وتراجم البعض الآخر أتسمت بأنها مطولة . فضلاً عن تراجم أخرى تراوحت بين هذا وذاك ، وقد وجدنا من خلال البحث أن ابن أبي أصيبعة عني في أغلب الأحيان بذكر الموارد التي اعتمد عليها ، ولكنه في أحيان أخرى لم يشر إليها . وقد اختلفت وتنوعت الموارد التي اعتمد عليها ابن أبي أُصيبعة في حديثه عن أطباء الموصل بحسب ما كان متوفراً لديه من معلومات ،ويمكن تقسيم هذه الموارد من حيث أهميتها ودرجة اعتماده عليها على النحو الآتي الرواية الشفوية والتي جاءت بالمرتبة الأولى من بين موارده ، والمصادر المكتوبة والتي جاءت بالمرتبة الثانية من بين موارده ،وجاءت المعرفة الشخصية بالمرتبة الثالثة، واخيرا: موارد مجهولة، لم يذكر موارده في التراجم القصيرة والتي كانت بحدود (٨) تراجم .

الموت في شعر حسان بن ثابت بين الحضور والغياب

أ.م.د. ايمان خليفة حامد الحيالي م.م. وضاح حسن خضر الحديدي

الملخص

شغل الموت اهتمام البشر قديماً وحديثاً فوقف الإنسان باحثاً عن سره مع الاعتقاد بأن حتميته لا مفر منها، ففيه قضاء على جميع المخلوقات مما دفع الإنسان قديماً إلى نسج الأساطير الخيالية، حينما عجزت قدراته العقلية المتواضعة عن سبر أغواره وتعطيل آثاره المأساوية، فما أسطورة (جلجامش) إلا تجسيداً للرغبة في الانعتاق من الموت وقد شكل الموت هاجساً أساسياً أرّق البشرية، لذلك عد مشكلة حقيقية كونه ظاهرة إنسانية وكونية من الطراز الأول فضلاً عن كونه إمكانية معلقة ، فهو واقع لا محالة لكنه مجهول من الناحية الزمنية لوقوعه؛ ولان حسان بن ثابت عاش حياتين مختلفتين من حيث الفلسفة والرؤية لهذه الظاهرة فقد وقفنا عند نصوصه الشعرية التي عبرت عن الموت قبولا او رفضا وقد كشفت النصوص عن تغير واضح بين التصورين كونه عاش عصرين مختلفين في تقبلهما لهذه الظاهرة.

Death in the poetry of Hassan ibn Thabet between attendance and absence

Waddah Hassan Khader Hadidi Dr.. Iman Khalifa Hamid Al Hayali

Abstract

The myth of Gilgamesh, which is the most important of all, But the embodiment of the desire to be free from death

Death is a basic concern for the thinnest of mankind, so it is a real problem because it is a human phenomenon and a universe of first-rate as well as being an outstanding possibility. It is a reality, but it is unknown in terms of time. We stood at the texts of poetry that expressed death acceptance or rejection The texts revealed a clear change between the perceptions that he lived two different times in their acceptance of this phenomenon.

حسان بن ثابت

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار واسم النجار تيم الله بن ثعلبة بن عمرو بن حارثة بن ثعلبة وهو العنقاء بن عمرو. وانما سمي العنقاء لطول عنقه وعمرو هو مزيقياء بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرئ القيس البطريق بن ثعلبة البهلول بن مازن بن الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان. وكنيته ابو الوليد وابو عبد الرحمن وابو المضرب وابو الحسام لمناضلته عن رسول الله عليه السلام ولتقطيعه اعراض المشركين، ويكنى ايضا بابن الفريعة والفريعة امه وهي ابنة خالد بن خنيس بن لوذان بن عبد ود بن زيد بن ثعلبة بن الخزرج بن كعب بن ساعدة الانصارية[١].

مولده ووفاته:

ولد في مدينة يثرب "المدينة المنورة" قبل النبي عليه الصلاة والسلام بسبع أو ثمان سنين وقد نقل بن هشام قال والله إنّي لغُلامٌ يفعةٌ ابنُ سبع سنين أو ثمانٍ أعقلُ كُلّ ما سمعت، إذ سمعت يهوديّا يصرُخُ بأعلى صوته على أطمةٍ بيثرب يا معشر يهُود حتى إذا اجتمعُوا إليه قالُوا لهُ ويلك ما لك ؟ قال طلع الليلة نجمُ أحمد الّذي ولد به. قال مُحمد بن إسحاق فسألت سعيد بن عبد الرحمن بن حسّان بن ثابت فقلت. ابن كم كان حسّانُ بن ثابت مقدم رسُول اللّه (ﷺ) المدينة ؟ فقال ابنُ ستّين (سنةً)، وقدمها رسُولُ اللّه (ﷺ) وهو ابن ثلاثٍ وخمسين سنةً فسمع حسّان ما سمع وهو ابن سبع سنين[٢]. فهو ولد قبل الرسول بما يقارب من سبع سنين أي عام ٥٦٣م ومولد الرسول كان عام ٥٧١م [٣] في يوم الاثنين.

وقد توفي في عام (٥٤هـ-٦٧٤م) وهو احد الشعراء المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام وقد عمر فعاش ستين سنة فالجاهلية ومثلها في الإسلام[٤].

إسلامه:

لم تذكر المصادر إلى إسلام حسان بالتحديد والراجح انه إسلام عقب عودة قومه من بيعة العقبة الاولى كونه شاعرهم السباق إلى كل ما يسبقون إليه ، وهو لا يخرج على تقاليد أو أحلاف أو اومر قبيلته وإذا كان الخزرج عامة وبنو النجار خاصة قد حالفوا الرسول ودخلوا في الإسلام منذ وقت مبكر[٥]. فلا شك ان يكون حسان قد دخل معهم في الإسلام. فلم نجد في شعره ما يدل على تفرده واستقلاله عن قومه فقد إسلام وحسن إسلامه ونجد صدى الك صريحا في شعره اذقال[٦]:

شـــــهدتُ، بـــــإذنِ اللهِ، أنّ محمـــــداً رَسُـــولُ الـــذي فَـــوْقَ الســـماواتِ مِـــن عَـــلُ
وَأنّ أبـــا يَحْيَـــى ويَحْيَـــى كِلَيْهِـــما لَـــهُ عَمَـــلٌ في دينِـــهِ مُتَقَبَـــــــلُ
وأنَّ الـــتي بـــالجزعِ مِـــنْ بطْـــنِ نخْلَـــةٍ ومَـــنْ دانَهـــا فِـــلٌ مِـــنَ الخَـــيرِ مَعـــزِلُ
وأنّ الـــذي عـــادى اليهـــودُ ابـــنَ مـــريمٍ رَســـولٌ أتـــى مـــن عنـــدِ ذي العـــرْشِ مُرْسَـــلُ
وأنّ أخَـــا الأحْقَـــافِ، إذ يعْذُلُونَـــهُ يقـــومُ بـــدينِ اللهِ فـــيهمْ، فيعـــدلُ

هناك ثلاثة أمور كان لها تأثير بالغ في شاعرية حسان وهي الأتي

أولا: – الوازع الأسري

امتزجت في آل حسان عراقة الشعر بعراقة الأصل وعن هذا قال أبو العباس المبرد " وأعرق قوم كانوا في الشعر آل حسان فإنهم كانوا يعتدون ستة في ن سق كلهم شاعر، وهم سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام "[٧] . والمتامل لهذه السلسلة الشعرية يجد شاعرنا واسطة القلادة فالشعر جرى منه مجرى الدم [٨] .شاعريته وكذلك كان خاله مسلمة بن مخلد بن الصامت [٩] من خطباء الأنصار المعدودين اذ قال:[١٠]مفتخرا به

إنّ خـــالي خطيـــبُ جابيـــة الجـــو لانِ عنـــدَ النُعمـــانِ حـــينَ يقُـــومُ
وَأبـــي، في سُـــميحةَ ، القائـــلُ الفـــا صـــلُ، يـــومَ التقـــتْ عليـــه الخصـــومُ

وكذلك كانت أخته خوله بنت ثابت شاعرة، ومن شعرها وهي تشبب بعمارة بن الوليد بن المغيرة

يـــا خَليلـــي نـــابَني سُـــهُدِي لم تَـــنَمْ عـــيني ولم تَكَـــدِ
فشَـــرابي مـــا أُسِـــيغُ ومـــا أَشْـــتَكِي مـــا بـــي إلى أحـــدِ

وكذلك كانت ابنته ليلى شاعرة وقد حكى " الاصمعي عن أبي طرفة قال جلس حسان بن ثابت يوما ومعه ابنته ليلى فجعل يريد شعرا يقوله فقال:

متاريـــك أذنـــاب الأمـــور إذا اعترت تركها الفروع واجتثتها اصولها

ثم جعل يريد الزيادة فلا يقدر فقالت له ابنته كأنك قد أجبلت قال نعم قالت أفأجيز عنك قال نعم فقالت:

مقاويـل بـالمعروف خـرس عـن الخنـا كـرام يعـاطون العشـيرة سـؤلها

فجثى حسان فقال:

وقافيـة مثـل السـنان رزينـة تناولـت مـن جـو السـماء نزولهـا

فقالت:

يراهـا الـذي لا ينطـق ويعجز عن امثالها أن

فقال: لا والله لا قلت بيت شعر ما دمت حية قالت أو اؤمنك قال فذاك قالت فأنت آمن أن أقول بيت شعر ما بقيت " [١١].

ثانيا: – الوازع القبلي

كان للحروب والملاحم التي دارت بين الحيين الأوس والخزرج أثرا واضحا في شاعرية حسان اذ نشأت على أثرها المناقضات بينه وبين شعراء الأوس، وسيأتي تفصيل ذلك في البحث.

ثالثا:– الوازع الديني

دخل حسان في الإسلام وان دخول أي فرد في الإسلام يعني ضمنا رفض المجتمع السابق فكان دخوله في الإسلام فاتحة عهد جديد في حياته الشعرية إذ اختاره الرسول شاعرا للدعوة يذود عن الإسلام وأهله بلسانه وترتب على هذه المهمة توصيات مهمة أشار إليها الرسول (ﷺ) فاستقبلها حسان مباشرة وهي:

١– معرفة الأنساب من أبي بكر الصديق (رضي الله عنه).

عندما احتدم الصراع بين مشركي قريش والمسلمين ولاسيما عقب هجرة النبي محمد (ﷺ) إلى المدينة لجا الكفار إلى محاربة الرسول (ﷺ) بالشعر وهنا وقع اختيار النبي (ﷺ) على حسان ففضله على سائر الشعراء؛ كونه يمتلك موهبة شعرية نافذة فضلا عن سلاطة لسانه وقد قال النبي (ﷺ) للأنصار ما منع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم فقال حسان بن ثابت أنا لها وأخذ بطرف لسانه وقال والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء وقد وأخرج لسانا له أسود فوضعه على أرنبته وقال يا رسول الله لو شئت لفريت به المزاد ائذن لي فيه فقال النبي (ﷺ) كيف تهجوهم فليحدثك حديث القوم وأيامهم أحسابهم[١٢]. وهذا الخبر يدل على مكانة شاعرية هذا الرجل وكيف هجا أقرباء الرسول (ﷺ) والصحابة (رضي الله عنهم) دون أن يؤذيهم وسيأتي تفصيل هذا في البحث.

2 – تأيده بروح القدس

بعد ما كان حسان يفخر بشيطان الشعر في الجاهلية بقوله: [١٣]

ولي صاحبٌ من بني الشيصبانِ فَطوْراً أقُولُ وطوْراً هُوَهْ

تبدل مصدر وحي الشاعر من قوى الغيب السلبية شيطان الشعر إلى قوى الغيب الايجابية روح القدس، التي اضافها الإسلام إلى شاعرنا فاعانه جبريل (عليه السلام) على قول الشعر وقد جاء في الصحيح "**عَنْ الْبَرَاءِ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى (صلى الله عليه وسلم) لِحَسَّانَ اهْجُهُمْ أَوْ هَاجِهِمْ وَجِبْرِيلُ مَعَكَ**"[١٤] وادى ذلك إلى التزام في شعره وانطلق من رؤية دينية ملتزمة فقال: [١٥]

وإنما الشّعْرُ لُبُّ المرْءِ يَعرِضُهُ على المجالس إن كَيساً وإن حُمُقا
وإنّ أشعرَ بيتٍ أنتَ قائلُهُ بَيْتٌ يُقالُ، إذا أنشدتَهُ صَدَقا

ولعل هذه المرتكزات كانت سببا في صقل شخصية حسان وتهيئتها للقيام بهذه المهمة التي وقعت على عاتقه بدخوله في الإسلام.

الموت من اللغة الى الاصطلاح

والموت في اللغة "يدل على ذهاب القوة من الشيء وهو خلاف الحياة" [١٦]. ويدل أيضاً على السكون "فكل ما سكن فقد مات. . . ويقال: ماتت الريح أي: سكنت، وسمي الموت نوماً لأنه يزول معه العقل والحركة تمثيلاً وتشبيهاً لا تحقيقاً، وقد يستعار الموت للأحوال الشاقة كالفقر والذل والسؤال والهرم والمعصية وغير ذلك" [١٧].

وفيه جهل أيضاً من الناحية المكانية، قال تعالى: ﴿**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ**﴾ [لقمان: ٣٤] فضلاً عن جهل كيفية الموت، فالإنسان يجهل موته إذا كان طبيعياً أم عارضاً كالحرق أو الغرق أو القتل أو الصعق. وعلى الرغم مما في الموت من الجهل إلا أن حتمية الموت هي والموت من أكثر الأمور القريبة مثاراً للجدل ومكمناً للضعف والعجز البشري فضلاً عن كونه كيفية وجودية لا يتصور إلا فيما له وجود. "فهو صفة وجودية خلقت ضداً للحياة"[١٨]. هو علم مطلق من ناحية وجهل مطلق من ناحية أخرى، وعن هذا قال بسكال: "إنني في حالة جهل تام بكل شيء فكل ما أعرفه هو أنني لا بد أن أموت يوماً ما لكنني أجهل كل الجهل هذا الموت الذي لا أستطيع تجنبه" [١٩].

الحقيقة الأولى التي عرفها الإنسان كونه الكائن الوحيد الذي يعي حقيقة موته من بين الكائنات الحية الأخرى[٢٠].

والموت حادث كلي كلية مطلقة من ناحية وجزئي جزئية مطلقة من ناحية أخرى، فهو كلي إذ أن جميع

الخلائق فانية، وجزئي إذ كلاً منا يموت وحده، أي لا يمكن لآخر أن يحل بديلاً عنه[٢١] . "فهو أمر قبلي سابق على أية محاولة أو أية تجربة استقرائية. . . حيث أن الموت ليس اختصاراً عرضياً بدرجة أو بأخرى يدركه هذا الفرد أو ذلك وإنما هو جزء لا يتجزأ من الحياة"[٢٢] . "فهو فعل فيه قضاء على كل فعل وثانياً هو نهاية للحياة البشرية بمعنىً مشترك"[٢٣] .

والموت أنواع، منه الموت الطبيعي وهو انقضاء الحياة بالأسباب اللازمة الضرورية، وهناك نوع ثان يطلق عليه الموت الاختزامي وهو انقضاء الحياة لا للأسباب الضرورية بل بعارض كقتل أو غيره. فالنوع الأول هو يعني انتهاء الإمكانيات وبلوغها حد النضج والكمال كما يقال في ثمرة من الثمرات إنها بلغت نهايتها، والنوع الثاني يكون وقف الإمكانيات عند حد وقطعها عند درجة مع بقاء كثير من الإمكانيات غير متحقق[٢٤] .

وإلى جانب هذه التفسيرات عن حقيقة الموت هناك تفسيرات لا تقل أهميتها عن التفسيرات السابقة، وهي العالم الذي يأتي بعد الموت فضلاً عن الطقوس والمراسيم والبكاء والرثاء الذي يقوم بها ذوو الفقيد إذ لا يمكن أن نفصل تفسير الموت عن هذه الأمور. فأول فعل كان يفعله أهل الفقيد هو محاولة التخلص من جثة الميت دفناً أو حرقاً أو إغراقاً حسب العقائد التي يؤمنون بها وما يرافق ذلك من طقوس[٢٥] . ففي العصر الجاهلي كان الموت نهاية مأساوية حتمية تقتحم الناس فتسوقهم إلى حتفهم دون أن يكونوا قادرين على التخلص من جذبها لذلك نجد عندهم تصورين عما وراء الموت، الأول: ينفي أن يكون هناك عالم وراء الحياة الدنيا، فهو لا يؤمن بالحساب ولا العقاب وقد ورد ذكر هذا التصور في القرآن الكريم.

ومنه قوله تعالى: ﴿**وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ**﴾ [الأنعام: ٢٩] . وقوله تعالى: ﴿**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ**﴾ [النحل: ٣٨] .

أما التصور الثاني: فهو يعتقد بالحياة بعد الموت ومنهم على سبيل الذكر الشاعر زهير بن أبي سلمى وقد مر بالعضاة وهي مورقة فقال : لولا أن ت شتمني العرب لأمنت أن الذي احياك بعد يبس ليحيي العظام وهي رميم [٢٦] .

وكان بعض العرب إذا حضره الموت يقول لذويه ادفنوا معي راحلتي حتى احشر عليها وقد اطلقوا على هذه الراحلة تسميات منها (البلية) وهي ناقة تعقل عند القبر حتى تموت، ويعكس ويدار عنقها ورأسها إلى مؤخرها ويتركوها في حفيرة لا تطعم ولا تسقى حتى تموت وربما احرقت بعد موتها أو سلخ جلدها وملء

يَا سَعْدُ أَمَا اهْكَنَّ فإنّني أوصِيكَ إنَّ أخَا الوُصَاةِ الأَقرَبُ
لا تَتْرُكَنَّ أَبَاكَ يَمْشِي خَلفَهُمْ تَبَعَاً يُحَزّ عَلى اليَدينِ ويُنكبُ
احْمِلْ أَبَاكَ عَلَى بَعيرٍ صالحٍ وابقِ الخَطِيئَةَ إنّه هُو أصْوبُ
ولَعلّ مَالِي مَا تَركتُ مَطِيّةً فِي اليمّ أَرْكَبُها إذا قَبل ارْكَبوا [٢٧]

ثماماً وكانوا يزعمون أن من مات ولم يُبل عليه حشر ماشياً، ومن كان له بلية حشر راكباً على بليته. وفي هذا المعنى يقول جريبة بن أشيم:

وهناك اعتقاد كان سائداً في الجاهلية وهو أن الإنسان إذا مات لا تنقطع علاقته بالحياة الدنيا فهو يتابع أخبار قومه وأهله من خلال (الهامة)، وهي أن: "إذا قتل الرجل ولم يطلب بثأره خرج من رأسه طائر كالبومة يسمى الهامة فيصيح على قبره: اسقوني، اسقوني إلى أن يطلب بثأره. فإن قتل قاتله كف ذلك الطائر. قال ذو الإصبع العدواني:

يَا عَمْرُو إنْ لا تَدَعْ شَتْمِي ومَنْقَصَتِي أَضْرِبُكَ حَيثُ تَقُولُ الهَامَةُ اسْقُونِي"[٢٨]

وكانت القبيلة في الجاهلية لا تبكي المقتول حتى تأخذ بثأره، يقول ابن طباطبا العلوي متحدثاً عن هذه السنة وهي: "إمساك العرب عن بكاء قتلاها حتى تطلب بثأرها، فإذا أدركته بكت حينئذ قتلاها" [٢٩]. وعن هذا المعنى يقول الربيع بن زياد[٣٠]:

مَـن كَـانَ مَسْـرُوراً بِمَقْتَـلِ مَالِـكٍ فَلْيَـأْتِ نِسْـوَتَنَا بِوجْـهِ نَهَـارِ
يَجِـدِ النِّسَـاءَ حَوَاسِـراً يَنْدبنَـه يَلطُمْـنَ أوجُهَهُـنّ بالأَسْـحَارِ
قَـدْ كُـنّ يُكْـنِنَّ الوُجُـوهَ تَسَتّـراً فَـالآنَ حِـينَ بَـرَزْنَ للنُّظَّـارِ

وما يؤكد ذلك الأمر فعل قريش عقب وقعة بدر الكبرى التي سجل فيها المسلمون الانتصار الأول على المشركين إذ نهيت نسائهم وشعرائهم عن البكاء على قتلاهم حتى يثأروا، فلم يبك عليهم حتى يوم أحد . وهناك طقوس لها دلالات أسطورية مثل التطهير، فزوجة المتوفى "تعتزل المجتمع مدة طويلة تصل إلى العام أحياناً لأن زوجها الميت يلاحقها بمراقبته حتى يطمئن على وفائها، وقد يلحق بها أشد الأذى إذا خلت لهذا الواجب، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن ملامستها لميت تلصق بها نوعاً من (التابو) يفرض على المجتمع تجنبها حتى تتخلص منه بمضي المدة، لذلك فهي تقيم في كوخ خاص حتى يمضي زمن

الحداد وبعده تبدأ طقوس التطهر، فتؤتى بدابة -كما يقول النويري- شاة أو حمار أو طائر لتتمسح به (وقلما تتمسح بشيء إلا مات) وهذا يفسر تجنب المجتمع لها

أَبَــى لابــنِ سَــلْمَى أَنَّــهُ غَيْــرُ خَالِــدٍ
فَلَسْــــتُ بِمُبْتَــــاعٍ الحَيَــــاةِ بِسُنَّــــةِ

حتى تتخلص من شحنة (المانا) الضارة التي علقت بها نتيجة علاقتها بالمتوفى. وفي النهاية ترمي بعرة وراء ظهرها إعلاناً بأنها قطعت كل صلة لها بحياتها القديمة وعادت تصلح لممارسة دورها في الحياة الاجتماعية بكل أبعادها"[٣١].

ومهما يكن من طقوس لعالم ما بعد الموت إلا

ومن خلال هذه الرؤية للموت وعالمه في العصر الجاهلي يتجلى لدينا غرض الرثاء الذي يشكل الموت موضوعه الرئيس. لذلك عد الرثاء ذا قيمة في الشعر العربي عامة وفي العصر الجاهلي بصورة خاصة، إذ أن "الرثاة عامة يعبرون عما في أجوافهم من أحزان وقد تمثلوا دقة الموقف وروعة التأثير للمأساة البشرية. فالمصير واحد يهددها وهب تسعى إليه حثيثة. ويبقى الإبداع متفاوتاً بينهم بمقدار قدرة أحدهم على التأثير والتأثر وحسن التعبير عن الأفكار والخواطر التي تدور حول المصير والدهر والموت والفقيد" [٣٣]. فهو يعبر عن مشاعر الحزن التي تختلج في صدور الأحياء

أن حقيقة الموت التي تنال أحد الناس هي فجيعة عظيمة تستحق الحزن العميق والأسى المؤلم لأنه كان يحطم الطموحات وينهي الآمال، لذلك نجد أهل المتوفى يعمدون إلى ندبه وبكائه ورثائه، فإن كان الميت قتيلاً

مُلاَقِــي المَنَايَــا أَيُّ صَــرْفٍ تَيَمَّمَــا
ولاَ مُبْتَــغٍ مِــنْ رَهْبَــةِ المَــوتِ سُــلَّمَا

في المعارك فرثاؤه تنديد بالقاتلين وتوعد بالثأر منهم، وتمجيد لبطولة المقتول وبلاءه قبل أن يموت. وإن كان موتاً عادياً فبكاء على الحياة من بعده وعزاء بأن الموت كأس لابد أن يشربها الناس جميعاً، لذلك قال الحصين بن الحمام المري[٣٢]:

لغياب إنسان عزيز كان يعيش بينهم وكانت له مكانته، لذلك يحمل "عاطفة من أصدق العواطف الإنسانية وأخلدها على مر الدهور وكل العصور، ولعل الرثاء أصدق فنون الشعر العربي قاطبة ذلك لأنه يخاطب عزيزاً فارق الحياة أو ملكاً كان ملء السمع والبصر أو داراً دارت عليها عوادي الزمن" [٣٤].

والواقع أن ما وصل إلينا من رثاء الجاهلية "يمثل اتجاهين رئيسيين، أولهما: تهويل الشاعر في تصوير أحزانه وعظم رزيته وتفردها، والآخر: محاولته أن يتأسى بمن فقده واحد من البشر أو الأحياء الذين كتب عليهم هذا المصير" [٣٥].

والغريب أننا لم نجد في شعر شاعرنا في الجاهلية رثاءً لأبناء قبيلته وذويه "مع أن لذعة الحزن على الميت شيء لا يستطاع تحاشيه. . .أفما أصابته اللوعة لفقد أحد ممن حملوا ألوية المجد والسيادة والحرب فيهم؟ أفما كان له من الذاهبين حميم؟ أفمن يمتحن في عمره الجاهلي الطويل بموت عزيز من عشيرته الأقربين؟ وإذا كان شيء من هذا لم يحرك في قلبه أوتاد الحزن والأسى – وذلك جد بعيد – فيرسل الدمعة المسكوبة والزفرة الحارة قصيدة رائعة يحفظها الزمن ويرويها الرواة. أفما كان جديراً به وهو شاعر قومه المذيع لمفاخرهم الذائد عن حياضهم الناطق بلسانهم المسجل للأحداث الدائرة فيهم الحافظ لتاريخهم أن يؤدي واجبه في رثاء قادتهم وسادتهم؟"[٣٦].

وَمُمسكٍ بِصُدعِ الرّأسِ من سُكُرٍ
لما صحا وتراخى العيشُ قلتُ لهُ:
فاشربْ من الخمرِ ما آتاكَ مشربهُ

قد يكون مرد ذلك إلى أنه لم ينبغ في هذا الغرض، شأنه شأن قسم من الشعراء منهم على سبيل الذكر لا الحصر، البحتري الذي لم يكن يحسن الهجاء وفلسفته للموت تتضح من خلال هذه الأبيات، فالموت يمثل هاجسا مخيفا يفني الناس، لذلك اتكأ على الخمرة وكذلك الفرزدق لم يكن يجيد الغزل. وقد يكون الأمر متعلقا بنظرة الشاعر إلى الموت، وهو من وجهة نظري الأقرب إلى الصواب كونه قد قال شعراً في رثاء الرسول (ﷺ) والصحابة (ﷺ) وإن كانت مراثيه لا تصل إلى جودة سائر أغراضه إلا أن فيها سمات فنية وصور جميلة جسدت أثر غياب الفقيد في المجتمع وهذا ما سنقف عليه في الإجراء التحليلي لهذه المراثي في شعره الإسلامي لاحقاً.

فالخوف من الموت هو السبب في انعدام مراثيه في قومه، وقلتها في الغساسنة، فالشاعر منذ وعى وجوده في الحياة وأدرك بأن عيشه مهما طال لا بد أن ينتهي في

ناديتُهُ وهوَ مغلوبٌ، ففداني
إنّ الحياةَ، وإنّ الموْتَ مِثلانِ
واعلمْ بأنْ كلُّ عيشٍ صالحٍ فانِ

يوم من الأيام وأنه مقيد بزمن محدد مجهول، وبذلك أيقن بأن الموت يتربص به لذلك لجأ إلى الهروب من وطأته والاندغام في الجماعة فضلاً عن معاصرته للخمر إذ يقول[٣٧]:

وهي من طيبات العيش، فعلى الإنسان أن يغتنم هذه الفرصة قبل أن يدركه الموت ؛ لأنّ "الخوف من الموت

مَـــنْ يغـــرُّ الـــدهرُ، أوْ يأمنـــهُ ... مـــن قبيـــلٍ بعـــد عمـــروٍ وحجـــرْ
ملكـــا مـــنْ جبـــلِ الـــثلجِ إلى ... جـــابَيْ أيلَـــةَ ، مِـــن عَبْـــدٍ وَحُـــرّ
ثـــمّ كانـــا خَيْـــرَ مَـــنْ نَـــالَ النّـــدَى ... ســـبقا النـــاسَ بإقســـاطٍ وبـــرّ
فارســـيْ خيـــلٍ، إذا مـــا أمســـكتْ ... ربّـــةُ الخِـــدْرِ بـــأطْرَافِ السّـــتَرْ
أتيـــا فـــارسَ في دارهـــمِ ... فتنـــاهوا بعـــدَ إعصـــامٍ بقـــرّ

تعبير عن تمسك الإنسان بالحياة وجزعه من المستقبل المجهول. . .والخوف من الموت إحساس ضمني بضرورة الفشل وشعور أكيد بحتمية النهاية الأليمة" [٣٨] . ولقد فعنصر الفخر بادياً في هذه الأبيات، فقد ذكر مناقبها من بر وعدل وكرم فضلاً عن ذكر شجاعتها في القتال ضد الفرس، ولحظ غياب عنصر اللوعة والحسرة

إنّـــي حَلَفْـــتُ يَمينـــاً غـــيرَ كاذِبَـــةٍ ... لَـــوْ كَـــانَ للحـــارِثِ الجَفْـــنيّ أصْـــحَابُ
مِـــن جِـــذمِ غَسّـــانَ مُسْـــتَرْخٍ حمـــائلُهُمْ ... لا يغبقـــونَ مـــن المعـــزى، إذا آبـــوا
ولَا يُـــذَادُونَ مُحْمَـــرّاً عُيُونُهُـــمُ ... إذا تحضـــرَ عنـــدَ الماجـــدِ البـــابُ
كـــانُوا إذا حضَـــرُوا شِـــيبَ العُقَـــارُ لهـــمْ ... وَطِيـــفَ فِـــيهمْ بـــأكْوَاسٍ وأكْـــوَابِ
لجالـــدوا حيـــثُ كـــان المـــوتُ أدركهـــمْ ... حتّـــى يثوبـــوا لهـــم أســـرى وأســـلابُ
لكِنّـــه إنّمـــا لاقَـــى بمأشَبَـــةٍ ... ليسَ لهـمْ عنْـدَ صِـدْقِ المـوتِ أحْسـابُ

وهي خالية تماماً من أي عنصر من عناصر الرثاء، "فلسنا نرى فيها كلمة واحدة يصح أن تسمى رثاء، وكل ما فيها تعريض برجال الحارث الجفني من غير غسان وذم لهم"[٤١] .

تَنـــاوَلَني كِســـرى بنُؤسَـــي، ودونَـــهُ ... قفـــافٌ مـــنَ الصـــمانِ، كالمتثلـــمِ
ففجعـــني، لا وفـــقَ اللهُ أمـــرهُ ... بـــأبيَضَ، وهـــابٍ، قليـــلِ التّجهـــمِ

قصر شاعرنا رثاءه على الأمراء الغساسنة في الجاهلية، حيث رثى الأميرين (عمرو وحجر) في قوله[٣٩]:

والأسى فهي أقرب إلى المدح والفخر منها إلى الرثاء. والمرثية الثانية في ديوانه قيلت في الحارث الجفني، إذ يقول فيها[٤٠]:

ولعل من أجود مراثيه في الجاهلية قصيدته التي قالها في رجل من الغساسنة لم يصرح باسمه ربما يكون ملكاً من ملوكهم، وهي بحق تجسد مرارة الحزن وتعبر عن جو نفسي محتدم ومنفعل. يقول[٤٢]:

لِتَعْـفُ مِيـاهُ الحـارِثَيْنِ، وقـدْ عفَـتْ ... مِياهُهُمـا مـنْ كـلّ حـيٍّ عَرَمْـرَمِ
وأَقْفَـرَ مـنْ حُضّـارِهِ وِرْدُ أَهْلِـهِ ... وكـان يـروي في قـلالٍ، وحنـتِمِ
وقلـتُ لعـينٍ بالجوبـةِ يـا اسـلمي ... نعـمْ ثـمّ لمْ تنطـقْ، ولم تـتكلمِ
دِيـارُ مُلُـوكٍ قـدْ أَرَاهُـمْ بِغِبْطَـةٍ ... زَمـانَ عَمـودُ المُلـكِ لمْ يَتَهَـدّمِ
لعمـري لحـرثٌ بـينَ قـفٍّ ورملـةٍ ... بـبرثٍ علـتُ أنهـارهُ كـلَّ مخـرمِ
لـدى كـلّ بنيـانٍ رفيـعٍ، ومجلـسٍ ... نشـاوى، وكـأسٍ أخلصـتُ لم تصـرمِ
أحَـبُّ إلى حسّـانَ، لـوْ يَسْتَطِيعُـهُ ... مـنَ المُرْقَصَـاتِ، مـنْ غِفـارٍ وأسلـمِ

والنص بعث في نفس الشاعر يقظة الإحساس بالفناء والغياب لهذا الرجل الكريم، فهو يتفجر أسىً وحزناً عليه، وهذه الأبيات عبرة عن عاطفة صادقة كون الميت قتل على يد العدو اللدود (كسرى) وفي هذه المرثية حشد لأسماء الأمكنة التي غدت سمة بارزة في شعره وهي أمكنة الغساسنة.

هذا كل ما لدى شاعرنا من رثاء في الجاهلية، لذلك قمنا بعرض سريع لتلك النماذج دون دراستها لأن ما يهمنا هو الكشف عن ظاهرة الغياب التي كانت أكثر وضوحاً في مراثيه الإسلامية، التي دارت حوله الآراء بين الجودة والنسبة، هل هي لحسان أم لغيره، فضلاً عن كونها تجسد فترة زمنية مهمة من تاريخ الأمة الإسلامية، إذ عدت المرثية أفضل نموذج يؤرخ الحادثة.

قبل أن نشرع في دراسة ظاهرة الغياب في الموت من خلال المراثي الإسلامية علينا أولاً أن نقدم تصوراً لحقيقة الموت في الإسلام، لان هذا التصور هو الدافع الرئيس وراء قريحة شاعرنا في هذا الغرض.

صار الموت عند المسلمين أمراً هيناً شأنه شأن النوم تماماً إلا أنه يمتاز عن الثاني بأنه إمساك للروح عند الله، قال تعالى: ﴿**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**﴾ [الزمر: ٤٢]. وهو انتقال من حال إلى حال وفراق للأهل والأحباب والخلان لذلك جعله الله تعالى من أعظم المصائب، قال تعالى: ﴿**فَأَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ**﴾ [المائدة: ١٠٦]. فضلاً عن كونه عبرة لمن اعتبر وفكرة لمن تفكر جاء في الحديث: " لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سميناً"[٤٣]. لذلك رغب الإسلام في تذكر الموت، وقد روي أن رجلاً من الأنصار قال: " يَا نَبِيَّ اللهِ، مَنْ أَكْيَسُ النَّاسِ وَأَحْزَمُ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : أَكْثَرَهُمْ

ذِكْرًا لِلْمَوْتِ، وَأَشَدُّهُمُ اسْتِعْدَادًا لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ الْمَوْتِ، أُولَئِكَ هُمُ الأَكْيَاسُ ذَهَبُوا بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَكَرَامَةِ الآخِرَةِ " [٤٤] .

وإلى جانب الترغيب في ذكر الموت إلا أن رسولنا الكريم (ﷺ) قد نهى المرء أن يتمنى الموت أو يدعو به لفقر أو مرض أو محنة أصابته. وقد روي عن أنس أنه قال: قال رسول الله (ﷺ): "**لا يتمن أحدكم الموت لضر نزل به وإن كان لابد متمنياً فليقل: اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني ما كانت الوفاة خيراً لي** [٤٥] . وهذا يدل على تحول في مفهوم الموت في الجاهلية عنه في الإسلام، فكان الموت في الجاهلية مشكلة بالنسبة (للموت) فكل تصوراتهم كانت متعلقة بالخوف من الموت، أما في الإسلام فقد تلاشى الخوف الموت في بينما ظهر هاجس جديد نتج عن فعل الموت وهو الخوف مما بعده. لذلك فإن معاني الرثاء تبدلت وفقاً لتلك الحقائق، فالحياة الدنيا ليست إلا رحلة قصيرة للوصول إلى الحياة الأبدية ويكون الموت هو الفيصل بينهما لكننا لا نعدم فيها الأسى والحزن واللوعة والحرقة.

ودراسة نصوص الموت (الرثاء) ستركز على الجانب الشعوري الانفعالي اذ يتجلى فيها عنصر الغياب، فالإنسان مهما بلغ درجة من الإيمان الراسخ إلا أنه قد ينهار شعورياً ويرى الحياة بنظرة سوداوية لفقدان أحد الأحباب كائناً من يكون أخاً، ام أباً، أم ابناً . . . لذلك عزلنا جانب التأبين من المراثي وتوقفنا على عنصري (الندب، والعزاء) كون التأبين يكون أقرب إلى الحضور منه إلى الغياب

إن الشاعر في المرثية عندما يتحدث عن مصيبة الموت التي تحل بغيره إنما يحزن بدافع لا شعوري إلى ذاته، فهو سيلقى المصير ذاته في مقبل الأيام عاجلاً أم آجلاً، فموت الآخرين من أهم تجارب الموت في حياة الإنسان إذ لم تكن أهمها على الإطلاق لأن الموت الشخصي للإنسان عندما يكون قد مات لا يعني بالنسبة له شيئاً ولكنه بالنسبة للآخرين يعني الشيء الكثير فله أثره العميق في حياتهم الفكرية والنفسية. فموت الآخر فوق أنه تجسيد حي لتجربة الموت التي ستأتي على الإنسان الحي في يوم من الأيام ولا بد إذ يرى في هذه الواقعة واقعته هو القادمة ويرى مصيره المحتوم وهو أيضاً عنصر خطير من عناصر الفقد والاستلاب من الحياة بشكل عام، إذ يفنى جزء منها بفناء هذا الميت ومن حياة بعض الأفراد ممن له صلة ما بالشخص الميت إذ يحسون بمأساة الفقد والانقضاض من وجودهم وخصوصاً إذا كان المفقود ذا أثر في حياتهم[٤٦] .

حفل عصر صدر الإسلام بحروب متصلة نتج عنه عدد كبير من الشهداء في سبيل الله دفاعاً عن

الدين، الأمر الذي جعل تجربة الغياب لدى شاعرنا تجربة قاسية ومريرة ظهرت آثارها على ذاته الملتاعة

ألا يا لقومٍ هلْ لما حمّ دافعُ؟
تذكّرْتُ عصْراً قد مَضَى، فتهافَتَتْ
صَبَابَةُ وَجْدٍ ذكّرَتْني أحِبّةً
وسعدٌ فأضحوا في الجنانِ وأوحشتْ

انطلق الشاعر من أداة التنبيه (ألا) التي تضمنت دلالة التنبيه على حتمية الموت وتآزرت مع أسلوب الاستفهام بـ (هل) لتقدم رؤية يقينية لحقيقة الغياب والفقد من الحياة بأمر مقدر من الخالق فضلاً عن تقديم الشاعر لتساؤل ثان في الشطر الثاني بالأداة نفسها (هل) عندما تساءل عن انقضاء صالح العيش وذهابه دون رجعة، ولو أمعنا النظر في البنية الاستفهامية هنا لوجدناها تنزاح عن أصلها وهو التساؤل من أجل الوصول إلى معرفة أمر مجهول، كون الاستفهام قائم أساساً على أطراف التساؤل وهي: (سائل، مسؤل، سؤال، غاية أو هدف السؤال) . فالسؤال كان عن حتمية الأجل المقدر (الموت) فضلاً عن حتمية انقضاء صالح العيش دون رجعة، والسائل هو الشاعر وهو عالم ومؤمن إيماناً جازماً بهذه الحقائق، والمسؤول هو الشاعر أيضاً وقد يكون عامة المسلمين، وهذا يؤكد أن الشاعر لا يجهل هذه الحقائق.

الحزينة، إذ قال في قتلى بدر[٤٧]:

وهلْ ما مضى من صالح العيش راجعُ
بناتُ الحشا، وانهلّ مني المدامعُ
وقَتلى مَضَوْا فيهِمْ نُفَيْعٌ وَرَافِعُ
منازِلُهُمْ والأرْضُ منهُمْ بَلاقِعُ

فكانت الغاية هنا ليست الوصول إلى معرفة أمر مجهول بل هي حض المتلقي إلى الانتباه إلى مصير يتربص به لا يمكن الفكاك منه مهما طال العيش وصلح، عن طريق أداة التنبيه (ألا) فضلاً عما أفاده الاستفهام هنا وهو الخروج إلى معنى التنبيه الذي دفع المخاطب إلى التنبه بهذه الحقائق فضلاً عن الانتباه إليها والاتعاظ بها .

وفي هذا البيت نجد تقنية لغوية أخرى لها أثر في النص وهي (النداء) في قوله: (يا لقوم)، وهذا التعبير اللغوي يوحي برغبة الشاعر في إقامة اتصال مع (القوم) لكي يخفف من ألم الإحساس بالموت والفناء الذي يتربص به، فصيغة النداء هنا " تشير إلى التوتر النفسي داخل الإنسان وتدل عليه كما أنها توحي بالأمل لديه لأنها وسيلة لإسعاف المكروب حين يفزع لتفريج كربته وتلمس قضاء حاجته، كما تدل على تمثل الحضور والحركة لكل من يستوحش من شيء أو يفزع من أمر أو يقلق من ضيق فإنه يستقبل هذا الفزع

وهذه الوحشة بالنداء والصراخ والاستغاثة سواء أكان بوعي أو بغير وعي، بشعور أو بلا شعور، لذلك كانت صيغته الفنية متجددة المعنى في النفس الإنسانية كلما أحست بوحشتها واستشعرت خوفها وثار قلقها فإنها تفزع إليه من حيث تدري ولا تدري "[٤٨] .

فالتعبير اللغوي في البيت الأول كان صدى الغياب إذ نجد تنوع الأساليب من (التنبه والنداء والاستفهام) أوحى بجو اللوعة والقلق، ولاسيما في قوله: (وهل ما مضى من صالح العيش راجع ؟) إذ يبرز لنا مثير الكبر لدى الشاعر حينما أيقن بانقضاء زمن (الحيوية والشباب واللهو) المنعوتة بـ (صالح العيش) وهي غائبة في الآن إذ حل محلها لحظات الحزن والتفجع والتحسر .

عندما تذكر زمن غياب المرثي وهو وقت (العصر) وهذا الوقت حمل دلالة غائبة تشير ضمنياً إلى ضآلة الحياة وضيقها وقصرها وقد جاء في قوله تعالى في سورة (العصر): ﴿**وَالْعَصْرِ ۞إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۞إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**﴾ . وهذا يعمق إحساس الشاعر بألم الغياب لان المرثي هم شهداء بدر، والشهادة من أعظم الدرجات عند الله عز وجل، هذا ما ناحية، أما من الناحية الثانية لهذا الإحساس وهو حشد الألفاظ الدالة على حزنه ولوعته المتمثلة في قوله: (تهافتت بنات الحشا ، وانهل مني المدامع) . فالأحشاء هي ما في جوف الإنسان (اللب والأمعاء) يصورها الشاعر وهي تسقط باستمرار فاستعمال (تهافتت) يشير إلى دلالة استمرار هذا التهافت وتواليه فضلاً عن دلالة (انهل) وهي فيها من تساقط الدمع باستمرار وانصباب شديد مصحوب بالبكاء بصوت عالٍ .

وهذا البيت امتاز بدرجة عالية من الحزن والألم والإحساس بالغياب، فالشاعر تمثل للموت في حالة الحياة (لحظة الإنشاد) إذ جمع بين الحضور الغياب إلا أن عنصر الغياب هو الطاغي كون الزمن قد مضى فضلاً عن عملية الاستذكار لزمن الحادثة برقة وشوق في قوله: (صبابة وجد) إذ يصور الشاعر حاله من خلال حال المرثي وهم جماعة مجاهدة نالوا شرف الشهادة وجزوا الجنة لذلك ينصب أثر غيابهم على الشاعر بالدرجة الأولى هذا ما صوره قوله: (وأوحشت منازلهم) (والأرض منهم بلاقع) وهي إشارة صريحة إلى فقدان قيمة الحياة وغيابها مما أثار في الشاعر الهلع والخوف من مصير الموت الذي يتربص به، وما دلالة تكرار الفعل (مضى) إلا إشارة إلى انتهاء الحياة والغياب . مما أثار الهلع والحزن العميق في نفس الشاعر أحداث الغدر التي تعرض لها المسلمون في بداية الدعوة، ولعل مرثيته في قتلى معونة مرآة صادقة لحالات الغدر بالصحابة، إذ يقول[٤٩]:

على قتلى معونةَ ، فاستهلي ... بِدَمْعِ العَيْنِ سَحّاً غيرَ نَزْرِ
عَلى خَيْلِ الرّسولِ، غَداةَ لاقَوْا ... منايـاهمْ، ولاقتهمْ بقدرِ
أصَابَهُمُ الفَنَاءُ، بجَبْلِ قَوْمٍ ... تخونَ عقدُ حبلهمِ بغدرِ
فيا لهفي لمنذرٍ إذْ تولى ... وَأعْنَقَ في مَنِيّتِهِ بِصَبْرِ
فكائنْ قدْ أُصِيبَ غَداةَ ذاكُمْ ... من أبْيَضَ ماجِدٍ مِنْ آلِ عَمرِو

خاطب الشاعر العين لإظهار مشاعر الحزن والفجيعة التي ألمت بالمسلمين بغياب هذه الكوكبة الصالحة، لأن العين هي أداة البكاء المباشرة فهو يأمرها بالاستهلال بالدمع بغزارة وكثرة دون توقف أو قلة، وهذا الخطاب كشف حالة الحزن الممضة والحرقة والأسى الذي عاناه الشاعر، وإن القراءة التأملية للأبيات تبرز لنا استسلام الشاعر للقدر الذي غدا ركناً من أركان الإيمان، لذلك قدمه الشاعر على القتل الذي نتج عن عملية الغدر، فيما وصف لقاء هذه العصبة المغدورة عبر آلية تكرار الفعل (لقي) . فعلى الرغم مما أضفاه هذا التكرار من تأكيد على حتمية الموت فضلاً عن تسليط الضوء على قيمة القدر من ناحية ويشبب العاطفة الخامدة وتعبر عن الحسرة والألم من ناحية ثانية، وتأكيداً لهذه الحسرة على غياب المرثي لجأ الشاعر إلى استعمال صيغة التفضيل (أصاب) على وزن أفعل حين جعل الفناء يصيب هؤلاء الأخيار إذ بدا وكأنه تعمد اختيارهم، عما أضفى الشاعر على الفناء صفة الوعي بالاختيار مما زاد ألمه وتحسره.

تأوَّبَني لَيْلٌ بَيَثْرِبَ أعْسَرُ ... وَهَمٌّ، إذا ما نَوّمَ النّاسُ، مُسْهِرُ
لِذِكْرَى حَبِيبٍ هَيّجَتْ ثَمّ عَبْرَةً ... سَفُوحاً، وأسْبَابُ البُكاءِ التَّذَكّرُ

ويستمر الشاعر في تصوير مشاعر الحزن ذلك عندما يستخدم لفظة (اللهفة) في قوله: (يالهفي) وهي سمة بارزة في شعر النساء، كما ذهب إلى ذلك د . حسين جمعة، فقال: "فاللهفة والبكاء يتجاوبان طوعا للمرأة ولا يتجاوب الصبر فلفظة اللهفة عزيز نادر في رثاء الرجال"[٥٠] . تأملنا ورودها في أكثر من موضع في مراثي شاعرنا فضلاً عن أنها في هذه الأبيات جاءت مقترنة مع الصبر لتكون بمثابة الترويح عن الألم الذي خلفه غياب هؤلاء الصحابة.

وفي معركة مؤتة نجد اللوعة والأسى والحسرة واضحة في عبارات شاعرنا وهو يتفجر بكاء عليهم وعبرته حين يتذكرهم، إذ يقول[٥١]:

بـــلاءٌ، فقـــدانُ الحبيـــبِ بليـــة ... وكـــمْ مـــنْ كـــريمٍ يُبْتَلـــى، ثـــمّ يَصْـــبِرُ
رأيـــتُ خيـــارَ المـــؤمنينَ تـــواردوا ... شَـــعُوبَ وقـــدْ خُلِّفْـــتُ فـــيمن يُؤخّـــرُ
فَـــلا يُبْعِـــدَنّ اللهُ قَتْلَـــى تَتَـــابَعُوا ... بمَوْتـــةَ ، منـــهمْ ذو الجنـــاحينِ جعفـــرُ
وَزَيْـــدٌ، وعبْـــدُ اللّـــهِ، حِـــينَ تتـــابعوا ... جميعـــاً، وأســـبابُ المنيـــة تخطـــرُ

طغى جو الحزن على هذه الأبيات، إذ نجد الشاعر ينتقي مفردات ذات دلالة مرتبطة بـ (الموت) و(الغياب) مثل: (همٌ، هيجت، عبرة، بكاء، بلاء، فقدان، شعوب، قتلى، المنية) وهي ألفاظ إشاعت جو القلق والاضطراب في الأبيات فضلاً عن إطلاق الليل فضاءً زمنياً كشف عن الحزن والحسرة التي يعانيها الشاعر، إذ أنه يذكي في "نفس الشاعر الإحساس بالموت. . .بما فيه من ظلمة دامسة وغموض محير وسكون شامل تتوارى فيه حركة الحياة وحيويتها" [٥٢] . ومما زاد في ألم الشاعر التنكير في (ليلٌ) إذ جعلها لفظاً مطلقاً ومتحرراً من التخصيص، فكان المراد هنا تعظيم الأمر الجلل[٥٣] . وهو غياب المرثي (الصحابة) (ﷺ) .

إن لجوء الشاعر إلى تكرار كلمة حبيب مرتين في النص بلور الحالة الانفعالية للشاعر وأبرز حدة المأساة وقوة المعاناة لما لهذه الكلمة من أثر في نفس المتلقي، فهو يحاول أن يجسد حضور المرثي في النص عن طريق التعبير اللغوي عامداً إلى أسلوب التكرار، وكأنه تعويض عن (الغياب المادي) موت المرثي. وإلى جانب هذا التكرار يبرز لنا تكرار (وبلاءٌ، بليةٌ، يبتلى) وتنوع صيغتها بين الاسمية والفعلية المضارعة، الدالتان على الثبوت والتجدد، والشاعر بهذه الصيغ عبر عن حسرته عن مدى الخسارة التي حلت به[٥٤] . بغياب هؤلاء الأخيار مصوراً موتهم بتتابع واحد تلو الآخر مجسداً هذه الصورة الحركية بتكرار الفعل (تتابعوا) مرتين في شكله وعدد حروفه. فالتكرار في هذه الأبيات أدى "إلى رفع مستوى الشعور في القصيدة إلى درجة غير عادية، واستناد الشاعر إلى هذا التكرار يستغني عن عناء الإفصاح المباشر وإخبار القارئ بالألفاظ عن مدى كثافة الذروة العاطفية" [٥٥] .

قد كشفت هذه الأبيات الرؤية الفكرية الإسلامية من خلال الصورة الحركية المتمثلة في ورود الشهداء إلى نهايتهم وإقبالهم عليها بروح صابرة محتسبة، فهي صورة مجردة تتكئ معالمها على الموروث القديم للشعر العربي (لا يبعدن) وهي تستمد قيمتها من الأفكار الإسلامية[٥٦] . فإن معاناة الشاعر في هذه الأبيات كانت نابعة من فكرتين أساسيتين، الأولى: (الحسرة) وهي غياب المرثي عن الحياة، والثانية:

(الخسارة) وهي غياب الشاعر عن المعركة وعدم نيله شرف الشهادة في سبيل الله تعالى.

إن الشعور بالحزن العميق جاء من خلال الشهيد (الغائب عن الحياة)، فقد ضاق الشاعر ذرعاً بهذا الحزن ولشدة لوعته واساه بدا له أن مظاهر الكون قد اضطربت فهي لم تبق على نظامها المعهود وحالتها المعروفة، (فالأرض قد أظلمت واسود نور القمر) بعد غياب الفقيد وهذا بدوره أدى إلى تهويل الموقف فانعكست مأساة الشاعر على مظاهر الكون مما أدى إلى تأثرها واضطرابها . وما بناء الفعل للمجهول في قوله: (غودر) إلا دلالة على أن يكون وقع الأثر أبلغ في نفوس السامعين وكأن بناءه يحاكي الجلل

مـــا لشـــهيدٍ بـــينَ أرمـــاحكمْ ... شـــلتْ يـــدا وحشـــيّ مـــن قاتـــلِ
إنّ امْـــــرَأً غُـــــودِرَ في ألّـــــةٍ ... مَطـــــرُورَةٍ ، مارِنَـــــةِ العامِـــــلِ
أظْلَمَـــــتِ الأرْضُ لِفقْدَانِـــــهِ ... واســـودَّ نـــورُ القمـــرِ الناصـــلِ
صـــلّى عليـــكَ اللّـــهُ في جنّـــةٍ ... عاليَـــةٍ ، مُكرَمَـــةِ الـــدّاخِلِ

إن للشهادة في الإسلام قيمة أساسية، فهي فعل استشرافي ينطلق من واقع الدين الجديد، لذا جعلها شاعرنا مادة خصبة في مراثيه ألهمته معاني البطولة والفداء، كون الشهيد يقبل على الموت بكل ثقة، هذا ما عبر عنه الشاعر في استشهاد حمزة بن عبد المطلب (رضي الله عنه)، إذ يقول[٥٧]:

العظيم الذي اختلت موازين الكون لغياب (الشهيد) وغيب الفاعل كما غيب الموت هذا البطل[٥٨] .

إلا أننا نلتمس في البيت الاخير عزاء لا يضاهى، إنها الجنة الموعدة وهذا يعد من الأفكار الإسلامية الجديدة آنذاك، وقد علق "بلاشير" عن ذلك قائلاً: "الإسلام منح المؤمن عنوان مجد يضاف إلى عناوين أخرى فإذا بالشاعر في أساه يكتشف عزاء في يقينه بأن خصمه (خصم الأمة) لحق به خزي عذاب جهنم مقابل هذا كثيراً ما خفف من حزن الشاعر بأن موتاه هم في جنة الخلد" [٥٩] .

كان الحدث الكبير هو موت الرسول (ﷺ)، الأمر الذي أذهل المسلمين جميعاً " فهو ليس كأي إنسان وغياب جسده جعل القلوب تند حسرة على حسرة، فقلوب المسلمين انصدعت وجموعهم ارتعدت ولا تدري ما تفعله"[٦٠]. بل إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لم يصدق النبأ فقال: "إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله (ﷺ) قد توفي، وإن رسول الله (ﷺ) ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات، و والله ليرجعن رسول الله (ﷺ) كما رجع موسى فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله (ﷺ) مات"[٦١]. إلا أن الصديق أبا بكر(رضي الله عنه) هدأ من روع الصحابة فقال: " يا أيها الناس: إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات فكان الشعراء أكثر الناس إحساساً بهذه الفاجعة، لذا فاضت قرائحهم بالقصائد النابضة بالأسى واللوعة والحسرة والانفعال الشديد، وكان حسان من هؤلاء الشعراء إذ طالما تغنى في مديح الرسول (ﷺ)، وقد حضي بالرعاية والعطف والمكانة منه وقد خصه الرسول (ﷺ) من بين شعراء المسلمين بالدفاع عن مبادئ الدين ورد كيد كفار قريش ويهود ومنافقي المدينة.

اغْبَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ وكُوِّرَتْ ... شَمْسُ النَّهَارِ واظْلَمَّ العَصْرَانِ

فَالأَرْضُ مِن بَعْدِ النَّبِيِّ كَئِيبَةٌ ... أَسَفاً عَلَيهِ كَثِيرَةُ الرَّجَفَانِ

فَلْيَبكِهِ شَرقُ البِلاد وغَرْبُهَا ... ولْيَبكِهِ مُضَرٌ وكُلُّ يَمَانِ

ولْيَبكِهِ الطَّودُ المُعَظَّمُ جَوُّهُ ... والبَيتُ ذُو الأَسْتَارِ والأَرْكَانِ

يَا خَاتَمَ الرُّسُلِ المُبَارَكُ ضَوءُهُ ... صَلَّى عَلَيكَ مُنَزِّلُ الفُرْقَانِ

ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت"[٦٢] ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. وبعد كلام الصديق أيقن الناس موت النبي (ﷺ) وتحولت ديار المسلمين إلى "بركان يقذف بحمم الندب والبكاء الصادق فاندفعت الألسن تعبر مع العيون عن عواطف مسرعة صارخة صادقة، فقد عصف النبأ الأليم الفادح الواقع بهم فاغبرت له أما عيونهم آفاق السماء، وكأن الشمس قد كورت والنجوم قد انكدرت وتزعزعت الأطام وبكت الأرض والسماء حتى أمست الحياة لفقده حزينة كئيبة" [٦٣]. وهذا ما صورته فاطمة (<) في قولها[٦٤]:

إذن يمثل موت الرسول (ﷺ) علامة فارقة في الخطاب الشعري لدى حسان بن ثابت (رضي الله عنه) فغياب النبي (ﷺ) يغيب الوحي الذي كان يمثل تواصلاً معنوياً روحياً للشاعر، وقد ثبت أن رسول الله (ﷺ) قال لحسان بن ثابت: اهجهم أو هاجهم وجبريل معك . فضلاً عن فقدان المكانة التي كان يتمتع فيها في حياته (ﷺ)، إذ كان يوضع له منبر في المسجد، وفقد شخص الرسول (ﷺ) أدى إلى فقدان الدعم المعنوي الذي كان يقدمه الرسول (ﷺ) . ونجد بأن شاعريته قد خفتت ولم تتفجر قريحته إلا في مراثي قليلة قالها عقب مقتل الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) .

مـــا نقمـــتمْ مـــن ثيـــابٍ خلفـــةٍ ... وعبيـــــدٍ، وإمـــــاءٍ، وذهـــــبْ
قُتِلْـــتُمُ بَـــدّلْ، فَقَـــدْ بَـــدّلَكُمْ ... سَـــنَةً حَـــرّى، وحَرْبـــاً كاللّهـــبْ
فَفَرِيـــقٌ هَالِـــكٌ مِـــنْ عَجَـــفٍ ... وَفَرِيـــقٌ كـــان أَوْدَى، فَذَهَـــبْ
إذْ قتلـــتمْ ماجـــداً ذا مـــرةٍ ... وَاضِـــحَ السُّـــنّةِ مَعْـــرُوفَ النّسَـــبْ

منها قوله[٦٥]:

جعل الشاعر من حدث موت الرسول (ﷺ) محركاً كشف من خلاله الشعور بألم الغياب ومرارة الفراق، فعن طريق غياب شخصه (ﷺ) تتوصل إلى أزمة الحضور الذي عاناه الشاعر، فطغيان وجوده في النص هو دلالة صريحة على غيابه على المستوى المادي، وحضوره (ﷺ) في نص الرثاء جسد الحزن وكشف أزمة الشاعر التي من خلالها تتوصل إلى أزمة المسلمين، هذا في قوله[٦٦]:

مـــا بَـــالُ عَينِـــكَ لا تَنَـــامُ كأنّمَـــا ... كُحِلَـــتْ مآقِيهـــا بكُحْـــلِ الأَرْمَـــدِ
جزعـــاً علـــى المهـــديّ، أصـــبحَ ثاويـــاً ... يـــا خـــيرَ مـــن وطـــئ الحصـــى لا تبعـــدِ
جـــنبي يقيـــكَ الـــترابَ لهفـــي ليتـــني ... غُيِّبْـــتُ قَبْلَـــكَ في بَقِيـــعِ الغَرْقَـــدِ
أأُقِـــيمُ بَعْـــدَكَ بالمَدِينَـــةِ بَيْنَهُـــمْ؟ ... يـــا لَيْـــتَني صُـــبِّحْتُ سَـــمَّ الأَسْـــوَدِ

بـــأبي وأمـــي مـــنْ شـــهدتُ وفاتـــهُ ... في يـــومِ الاثـــنينِ الـــنبيُّ المهتـــدي
فَظَلِلْـــتُ بَعْـــدَ وَفَاتِـــهِ مُتَبَلِّـــداً ... يـــالهْفَ نفســـي لَيْـــتَني لم أُولَـــدِ
أوْ حـــلّ أمـــرُ اللهِ فينـــا عـــاجلاً ... في روحـــةٍ مـــنْ يومنـــا أوْ في غـــدِ
فنقـــومَ ســـاعتنا، فنلقـــى طيبـــاً ... مَحْضَـــاً ضَـــرَائِبُهُ كَـــرِيمَ المَحْتِـــدِ

لقد كان وقع غياب شخص الرسول (ﷺ) عنيفاً على الشاعر، لذا وقف متسائلاً عن حالة اليقظة المستمرة وعدم النوم لا لعلة في العين بل للحسرة على فقدان الحبيب (ﷺ)، وهنا حمل الاستفهام هاجس القلق والاضطراب والتوتر والغربة وعكس الأزمة النفسية للشاعر، كون العلاقة بين الشاعر وبين الفقيد كانت علاقة قوية، فالرسول (ﷺ) في النص الشعري لدى حسان كان ذا أثر فاعل في الحياة، فحضوره في المكان والزمان يمنحها النور والسعادة والطمأنينة والأمل والحياة، في حين يشكل غيابه غياب الحياة وظلامها و فقدان قيمتها، لذا فقد الشاعر شيئاً من الهوية الذاتية نتيجة لفقدان النبي (ﷺ).

لذا لجأ الشاعر إلى الهروب من الواقع محاولاً خلق جو يعيد التوازن النفسي للذات الشاعرة، فكان تمني الموت أولاً قبل أن يرى موت النبي (ﷺ)، فشكل تمني الموت معادلا موضوعيا وهو بمثابة الخلاص من الواقع المعاش المؤلم الذي فقدت فيه الحياة قيمتها وأصبحت خالية من المعنى، لذا فالموت أهون على

أأُقِـــيمُ بَعْـــدَكَ بالمَدِينَـــةِ بَيْـــنَهُمْ؟ ... يـــا لَيْـــتَني صُـــبِّحْتُ سَـــمَّ الأَسْـــوَدِ

الشاعر من الحياة، ولو تأملنا الأسلوب الذي اعتمده الشاعر للتمني وهي (ليست مسبوقة بأداة النداء (يا ليتني) فضلاً عن تكراره، إذ أن النداء والتمني أحدهما يدعم الآخر بقوة ويحفز النص لإبراز حالة الشدة والتوتر العصبي" الذي اعترى الشاعر[٦٧] .

فكان موت الرسول (ﷺ) ذو تجربة فعالة قاسية جعلت أحزان الشاعر عميقة في نفسه أضفت على شعره صور الأسى والألم والحزن الشديد وإحساس بمرارة الحياة وضيقها، مما دفع الشاعر إلى مراكمة ألفاظ شديدة على السامع قصد دفعه إلى استشعار حالة الحزن والقلق والاضطراب النابعة جراء موت النبي (ﷺ) (كالجزع، واللهفة، والتغيب، والتبلد) التي عاناها الشاعر وهي ألفاظ متضمنة معاني الخسارة التي مني بها المسلمون بعد غياب الرسول (ﷺ) فضلاً عما توحيه من دلالة اليأس والغربة، وإلى جانب هذه الألفاظ نجد أساليب الاستفهام والنداء والتمني التي عكست هي الأخرى معاناة الشاعر وأبرزت غربته ولاسيما في قوله:

فضلاً عن قوله[٦٨]:

واللَّـهِ أسْـمَعُ مـا بَقِيـتُ بهالِـكٍ إلا بكيـتُ علـى الـنبيّ محمـدِ

ضـاقتْ بالأنصـارِ البلادُ فأصبحوا سـوداً وجـوههمُ كلـونِ الإثمـدِ

وهذه الحالة القلقة التي بدا عليها الشاعر هنا نتجت عن خوف من مستقبل الأمة، فبعد موت النبي (ﷺ) عصفت الأحداث بالأمة الإسلامية كالردة وحروبها فضلاً عن الفتن التي عاشها الشاعر. فنجد حالة بكاء مستمرة يعلن عنها الشاعر وهي متلازمة مع كل فقيد وميت، فما أن يسمع بميت إلا يجهش بالبكاء وهو يقسم بذلك، فالبكاء هنا كشف لنا عن نفسية منفعلة فقدت رصيدها من التماسك والصبر والسلون فلم تجد ما يؤنسها سوى البكاء[٦٩].

فشكل البكاء معادلا ثانيا إلى جانب معادل (تمني الموت)، وقد يكشف البكاء عن نفس ملتاعة تهزها المآسي وتصرعها الأحداث، فالبكاء على النبي (ﷺ) "كان نتيجة لموت النبي (ﷺ) وما أدى إليه موته من شقاق بين الناس وتفريق بين الجماعة "[٧٠]. وهذه الأبيات كشفت عن اليأس نتيجة لغياب الأمل المتمثل (بالحضور) الحياة التي كانت في عهده وحياته وهنا نلحظ حالة الاغتراب وهموم الشاعر، "فغياب الأمل سببه الاغتراب" [٧١]. وهذه الحالة انعكست من خلال ضيق الأرض بعد غياب النبي (ﷺ) وحلول اليأس محل الأمل الذي قاد إلى عدم انسجام او تلاؤم الشاعر مع واقع موت النبي (ﷺ) مما أدى إلى بروز الظلام وما يدور في معناه (سود) وجوههم، فرسم الشاعر صورة لليأس والإحباط مني بها الشاعر وجماعته (الأنصار) بعد وفاة النبي (ﷺ). وهذا يدل على مدى المكابدة التي كان يعانيها الشاعر من جراء فراق النبي (ﷺ) كما في قوله[٧٢]:

نـبِّ المسـاكينَ أنّ الخـيرَ فـارقهمْ مـعَ الـنبيّ تـولى عنـهمُ سـحرا

مـن ذا الـذي عنـدهُ رحلـي، وراحلـتي وَرِزقُ أهْلـي، إذا لمْ يُؤنِسـوا المَطَـرَا

ذاك الّـذِي لَـيسَ تَخْشَـاهُ مَجَالِسُـهُ إذا الجَلِـيسُ سَـطَا في القـولِ، أوْ عَثَـرَا

كـانَ الضـياءُ، وكـان النـورَ تتبعـهُ بَعْـدَ الإلـهِ، وكـان السّـمْعَ والبَصـرَ

فالشاعر هنا لا يجزع لغياب النبي (ﷺ) وحسب بل للفضائل التي كانت نابعة في حياته، فهو رثاء للنفس التي صارت إلى الفقر والظلام، فالنص اتكأ على ثنائيات ضدية تومئ إلى عالمين متناقضين هما (الحضور، والغياب) ضمن إيقاع الحياة والموت لشخص المرثي، فحياته (ﷺ) كانت تمثل (الخير والرزق والنور) بينما مثل غيابه (الفقر والظلام) . فهذه الثنائيات كشفت لنا المعاناة والحزن والحالة المضطربة لدى الشاعر، وإن استخدام الفعل الماضي (كان) جاء ليعزز الحالة الانفعالية في النص كدال على غياب (النور والضياء والسمع والبصر) وبغياب هذه الأشياء تفقد

الحياة قيمتها وجمالها . فموت النبي (ﷺ) دفع الشاعر إلى إشاعة الظلمة والفقر في النص، مما أدى إلى تشظي الكآبة والسآمة في نفوس المسلمين. والحياة بلا الرسول (ﷺ) معدومة لا قيمة لها، والموت أفضل منها إذ انعدمت فيها أساسيات العيش (الماء، الرزق، السمع والبصر) .

فالشاعر كان يعيش في ظل النبي (ﷺ) في سعادة وطمأنينة مشبهاً حاله كأنه في نهر جار كما جاء في قوله[٧٣]:

خَـيرَ البَرِيّـةِ، إنّـي كنـتُ في نَهَـرٍ أصـبحتُ منـهُ مثـلَ المفـردِ الصّـادي

وبغياب النبي (ﷺ) تنقلب الحالة من سقاء ورواء إلى ظمأ وعطش وهي دلالة صريحة إلى فضائله (ﷺ) في حياته وانقطاعها عن الشاعر في وفاته.

ودلالة النهر هنا تشير إلى العطاء والتجدد والاستمرارية، فإذا بالموت يوقف هذه الدلالة ويحول

بطيبـــةَ رســـمٌ للرســـولِ ومعهـــدُ ... مـــنيرٌ، وقـــد تعفـــو الرســـومُ وتهمـــدُ
ولا تنمحـــي الآيـــاتُ مـــن دارِ حرمـــةٍ ... بهـــا مِنْبَـــرُ الهـــادي الـــذي كـــانَ يَصْـــعَدُ
ووَاضِـــحُ آثَـــارٍ، وَبَـــاقي مَعَالِـــمٍ ... وربـــعٌ لـــهُ فيـــهِ مصـــلى ً ومسجـــدُ
بهـــا حجـــراتٌ كـــانَ ينـــزلُ وســـطها ... مِـــنَ الله نـــورٌ يُسْتَضَـــاءُ، ويُوقَـــدُ
معـــارفٌ لم تطمـــسْ علـــى العهـــدِ آيهـــا ... أتَاهَـــا البلَـــى، فـــالآيُ منـــها تَجَـــدَّدُ
عرفـــتُ بهـــا رســـمَ الرســـولِ وعهـــدهُ ... وَقَبْـــرًا بِهـــا وَارَاهُ فِي التُّـــرابِ مُلْحِـــدُ

حالة الشاعر إلى ظمأ وغربة، وهذا البيت الشعري جسد الحضور والغياب، فالشطر الأول (الحضور) الذي مثل الحياة والسعادة والفيض والعطاء، والشطر الثاني (الغياب) الذي مثل الظمأ والوحدة والشقاء واليأس. وفي داليته الشهيرة يقف الشاعر أمام ديار ورسوم النبي (ﷺ) مصوراً الوحشة والخلوة من نور النبوة، إذ يقول[٧٤]:

افتتح الشاعر هذه المرثية بـ (الأطلال) وهي أطلال مغايرة للجاهلية على الرغم من أن النمط الفني لم يتغير، إلا أن الجديد هنا يكمن في الفكرة العامة التي دارت عليها الأبيات (الموت) فضلاً عن المعاني والمفردات المستمدة من الأفكار الإسلامية. فالوقوف على رسوم قبر، والراحل هو النبي (ﷺ) والآثار التي تحدث عنها الشاعر هي آثار مرتبطة بالحياة الإسلامية الجديدة ومنها (المنبر، المصلى، المسجد والحجرات) وهي مثيرة مضيئة[٧٥].

فالرسول (ﷺ) هنا غائب لكنه غياب لا يتسم بالانسحاب أو البعد تماماً إذ له أثره الذي يحدثه في المكان، فالنور اصبح متشظا في جميع أرجاء الديار

وإن الطلل هنا لم يكن مكاناً باعثاً على الخلاء والوحشة والانطماس بل بقي شاخصاً مثيراً جاءت ديمومة أثارته من خلال طغيان (الأسماء) الدالة على الثبوت، فضلاً عن ذلك (أسلوب النفي) الذي دل على رفض الانمحاء والانطماس، ثم بنية المضارع (يستضاء، يوقد) دلالة على تجدد واستمرار حالة المكان وعدم تغير معالمه، فحضور المكان بهذه الصورة الإيجابية اقتضى (فحضور شخص النبي (ﷺ) وخلوده

ظللتُ بها أبكي الرسولَ، فأسعدتْ عُيون، وَمِثْلاها مِنَ الجَفْنِ تُسعدُ
تذكرُ آلاءَ الرسولِ، وما أرى لهَا مُحصِياً نَفْسي، فنَفسي تبلَّدُ
مفجعةٌ قدْ شفها فقدُ أحمدٍ فظلتْ لآلاء الرسولِ تعددُ
وَمَا بَلَغَتْ منْ كلّ أمْرٍ عَشِيرَهُ ولَكِنّ لنَفسي بَعْدمَا توجَدُ
أطالتْ وقوفاً تذرفُ العينُ جهدها على طللِ القبرِ الذي فيهِ أحمدُ

في الذاكرة المسلمة وإن غاب بشخصه عن الأنظار) . واضحاً جلياً في نفسية الشاعر عندما يصور

إلا أننا نجد ألم الفراق وأثر غياب جسد النبي (ﷺ) حاله وحال عامة المسلمين بصور الأسى والحزن والجزع، كما في قوله[٧٦]:

تهيلُ عليهِ التربَ أيدٍ وأعينٌ عليهِ، وقدْ غارتْ بذلكَ أسعدُ
لقد غَيّبوا حِلْماً وعِلْماً وَرَحمةً عشيةَ علوهُ الثرى، لا يوسدُ
وَرَاحُوا بحُزْنٍ ليس فيهِمْ نَبيُّهُمْ وَقَدْ وَهَنَتْ منهُمْ ظهورٌ، وأعضُدُ
يبكونَ من تبكي السماواتُ يومهُ ومن قدْ بكتهُ الأرضُ فالناس أكمدُ
وهلْ عدلتْ يوماً رزيةُ هالكٍ رزيةَ يومٍ ماتَ فيهِ محمدُ
تَقَطَّعَ فيهِ منزِلُ الوَحْيِ عَنهُمُ وَقَد كان ذا نورٍ، يَغورُ وَيُنْجِدُ

فقد وقف الشاعر متحيراً متلدداً لعظمة حضوره عن طريق إحصاء آلاء الرسول

الكارثة التي حلت به، فنفسه المفجعة التي دفعها (عليه الصلاة والسلام) في مختلف المواقف وفي شتى

الانفعال تحاول إحصاء آلاء الرسول (ﷺ) لكنه لا

يستطيع وهو في هذه الحالة كأنه يهرب من واقعه الراهن

(واقع وفاة الرسول) إلى الماضي محاولاً استشعار

الميادين وهي مهما بلغت في الإحصاء(العد) لا تبلغ معشار حقيقة الفقيد، إذ أن الإحصاء الكامل هنا شيء لا سبيل إليه وغاية ما يبلغه المحصي[٧٧].

جسد هنا الشاعر حزن الجماعة فيما ربط بين غيابه وغياب النور الذي ارتبط ارتباطاً وثيقاً بالهداية من خلال دلالة (نجم الأسعد) وهي علامة يهتدي بها الناس ليلاً فضلاً عن ذلك بأنه توحي أن الناس أكثر ما يحتاجون إلى الدليل ليلاً، فكان حضوره (عليه الصلاة والسلام) يمنح الدنيا النور والضياء الذي بدد عنها ظلمة الضلال والكفر، واستمر في حياته ينشر الهداية والرشاد في كل مكان، وما دلالة لفظة (أسعد) إلا أنها توحي إلى السعادة والعيش السعيد الذي كان يعيشه المسلمون في حياته، وعندما مات أحس المسلمون بغياب ذلك النور والسعادة، لذا كثر تفجعهم عليه وهذا ما دفع الشاعر إلى إشراك مظاهر الكون في الحزن، وإن هذا المعنى مستمد من القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ**﴾ [الدخان: ٢٩].

وبعد أن ينتهي الشاعر من تصوير حاله ينتقل إلى تصوير مشاعر الحزن والأسى للمسلمين عامة في قوله[٧٨]:

فَبَيْنَا هُمُ في ذلكَ النورِ، إذْ غَدَا ... إلى نُورِهِمْ سَهْمٌ من المَوْتِ مُقصِدُ
فأصبحَ محموداً إلى الله راجعاً ... يبكيهِ جفنُ المرسلاتِ ويحمدُ
وأمستْ بِلادُ الحَرْمِ وَحشاً بقاعُها ... لِغَيْبَةِ ما كانَتْ منَ الوَحْيِ تعهدُ
قِفاراً سِوَى مَعْمورَةِ اللَّحْدِ ضَافَها ... فَقِيدٌ، يُبَكّيهِ بَلاطٌ وغَرْقَدُ
وَمَسْجِدُهُ، فالموحِشاتُ لِفَقْتَدِهِ ... خلاءٌ لهُ فيهِ مقامٌ ومقعدُ

ويستمر الشاعر في تصوير مشاعر القلق والاضطراب التي عاشها المسلمون حينما "يأتي إلى مركز القصيدة ونقطة التحول فيها فيقرر عن طريق الاستفهام الذي خرج إلى معنى النفي بأن موت الرسول (ﷺ)هو الرزية العظمى التي تهون أمامها كل المصائب، يحدد ماهية تلك الرزية بأنها انقطاع الوحي، خيط الإمداد الإلهي من عالم السماء إلى عالم الأرض، والنور الذي كان ينشر الرحمة والهداية" [٧٩]. ويؤكد الشاعر انتهاء الصلة بين الأرض والسماء، فكان غيابه (عليه الصلاة والسلام) غياباً للوحي وانقطاعه عن النزول وهي ترتبط منطقياً مع دلالة غياب النور بسبب الموت، أكد ذلك قوله[٨٠]:

وبـالجمرةِ الكـبرى لـهُ ثـمّ أوحشـتْ ... دِيـارٌ، وعَرْصَـاتٌ، وَرَبْـعٌ، وَمَوْلِـدُ

فالموت حال دونه ودون نور النبي (ﷺ) مما خلق جواً موحشاً خالياً من الضوء باستثناء قبره. فالنور يؤدي إلى الإضاءة والضوء جوهر مرئي فهو يمثل الحضور ويدل على الخير والهناء والعدل في حين يمثل الظلام الغياب لأنه عارض ويدل على فقدان الأمل وعدم الأمان[٨١]. فالرسول (ﷺ) تآزر مع النور أين ما حل وارتحل في حياته أو في موته، إلا أن أثر ذلك يحس به المسلمين فهم من يتأثر بغيابه بالدرجة الأولى، (فالمكان) هنا فقد البهجة والسعادة والحياة أصبحت مظلمة بفعل تكرار (الوحشة) التي أعدمت الحياة وكأنه يقول بأن الدنيا بعد النبي (ﷺ) فقد بريقها وحيويتها ونضارتها وجمالها، وإلى جانب هذه الوحشة دخل السكون الذي بدا واضحاً في تلافيف النص الذي نتج عن الوحشة. وشكلت ثنائية (فأصبح/ وأمست) ثنائية تداخلت مع ثنائية الحضور والغياب (الحياة والموت). فشكل (المساء) بؤرة الغياب حيث حلت الوحشة بسبب غياب المرثي فكان النور يمثل حركة وحضوراً وبهجة وسروراً (وهو حياة النبي (ﷺ))، والظلام هنا حمل دلالة الفقد والغياب والموت والوحشة والسكون مما جعل الشاعر يستند إلى عينه لمساعدته في تهدئة اندفاع عواطفه وغليان مشاعره كما في قوله[٨٢]:

فَبَكّـي رَسـولَ اللهِ يـا عَـينُ عَبْـرَةً ... ولا أعرفنـكِ الـدهرَ دمعـكِ يجمـدُ

ومالـكِ لا تـبكينَ ذا النعمـةِ الـتي ... علـى النـاسِ منـها سـابغٌ يتغمـدُ

فَجُـودي عَلَيْـهِ بالـدّموعِ وأعْـولِي ... لفقـدِ الـذي لا مثلـهُ الـدهرِ يوجـدُ

ركز الشاعر في هذه الابيات على صيغة المفرد (للعين) لشعوره الحاد بالوحشة والوحدة فضلاً عن اعتماده أسلوب الأمر التي يؤكد من خلاله حتمية الفقد ووجوب الحزن المستمر دون توقف، ثم يقحم أسلوب الاستفهام بـ (ما) والنفي بـ (ما) يخاطب من خلاله العين بأن تستمر دون توقف البكاء وبغزارة لكي يجسد حالة الحزن الفردي كون المفقود ليس إنساناً عادياً بل هو رسول هذه الأمة وهو خير الناس (عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم). إذن ثيمة الغياب برزت في هذا النص عن طريق موت النبي (ﷺ) وأثر ذلك الغياب في الشاعر أولاً ثم في عامة المسلمين ثانياً.

(١) الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) تحقيق عبد الرحيم محمود، الطبعة الثانية، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٢ : 4/134، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، مطبعة النهضة مصر، القاهرة، (د.ت): ١٣٤/١، أُسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين علي بن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ)، المكتبة الإسلامية، طهران، (د.ت): 2:6

(٢) السيرة النبوية، ابن هشام، تحقيق طه عبد الرءوف سعد، دار الجليل، بيروت، ١٤١١هـ:١٦٢/١.

(٣)حسان بن ثابت، محمد طاهر درويش، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف بمصر، القاهرة: ١٣٢.

(٤)الأعلام، خير الدين الزركلي، الطبعة الثالثة، بيروت، ١٩٦٩م: 2/175.

(٥) حسان بن ثابت شاعر الرسول، سيد حنفي حسنين، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٦٣م : ١٣٥.

(٦)ديوان حسان بن ثابت، تحقيق سيد حنفي حسنين، مراجعة حسن كامل الصيرفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،٣٠٥:١٩٧٤

(٧) الكامل الكامل في اللغة والأدب ، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي المعاصر، القاهرة، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧ م :١٧٩/١.

(٨)شرح ديوان حسان، تحقيق عبد الرحمن البرقوقي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٠ م: ٣٨.

(٩) هو من كبار الامراء في عصر صدر الإسلام، وفد إلى معاوية وشهد معه معارك صفين، فولاه إمارة مصر سنة ٤٧هـ. واستمر في الولاية بعد وفاة معاوية (ﷺ) إلى إن توفي بالإسكندرية سنة ٦٢ هـ. الأعلام: ٢٢٤/٧.

(١٠) ديوان حسان بن ثابت: ٨١.

(١١)تاريخ دمشق، ابن عساكر، تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى، دار الفكر بيروت، لبنان ١٩٩٨: ٤١٨/١٢.

(١٢) الأغاني :١٣٧/٤_ ١٣٨.

(١٣) ديوان حسان بن ثابت: ٣٩٧.

(١٤) صحيح البخاري الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن المغيرة الجعفي البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الطبعة الأولى، دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ: ٢٤٦/٨، رقم الحديث :٣٢٣١.

(١٥) ديوان حسان بن ثابت: ٢٧٧.

(١٦) معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسن احمد بن فارس، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩ هـ، ١٩٧٩م:٢٨٣/٥.

(١٧) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، الطبعة الثالثة، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م: ٩٠/٢-٩١.

(١٨) التعريفات، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تقديم: أحمد مطلوب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد . العراق، ١٩٨٦: ١٢٩.

(١٩) المصدر نفسه: ٦.

(٢٠) شوبنهاور، عبد الرحمن بدوي، ودار العلم للملايين، بيروت، ١٩٤٢ م: ٢٣٦.

(٢١) الموت والعبقرية، عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، ١٩٤٥م: ٦.

(٢٢) الموت في الفكر الغربي، جاك شورون، ترجمة كمال يوسف حسين، مراجعة إمام عبد الفتاح إمام، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٨٤م: ١٦.

(٢٣) الموت والعبقرية، عبد الرحمن بدوي: ٥.

(٢٤) الموت والعبقرية: ٥.

(٢٥) الشعر الجاهلي قضاياه وظواهره الفنية، دار العالمية، د . ت: ١٤٧ .

(٢٦)الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم بن أبي بكر بن أحمد الشهرستاني، تحقيق: محمد سعيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ: ٢/٢٤٠ .

(٢٧) شرح نهج البلاغة، أبو حامد عز الدين بن هبة الله بن محمد بن أبي الحديد المدائني، تحقيق: محمد عبدالكريم، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٨هـ-١٩٩٨م: ١٠٣ .

(٢٨) الكامل في التاريخ، الشيخ عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠هـ)، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م: ١/٢٩٣ .

(٢٩) عيار الشعر، محمد بن طباطبا العلوي، تحقيق طه الحاجري، ومحمد زغلول سلام، المكتبة التجارية الكبرى، القاهرة، 1956م: ٧٣ .

(٣٠) ديوان الحماسة، أبو تمام حبيب بن اوس الطائي، تحقيق عبد المنعم احمد صالح، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م: ١/ ٤١ .

(٣١) الصورة في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري دراسة في أصولها وتطورها، علي البطل الطبعة الثانية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨١: ٢١٥ .

(٣٢)المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى الضبي، تحقيق احمد محمد شاكر، عبد السلام محمد هارون، الطبعة السابعة، دار المعارف، ١٩٨٧م : ٦٩ .

(٣٣) الرثاء في الجاهلية والإسلام، حسين جمعة، الطبعة الأولى، دار معد للنشر والتوزيع، دمشق، ١٩٩١م: ٢٥ .

(٣٤) الرثاء في الشعر العربي، محمود حسن أبو ناجي، الطبعة الثانية، مكتبة دار الحياة، بيروت، ١٤٠٢هـ: ١١ .

(٣٥) الحياة والموت في الشعر الجاهلي، مصطفى عبد اللطيف جياووك، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧: ١٥٥ .

(٣٦) حسان بن ثابت : ٣٢٥ .

(٣٧) ديوان حسان بن ثابت : ٢٠٠ .

(٣٨) مشكلة الحياة، زكريا إبراهيم: ١٦٣ .

(٣٩) ديوان حسان بن ثابت : ١٩٢-١٩٣ .

(٤٠) المصدر نفسه: ٣٠٥-٣٠٦ .

(٤١)حسان بن ثابت حياته وشعره، إحسان النص، دار الفكر، ط٢، ١٩٧٣م: ٣٢٦ .

(٤٢) ديوان حسان بن ثابت : ٣٤٠-٣٤١ .

(٤٣)حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني، الطبعة الرابعة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٥هـ:٦ / ٣٩٢ .

(٤٤) المعجم الصغير ، سليمان بن احمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني، تحقيق، محمد شكور محمود الحاج امرير، الطبعة الأولى، المكتب الإسلامي دار عمار، بيروت، عمان، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥ م :٢ / ١٩٠ .

(٤٥) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د، ت: ٤/٢٦٤ .

(٤٦) الحياة والموت في الشعر الأموي، محمد بن حسن الزير، محمد بن حسن الزير، دار أمية للنشر والتوزيع، الرياض، د . ت: ٢٨٦ .

(٤٧) ديوان حسان بن ثابت : ١١٤ .

(٤٨)خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة دراسة ونقد وتحليل، محمد صادق حسن عبد الله، دار الفكر العربي، القاهرة د . ت: ١٤٣ .

(٤٩) ديوان حسان بن ثابت : ٢٢٩-٢٣٠ .

(٥٠) الرثاء في الجاهلية والإسلام: ٢٤٦ .

(٥١) ديوان حسان بن ثابت : ٢٢٣ .

(٥٢) الحياة والموت في الشعر الأموي: ٤٣٥ .

(٥٣) في جمالية الكلمة دراسة جمالية بلاغية نقدية، حسين جمعة، دمشق، ٢٠٠٢م: ١٠٢-١٠٣ .

(٥٤) شعر الرثاء في العصر الجاهلي، دراسة فنية، مصطفى عبد

الشافي الشورى، الطبعة الأولى، دار نوبار للطباعة، القاهرة، ١٩٩٥م: ١٥٣.

(٥٥) قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، الطبعة الثانية، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، 1965م: ٢٨٧.

(٥٦) الرثاء في الجاهلية والإسلام: ٢١٠.

(٥٧) ديوان حسان بن ثابت : ٢٢٠-٢٢١.

(٥٨) الليل في شعر صدر الإسلام، دراسة تحليلية، منتهى عبد الجبار سلطان الطائي، جامعة الموصل، كلية التربية، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩ م: ١٣٥.

(٥٩) تاريخ الأدب العربي، بلاشير، ترجمة إبراهيم الكيلاني، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٣م: ٤٣٢-٤٣٣.

(٦٠) الرثاء في الجاهلية والإسلام: ١٤٠.

(٦١) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٢٤/٤.

(٦٢) المصدر نفسه: ٢٢٤/٤.

(٦٣) رثاء الرسول (ﷺ) في أشعار الصحابيات (رضي الله عنهن) عبد الله فتحي الطاهر، مجلة آداب الرافدين، العدد (٤٠)، ٢٠٠٥ م: ١٢٥.

(٦٤) زهر الآداب وثمر الألباب، أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، تحقيق زكي مبارك، الطبعة الرابعة، دار الجليل، بيروت، ١٩٧٢ م: ١/ ٤٢.

(٦٥) ديوان حسان بن ثابت : ٢٧٠.

(٦٦) ديوان حسان بن ثابت : ٢٠٨-٢٠٩.

(٦٧) الليل في شعر صدر الإسلام، دراسة تحليلية، منتهى عبد الجبار سلطان الطائي، جامعة الموصل، كلية التربية، ٢٠٠٩م: ١٣٧.

(٦٨) ديوان حسان بن ثابت : ٢٠٩.

(٦٩) خصوبة القصيدة الجاهلية ومعانيها المتجددة: ٢٢٦.

(٧٠) في سيمياء الشعر القديم، دراسة نظرية تطبيقية، محمد مفتاح، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1985م: ١٤٣.

(٧١) موسوعة علم النفس، اسعد رزوق الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، ١٩٧٧م: ٢١٢.

(٧٢) ديوان حسان بن ثابت : ٢٣.

(٧٣) المصدر نفسه: ٢٠٨.

(٧٤) ديوان حسان بن ثابت : ٣٧٧-٣٧٨.

(٧٥) النزوع المثالي في الشعر الإسلامي والأموي، محمود كحيل، الطبعة الثانية، دار القلم العربي بحلب، سوريا، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م: ٧٣.

(٧٦) ديوان حسان بن ثابت : ٣٧٨.

(٧٧) الهجاء والهجاءون في الجاهلية، محمد محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، المطبعة النموذجية، ١٩٤٨م: ٢٣٦.

(٧٨) ديوان حسان بن ثابت : ٣٧٨.

(٧٩) المراثي الشعرية في عصر صدر الإسلام، مقبول علي بشر النعمة، الطبعة الأولى، دار صادر بيروت، لبنان، 1997م: ٦١.

(٨٠) ديوان حسان بن ثابت : ٣٧٩.

(٨١) مفهوم الضوء والظلام في العرض المسرحي، جلال جميل محمد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠٠٢م: ١١٦.

(٨٢) ديوان حسان بن ثابت : ٣٧٩

التداخل الدّلالي في المصطلحات النحويّة عند أبي بكر بن ألانباري (ت ٣٢٨ هـ)

أ . م . د .أحمد خليل حبيب

الملخص

إنّ التداخل الدلالي في المصطلحات النحوية بات امراً شائِكاً عند الدارسين للمصطلح النحوي ، فضلاً عن المتعلمين ، إذ الناظر الى الدراسات المصطلحية يجد جهوداً تضافرت في إبراز المصطلح النحّوي بصورته الحقيقية ؛ ولاسيما ان هذه المصطلحات مفاتيح لدراسة الأصول والقواعد والمسائل النحوية في فهم النصوص التابعة لها ، والتركيز على مادة الدراسة وهي تناول العلاقة بين المصطلحات النحوية ومفاهيمها التي نتجت عن بعض منها اضطراباً وارباكاً لدى الدارسين والمتعلمين ؛ وبناءً على ذلك فقد انتخبت ثلاثة مصطلحات نحوية وهي (الفعل الواقع وغير الواقع ، التفسير ، اسم الإشارة) عند عالم لغوي نحوي ، هو أبو بكر بن الانباري (ت ٣٢٨ هـ) : إذ اعتمدت الدراسة على مسلكين الأول منها توثيق تناول النحاة لهذه المصطلحات المختارة ، عارضاً لرأي ابن الانباري في هذه المصطلحات من جهة التفكير والتحليل والنقد لها ، اما المسلك الثاني فكان في بيان التداخل الدلالي لهذه المصطلحات عند ابن الانباري ، والاشارة إلى الخلط والاضطراب في استعمال هــذه المصطلحات ودلالة مفاهيمها لدى الدارسين والمتعلمين .

Semantic Interference in Grammatical Terms
Abi Bakr ibn al-Anbari (328 e)
Summary

The semantic overlap in the grammatical terminology is becoming a dialectical among the learners of the grammatical term as well as the learners, as the researcher of the terminological studies finds concerted efforts in highlighting the grammatical term in its real form, especially that these terms are key to the study of grammatical issues and rules in understanding the texts of them. The relationship between grammatical terms and their concepts, which resulted in some of them confusion and confusion among learners and learners. Accordingly, three grammatical terms (the actual verb and the non-reality, the interpretation, the name of the sign) were chosen in a major linguistic world, The second course was to highlight the semantic interference of these terms in Ibn al-Anbari 's view of these terms in terms of analysis, thinking, explanation and criticism. Al-Anbari, and the reference to confusion and confusion in these terms and concepts of learners and learners.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الانبياء والمرسلين نبينا محمدٍ وعلى اله واصحابه والتابعين له بإحسان الى يوم الدين ، اما بعد :

مادة هذه الدراسة هي المصطلحات النحوية التي تداخلت دلالاتها ومفاهيمها ؛ إذ إن المصطلح النحوي يحتل الصدارة الاولى في دراسة المسائل والقواعد التي تتعلق بعلم النحو العربي فهو مفتاح لفهم النصوص التي تناولتها الدراسات اللغوية والنحوية ؛ ولذلك تضافرت جهود في دراسة المصطلح النحوي سواء أكانت هذه الدراسة على مستوى أفراد أم مجاميع لغوية ، فضلاً عن مؤسسات تبنت إبراز الدراسة الاصطلاحية على أحسن وجه ، وما زالت الدراسات قائمة إلى يومنا هذا ؛ الأمر الذي دفعني في دراسة بعض المصطلحات النحوية مبرزاً العلاقة بين هذه المصطلحات ومفاهيمها ؛ إذ اخترت بعضاً من هذه المصطلحات وهي ؛ (الفعل الواقع وغير الواقع ، التفسير ، اسم الإشارة) ، وتحديداً عند عالم نحوي نحرير هو أبو بكر الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) ، والسبب الذي جعلني انتخب هذه المصطلحات النحوية عند أبي بكر الأنباري هو استكمال حقها من التحليل والتفسير ، فضلاً عن الخلط والتداخل الدلالي في مفاهيم هذه المصطلحات وهو موضوع دراستنا هذه .

وقد اخترت هذه المصطلحات الثلاث لوجود الاشكالية والتداخل الدلالي فيها مما سبب اضطراباً وارتباكاً في مفاهيمها لدى الدارس فضلاً عن المتعلم .

اولاً : مصطلح الفعل الواقع وغير الواقع

قال الخليل " الوقْعُ: وقْعَةُ الضَّرب بالشّيء. ووَقْعُ المطرِ، ووقْعُ حوافِرِ الرآية، يعني: ما يُسْمَعُ مّن وقعهِ . ويقالُ للطّير إذا كان على أرضٍ أو شجرٍ: هنّ وقوع ووقعٌ . قال الرّاعي : كأنّ على أشباها حين شوّلت .... بأذنابها قبّا من الطّير وقّعاً ... ويقال: وقعت الدّوابَّ والإبلِ ، أي: ربَضَتْ تشبيهاً بوقوع الطّير" [١] وفي الاصطلاح ((ما لا يتم فهمه بغير ما وقع عليه وقيل: هو ما نصب المفعول به))[٢]

يُنسب هذا المصطلح (الفعل الواقع وغير الواقع) بدلالته واستعماله فضلاً عن تسميته إلى الكوفيين ؛ بيد أن هذا المصطلح ذكره الخليل في معجمه بقوله: ((اسم كل شيء يلعق، من حلاوة او

---

(١) العين (وقع): ٢/ ١٧٦، وينظر: القامــوس المحيط (وقع): ٣/ ٩٦ .

(٢) التعريفات: ٢٠١ .

دواء . لعَقتُه أَلْعَقهَ لعْقاً، لأتحرك مصدره ؛ لأنه فعلٌ واقع، مثل هذا لا يحرك مصدره، وأما عجلَ عجلاً وندمَ ندماً فيحرك، لأنك لا تقول: عجلتُ الشيء ولأندمته ؛ لأن هذا فعلٌ غير واقع))[١] .

ومن قراءتنا لبعض نصوص كتاب العين وجدنا ان الخليل يستعمل مصطلحات مرادفة لمصطلح (الواقع وغير الواقع) ومنها (المجاوز)، ويعني بـ (الفعل المتعدي [٢] ، بل صرح بـ (المتعدي واللازم) فـــي معرض حديثه قائلاً ((المْعك: دلكُك الشيء في التراب ٠ ولتمعك: الفعل اللازم، والتمعيك متعدٍ)) [٣]

أمـا سيبويه فقد استعمل مصطلحا عاماً وهـــــو (التعدي) [٤]

ثم أطـلق عليه مصطلحاً خاصاً (الفعل المتعدي)[٥] . فذكر مرادفات أخرى لهذا المصطلح وهي (المجاوز) [٦] والفعل الذي انفّذ الى مفعول) [٧] ، واما مصطلح (الفعل اللازم)، فقد تباينت استعمالات النحويين له، ومنهم سيبويه [٨] إذا استعملت طائفة كبيرة من البصريين مصطلح (غير المتعدي) [٩] وهي تزيد الفعل اللازم، وأن المبرد اصطلح (الفعل الحقيقي)، قائلاً: لا فمنها الفعل الحقيقي الذي لا يتعدى الفاعل الى مفعول . وهو " قام" في قولك: قام زيد ، وجلس عمرو، وتكلم خالد، فكل هذا وما

(٣) العين: ١/ ١٦٦، وينظر: ٢٥:٢ وينظر المصـطلح النحوي عند ابـــي بكر بن الانباري (٣٢٨هـ) (رسالة) : ١٤٥

(٤) ينظر العين: ٢٨٨/١، ٤ :٤٥١ .

(٥) العين: ٢١٠/١، وينظر: المصطلحات النحوية واللغوية في كتاب العين: ٦١، د٠ صاحب أبو وضاح، مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد الاول، ١٩٩٤م ٠

(٦) ينظر: الكتاب: ١/ ٤٢، والمقتضب: ٧١/١، والأصول: ٢١١، والجمل ٤٧، واللمع: ٢٧ ٠

(٧) ينظر : الكتاب : ١/ ٣٣ ٠

(٨) ينظر: المصدر نفسه: ٣٣/١ ٠

(٩) ينظر: المصدر نفسه :١٤٨/١ ٠

(١٠) ينظر: المصدر نفسه :١/ ٣٣ ٠

(١١) ينظر: المقتضب: ١/ ٧١، ٣/ ١٨٧، واللمع: ٣٤، والمفصل: ٢٥٧ ٠

كان منه غير متعد)) [١] فضلاً عن هذا ذكر مصطلحاً غريباً أسماه (الممتنع) [٢] وقد وجدنا ابن جني من النحويين يسميه بـ (الفعل الواصل)، أي الواصل بحروف الجر، وذلك نحو مررت بزيد ورغبت في عمرو ، وعجبت من محمد [٣] .

ومن هنا نرى ان هذا الاصطلاح عند ابن جني نادر الاستعمال، علماً ان دلالته وتسميته هذه بناء على معنى يفهم من سياق الكلام، واحتضنه ابن جني لنفسه لمناسبة لفظه معناه .

أما الكوفيون وعلى رأسهم الفراء فإنه استعمل مصطلحي الفعل الواقع وغير الواقع قائلاً: ((وما كان أوله واواً مثل وزيت، وورثت، ووجلت، فالفعل فيه أسماً كـان فيه او مصدراً مكسور، مثل ٹ ٹ چ ج چ چ چ [٤] وكذلك يَوْحَل ويُوحَل المفعل منهمل مكسور لي الوجهين ، وزعم الكسائي أنهُ سمع مَوْجَل . قال الفراء : وسمعت أنا موضع . وإنما كسر واما أوله الواو ، لان الفعل فيه إذا فتح يكون على وجهين . فأما الذي يقع فالواو منه ساقطة مثل وَزَن يَزِنُ والذي لا يقع تثبت واوه في يفعل . والمصادر تستوي في الواقع وغير الواقع)) . [٥]

وقد تبع الكوفيون الفراء في التعبير بهذين المصطلحين: كأبن السكيت [٦] ، وأبي العباس ثعلب [٧] ، والطبري [٨] ، وهم رجال المذهب الكوفي . ويرد هذان المصطلحان (الواقع وغير الواقع) عند أبي بكر بن الانباري في استعماله مصطلح (الواقع) وما تعرف منه نحو (أوقع، موقوع)، مقابلاً للازم ورديفاً للمتعدي، وذلك مستفاد من العلاقة الوثيقة بين المعنى اللغوي لهذا المصطلح ومدلوله الاصطلاحي؛ إذ إن هذه العلاقة والصلة بين هذين المدلولين كان لهما الفضل في اختيار مصطلح (الواقع) . وكأن هناك

(١) المقتضب: ٣/ ١٨٧ .

(٢)) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٨ .

(٣) ينظر: الخصائص: ١٠٦٨، وتطور المصطلح النحوي البصري من سيبويه حتى الزمخشري ٣٣

(٤) الكهف / ٤٨

(٥) معاني القرآن (للفراء): ٢/ ١٥٠

(٦) ينظر: اصلاح المنطق: ٢١٥

(٧) ينظر: مجالس ثعلب: ٢/ ٦٥٦

(٨) ينظر: جامع البيان: (الطبري) : ٣٤٧/٦، ٣٦٠٧

شيئاً على شيء لأحداث أثر في المسقط عليه ولذا ورد الواقع من سقوطه ووقوعه على المفعول به [١]

ووجدناه يستعمل مصطلح غير (الواقع) في مواطن أثناء شرحه وتأليفه فضلاً عن تعليلاته وتوجيهاته ، مـــن ذلك ما جاء في توجيهه لقوله تعالى: چ ڭ ڭ ۇ ۇ چ [٢] ، تعني : سَلْ ربك سبيلاً الى هذه العين . " وهذا عندنا خطأ ، لأنه لو كان كذلك لقطعت اللام من السين ولم توصل بها ولبقي (تُسمى) غير واقع على منصوب ، وسبيله ان يصحبه المنصوب ، كقولك : المرأة تُسمى هنداً ، والجارية تسمى جملاً . . . . [٣]

فالناظر في مصطلحي (الواقع وغير الواقع) يجد ان هذين المصطلحين ابتدعهما ابن الانباري بناءً على عنصر الاشتقاق ؛ اذ هما من المصطلحات والالفاظ القابلة للاشتقاق (أي غير جامدة) .

وبالرجوع الى التحليل المصطلحي للمكونات المفهومة الرئيسة التي تنضوي تحتها كل المفاهيم الجزئية والمستترة ، فالشكل الخارجي للمصطلح كان طريقاً لسبر اغوار المعنى الداخلي (أي الشكل والمحتوى) ، وبمعنى أدق ، الوقوف على المعنى الحرفي المرتبط بعلاقة تناسبية مع المعنى الجديد ، وهذه المعاني الجديدة لا تصل كتبها الا بعد سلسلة تحويلات اشتقاقية كما فعل ابن الانباري ، يتم الترابط في عملية الابتكار او الابتداع الاصطلاحي في المصطلح نفسه [٤] .

و لِئلا تتداخل المصطلحات ، فقد حسُن ابن الانباري في اهتمامه بالصحة اللغوية في اختياره لهذين المصطلحين (الواقع وغير الواقع) ، بيد انه اشكل على القارئ والدارس اختياره هذا ؛ ذلك ان التحليل النحوي للمصطلحات هدف من اهداف الدراسة الاصطلاحية في الوقت الحاضر ، فضلاً عن الدقة المتناهية في طبيعة مراد الواضح للمصطلح النحوي ، وبناء على هذا الفهم الدقيق ، فأرى ان مصطلح (الواقع وغير الواقع) قد تداخلا مع

(٩) المصطلح الصرفي في العين والكتاب ودقائق التصريف ٠ ١٨٢ـ ١٨٣، والمصطلح النحوي عند أبي بكر بن الانباري (٣٢٨هـ) (رسالة) ١٤٧

(١) الانسان / ١٨

(٢) الزاهر : ٢٠٨/٢ .

(٣) ينظر : مباحث المصطلح النحوي في حواشي شرح القطر (القبشي ، السجاعي ، الالوسيات) دراسة نقدية (رسالة) ١٠

مصطلحي (الحال) ،(والاستقبال) ، فعن عيسى بن عمر : " وانما ذكرنا هذا لان ناساً من النحويين يفرقون التنوين وغير التنوين ، ويفرقون اذا لم ينّونوا ..... ويجعلون اللازم وما اشبهه نصاً اذا كان واقعاً .

ويجرونه على الأول اذا كان غير واقع " [١] ؛ اذ المشتهر عند النحاة المتقدمين كما ذكرها هو (المتعدي واللازم) ، بيد ان عيسى بن عمر قصد امراً اخر الا وهو (الحال والاستقبال) ، ويتضح ذلك بقول ابي علي الفارسي " الواقع هنا الحالُ وغير الواقع هنا الاستقبال " [٢] ، فالواقع هو فعل الحال وغير الواقع هو فعل الاستقبال ، فحكم الحال يختلف عن الاستقبال عند عيسى بن عمر ؛ لذا قال الرضي : " وقال عيسى بن عمر : اذا كان علاجاً وجب رفعه على الابتداء حالاً كان او مستقبلاً واما غير العلاج ، فأن كان حالاً وجب نصبه على الحال ، وان كان مستقبلاً وجب اتباعه للأول ...." [٣] ، فنرى ان الرضي الاستراباذى استعمل (الحال والاستقبال) عندما فسر كلام عيسى بن عمر ، والناظر في النصين يجد مصداق ما اشرنا اليه من التداخل في المصطلحات النحوية [٤] .

واستعمل ابن الانباري مصطلحي (ينصب) و (لا ينصب) ، قاصداً بالأول اللازم والثاني المتعدي [٥] ، وهو مصطلح عام للناظر اليه في الوهلة الأولى ، اذ ربما يذهن الذهن بـ (النصب) الذي هو من المصطلحات التي ابتكرها أبو الاسود الدؤلي [٦] .

إذن لابد من تمثيل كل مفهوم او شيء بمصطلح مستقل ، والناي عن الاشتراك اللفظي الذي من شأنه ان يوقع في الخلط واللبس ، فضلاً عن التداخل الدلالي في المصطلح ومفهومه .

ثانياً : مصطلح التفسير

التفسير في اللغة مشتق من (فسر) ، وهو من الايضاح والبيان [٧] ، ويراد به في الاصطلاح بأنه "

• أي العارف والمخالط ، والعالم .

(١) شرح الرضي : ٣٠٥/٢ .

(٢) ينظر : موسوعة المصطلح النحوي من النشأة الى الاستقرار : ١٢٩/١ .

(٣) ينظر : الزاهر : ٤٩٩/١ ، والمصطلح النحوي عند ابي بكر ابن الانباري ٣٢٨ (رسالة)

(٤) الكتاب : ٢١/٢ .

(٤) ينظر : الواضح في النحو والصرف : ٢٨ – ٣١ .

(٥) التعليقة على كتاب سيبويه : ٢٣١/١ .

(٥) ينظر : مقاييس اللغة (فسر) : ٥٠٤/٤ .

اسم نكرة فضله يرفع ابهام اسم ، او اجمال نسبه " [١] .

اطلق هذا المصطلح (التفسير) على اكثر من باب نحوي سواء كان الاطلاق والاستعمال عند البصريين او عند الكوفيين تبعاً لدلالة هذا المصطلح غير المحدودة ، وهذا ما سنبرزه الان .

اما البصريون فقد استعملوا هذا المصطلح بمعناه اللغوي والاصطلاحي وعلى راسهم الخليل [٢] ، وتابعه سيبويه [٣] ثم ابن السراج [٤] .

وبالرجوع إلى أقوال هؤلاء وتوجيهاتهم النحويه نجد أن سيبويه مثلاً ذكر مصطلح (التفسير) بلفظه وهو يريد مصطلح (المفعول لأجله) قائلاً " هذا باب ما ينتصب من المصادر لأنه عذر لوقوع الامر فأنتصب لأنه موقوع به ، ولأنه تفسير لما قبله لِمَ كان ، وليس بصفه لما قبله ولا معه فأنتصب كما انتصب درهـم في قولك : عشرون درهماً " [٥] ، وتابعه ابن السراج في استعماله هذا المصطلح بهذه الدلالة [٦] .

وخرج هذا المصطلح (التفسير) ألى باب نحوي ثانٍ وهو(التمييز) ، فذكره سيبويه [٧] ، والاخفش سعيد بن مسعدة (ت ٢١٥ هـ) في معاني القرآن ، " وقال (ثلاث مئة سنين) ..... فإن كانت السنون تفسيراً (كذا) للمئة في جر ، وإن كانت تفسير الثلاث فهي نصب " [٨] ، والى هذا المعنى أشاد المبرد [٩] ، وابن السراج [١٠] ، وغيرهم [١١] .

اما الكوفيون فقد اشتهر عندهم هذا المصطلح (التفسير) شهرة واسعة الامر الذي جعل الباحثين منذ القدم يعدونـــه مصطلحاً كوفياً اذا أرادوا التمييز، وقد تتبع (د. سعيد جاسم الزبيدي) هذا المصطلح عند البصريين والكوفيين مُقرراً ان مصطلح (التفسير) بمعنى (التمييز) ليس مصطلحاً

(١) الكتاب : ٣٦٧/١

(٢) ينظر : الأصول في النحو : ٢٤٩/١ .

(٣) ينظر : الكتاب : ١٦٠/٢ .

(٤) معاني القرآن : ٦٣٣/٢

(٥) ينظر : المقتضب : ٣٤/٣ .

(٦) ينظر : الأصول في النحو : ٢٧٢/١ .

(٧) ينظر : الجمل : ١٠٨ ، والتفاحة : ٣٤ .

(٦) شرح الحدود النحويه : ١١٥ ، وينظر : أوضح المسالك : ٣٦٠/٢ .

(٧) ينظر : العين (فسر) : ٢١٧/٧

(٨) ينظر : الكتاب : ١٦٠/٢

(٩) ينظر : الأصول في النحو : ٣٩٩/١ ، ٢٧٢

كوفياً على ما شاع عند الدراسين [١] ، وانما هو مـــن المصطلحات المشتركة بين البصريين والكوفيين والنحاة الاخرين الذين تأثروا بهم [٢] .

وقد عبر الكوفيون (بالتفسير) كثيراً في مصنفاتهم ، قال الفراء عند إعرابه قوله تعالى إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَىٰ بِهِ ۗ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٩١﴾ [٣] ، قال " نصب الذهب ، لأنه مفسر لا يأتي مثله الا نكرة ، فخرج نصبه كنصب قولك : " عندي عشرون درهماً " ولك خيرها كبشاً " [٤] ، وقد تابع الكوفيون الفراء فـــي التعبير بمصلح (التفسير) ؛ ومن هؤلاء ابن السكيت [٥] ، وثعلب [٦] ، والطبري [٧] .

وهكذا شارك هؤلاء النحاة من الكوفيين الفراء في اطلاقه مصطلح (التفسير) وهو يريد به مصطلح (التمييز) ، ثم يضيف الفراء معانٍ ودلالات أخرى لمصطلح (التفسير) ، بناءً على ما ترجح عنده من فهم واسع لسياقات متنوعه ومختلفة ؛ اذ يطلق مصطلح (التفسير) وهو يريد بـــه(المفعول لآجله)[٨]، او(المفعول معه) [٩] ، او (البدل) [١٠] .

اما استعمال مصطلح(التفسير)عند إبي بكر بن لانباري مراداً به (التمييز)، فبناءً على ما شاع وتعارف عليه البصريون والكوفيون ، فقد ذكر تمييز الجملة ، ومن ذلك قوله في تعليقه على قوله تعالى وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ۚ فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا ﴿٤﴾ [١١] ،

(٨) ينظر : احمد مكي الانصاري أبو زكريا بالفراء ومذهبه في النحو واللغة / ٤٤٨ ، وابن السكيت اللغوي محي الدين توفيق إبراهيم وشوقي ضيف بـ (المدارس النحويه : ١٦٦ – ١٦٧ ، وخديجة الحديثي : المدارس النحوية : ٢٣٧ .

(٩) من إشكاليات العربية (المصطلح النحوي – رواية اللغة) : ٦٨ – ٧٤ .

(١٠) ال عمران / ٩١ .

(١١) معاني القرآن : ٢٢٥/١

(١٢) ينظر :اصلاح المنطق : ٢٩٩ .

(١٣) ينظر : مجالس ثعلب : ٢٦٥ .

(١٤) ينظر : جامع البيان : ٥٥٩/١ .

(١) ينظر : معاني القرآن : ١٧/١

(٢) ينظر : المصدر نفسه : ٤١٧/١

(٣) ينظر : المصدر نفسه : ٥٨/٣ .

(٤) النساء/ ٤

الوقف على (شيء منـــــه) قبيح ؛ لان (النفس) تنصب على التفسير ، وكذلك قوله تعالى فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ [١] ، الوقف على (وقري) قبيح ؛ لان (العين) تنصب على التفسير " [٢] ،

وكذلك قوله معلقاً على بيت امرئ القيس :

كبكر المقاناة البياضِ بصفرة غداها نميرُه

غـــير محللِ [٣]

" ومن نصب البياض نصبه على التفسير، كما تقول: مررت بالرجل الحسن وجهاً". [٤]

وذكرت الباحثة (صبيحة حسن طعيس) ان أبا بكر بن الانباري لم يقف في استعماله اصطلاح (التفسير) عند هذه الدلالة ، وانما كان يستعمله ويريد به المفعول لأجله ، وقد جاء بهذا المعنى في قوله متحدثاً عن قوله تعالى وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ [٥] : " والوقف على (اذانهم) غير تام ؛ لان (حذر الموت) منصوب على التفسير وهو متعلق بـ (يجعلون) [٦] " .

وعندما تتأمل هذا " الاطلاق لمصطلح التفسير " بهذين المفهومين والدلالتين في بابين مختلفين ، فالأول منهما (التمييز) وثانيهما (المفعول لاجله) وكل له بابه وموضوعه الذي وضع له في إقامة علم النحو .

ويتضح هذا التأمل جلياً في التداخل الدلالي لهذا المصطلح (التفسير) عند ابن الانباري في وروده في اكثر من باب نحوي بلفظ واحد مما اورث اضطراباً وخلطاً لدى الدارسين في مفاهيم هذا المصطلح ؛ اذ لا يمكنهم التمييز بين مفاهيم ودلالات هذا المصطلح في المسائل النحوية .

ويسبب هذا الخلط والتداخل الدلالي في هذا المصطلح ، فقد عّد (د . سعيد جاسم الزبيدي)

---

(٥) مريم / ٢٦

(٦) إيضاح الوقف والابتداء : ١/١٣٢ ، وينظر : معاني القرآن (الفراء) : ٢/١٦٦ ، والمصطلح النحوي عند ابي بكر بن الانباري (رسالة) : ٦٤ .

(٧) ديوانه : ٤٣

(٨) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : ٧٠

(٩) البقرة / ١٩

(١٠) إيضاح الوقف والابتداع : ١- ٥٠١ ، وينظر ؛ الجامع لاحكام القرآن : ١- ٢٤٠ .

ان مصطلح (التفسير) من المصطلحات القلقة ، اذ انها مضطربة الدلالة والاستعمال [١] .

وربما الذي سوغ لابن الانباري اطلاقه هذا المصطلح بهذين المفهومين هو وجود فروق دلالية دقيقة وجدت في ذهنه وعقلة .

ثالثاً : أسماء الإشارة :

الإشارة في اللغة المشار إليه بيده ؛ (أَوْمَأَ) كأَشَار، عن أبن السكيت (ويكون) ذلك بالكفّ ، والعين والحاجب [٢] ، وفي الاصطلاح ؛(ما وضع لمُشار إليه ، أي لمعنى يُشار إليه إشارة حسية بالجوارح والأعضاء)[٣] ؛ وقد استعمل البصريون له ثلاثة مصطلحات ، فتارة يطلقون (الاسم الميم) ، وهذا ما ذكره سيبويه بقوله ؛ ((وأمّا الاسماء الميمية فتحوها ؛هذا وهذان وهاتان وهؤلاء وذلك وتلك ، وذاتك وأولئك، وما أشبه ذلك، وإنما صارت معرفة لأنها صارت أسماء إشارة إلى الشيء دون سائر امته))[٤] ؛ ثم استعمله المبرد [٥] ، وابنُ سراج [٦]، والزجاجي[٧]، والزمخشري [٨]، وتارة يطلقون عليه (اسم إشارة)عند جميع البصريين[٩] ، ومرة يسمونه بـ (الأسماء غير المتمكنة) ، وهذه التسمية تعود الى المبرد ؛ أذ يقول ((ما يمال وينصب من الاسماء غير المتمكنة والحروف ، أعلم انهم قالوا ذا عبدالله وهذا عبدالله))[١٠] .

أما الكوفيون فكانوا على غرار من سبقهم من نحاة البصرة في عدم استقرار هذا المصطلح عندهم ، من ذلك ما أشار إليه الفرّاء في استعمال العبارة(هذا وذلك وأخواتها) ،

---

(١) ينظر : من إشكاليات العربية (المصطلح النحوي – رواية اللغة) : ٣٦ – ٣٨ .

(٢) ينظر : العين (شور): ٦٨٠ / ٦ ، تاج العروس (شور) : ٢٥٧/١٢

(٣) حاشية الصبان على شرح الاشموني : ١٣٨/١ ، وينظر : كشاف إصلاحات الفنون : ٧١/٤

(٤) الكتاب : ٥/٢ ، ينظر : ١٨٩/٢ ، ٢٢٨/٤

(٥) ينظر : المقتضب : ٢٠٦/٤ .

(٦) ينظر : الأصول في النحو : ٣١/٢ .

(٧) ينظر : الجمل : ١٤ .

(٨) ينظر : المفصل : ١٩٧ .

(٩) ينظر : المقتضب : ٢٠٦/٤ ، واللمع في العربية : ١٠٤ – والمفصل ؛ ١٠٤ .

(١٠) المقتضب : ٥٢/٣ .

للدلالة على أسماء الإشارة قائلاً(.... والعرب تنصب الاسم المعرفة في هذا وذلك وأخوتها – فيقول ؛ هذا عبدُ الله الأسد عادياً، كما يقولون ؛ أسداً عادياً[١] ، فنجد ان الطبري استعمل مصطلح (إشارة) للتعبير عن هذه الأسماء ؛ إذ اختزلها بلفظة واحدة[٢] . ويبدو إن ابن الأنباري قد ابتدع مصطلحات جديدة للتعبير عن مصطلح (اسم الإشارة) ، ما فأطلق عليه مصطلح (أسماء الإشارات) ، قائلاً ((وألف أسماء الإشارات أصليه تستأنف بالضم ، كقولهم ؛ أولياء ، وأولائكم ، وأولئكن ....))[٣]

وصرح ابن الانباري بمصطلح (إشارة)في تعليقه على قوله تعالى﴿ حم ، عسق﴾[٤] وقف حسن ثم ابتدئ [٥] فذلك إشارة الى ﴿ حم ، عسق﴾ [٦]

ويظهر إن ابن ألانباري قد تأثر بالفراء في استعمال مصطلح (التقريب)[٧] . ، وهو أعمال (أسماء الإشارة) عمل (كان واخواتها) فتحتاج الى مرفوع ومنصوب بعدها ، مثل (هذا القمر نوراً) [٨] ، وعلامته ان يصح في الكلام إبقاء الإشارة وحذفها [٩] ، ويشترط فيما بعد اسم الإشارة اذا كان معرفاً بالألف واللام ان يكون اسم جس او يكون واحداً لا نظير له [١٠] ، مثل الشمس والقمر [١١] .

وقد تعرض ابن الانباري لقوله تعالى ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ

(١١) معاني القرآن : ١٦٨/٢ .

(١) ينظر : جامع البيان : ١٠٧/١ .

(٢) كتاب شرح الالفيات : ٤٥٨ .

(٣) الشورى / ١ – ٢

(٤) الشورى / ٣

(٥) إيضاح الوقف والابتداء : ٨٨٠/٢

(٦) ينظر : معاني القرآن (الفراء) : ٢٣٢/١

(٧) ينظر: أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة : ٤٢٠

(٨) ينظر : مجالس ثعلب : ٤٢٧ وأبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة : ٤٢٠ .

(٩) ينظر : مجالس ثعلب : ٥٤ ، وأبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة : ٤٢٠

(١٠) ينظر : أبو زكريا الفراء ومذهبه في النحو واللغة : ٤٢٠ .

يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾ [١] ، ومن قرأ [٢] (قول الحق) نصبه على وجهين : احدهما ان ينصب على المصدر كأنه قال (أقول قولاً حقاً) والوجه الاخر ان ينصبه على خبر (ذلك) ويجعل ذلك في مذهب (كان) كما تقول: (هذا زيدٌ اخاك)، و (هذا الخليفةٌ قادماً) ، فتنصبه لأنك قرنت بـ (هذا وذلك) الفـــعل ، ونصبت به كما تنصب بـ (كان) [٣] فاستعمال مصطلح ٠اسم الإشارة) بهذه الوجوه التي اطلقها واستعملها ابن الانباري في عرضه وتحليله ونقده للمسائل النحويه يشكل ارباكاً في الدرس النحوي والبحث العلمي ؛ اذ أراد ان يثبت ان لاسم الإشارة عملاً ثانوياً غير الذي وضع له في اصل وضع النحو العربي فهي قد عملت عمل الأفعال في الرفع والنصب وتشابهت (كان واخواتها) ، ذلك انها انتقلت من الاسمية الى الفعلية ، وربما نستطيع القول في باب الاتساع في المصطلحات النحوية ، بيد انه يترتب عليه تداخل في الالفاظ والمصطلحات خلا المسائل النحوية فضلاً عن ان العامل في كان واخواتها هو عامل لفظي ، وهنا في اطلاق مصطلح التقريب على اسم الإشارة عامل معنوي ، وانى التوازن والتوافق بين العامل اللفظي والعامل المعنوي من جهة العمل والتأثير في الاحكام والقواعد والأصول النحوية ، فهذه الظاهرة لسنده المصطلح (اسم الإشارة) بصوره المتعددة التي ذكرها ابن الانباري توضح إشكالية سائدة في التداخل الدلالي لبعض المصطلحات النحوية .

الخاتمة

١- التداخل الدلالي في المفاهيم النحوية للمصطلح الواحد او المعاني المتعدد للشكل الواحد جعلت ابن الانباري يلجأ اليها تبعاً لوجود فروق دلالية دقيقة وجدت في ذهنه وعقله .

٢- تبين لي أن عدم تمثيل كل مفهوم أو شيء بمصطلح مستقل شأنه أن يُسبب الخلط واللبس للدارس والباحث فضلاً عن المتعلم .

٣- إنّ سبب وقوع ابن الأنباري في هذا التداخل الدلالي لبعض المصطلحات النحوية ، ومنها التي انتخبناها

---

(١١) مريم / ٣٤

(١٢) قرأ عاصم وابن ابي إسحاق وابن عامر (قول الحق) بالنصب ، وقرأ الباقون بالرفع ينظر التبصرة في القراءات : ٢٥٦ ، والتفسير في القراءات السبع : ١٤٩ .

(١٣) إيضاح الوقف والابتداء : ٧٦٣/٢ – ٧٦٤ ، ونحو القراء الكوفيين : ٣٠٠ .

هو ميوله للتفسير أي ان مصطلحاته كانت تفسيرية سياقية أكثر مما هي مصطلحات علمية .

٤- كثرة المصطلحات النحوية عند ابن الانباري بوجوه متعددة للمصطلح الواحد مترددة فـي أكثر من باب نحوي بذات اللفظ شكل ارباكاً للدارسين والمتعلمين

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

١- اصلاح المنطق ؛ يعقوب بن إسحق بن السكيت (ت ٢٤٤هـ) ، شرح وتحقيق ؛ احمد محمد شاكر (ت١٩٥٨م) ، وعبد السلام محمد هارون (ت١٩٨٨م) ، ط (٤) ، دار المعارف ، مصر، ١٩٧٨.

٢- الأصول في النحو ؛ أبو بكر السري بن سهل بن السراج (ت٣١٦هـ) ، بتحقيق عبد الحسين القتلى (ت١٩٩٨م)، ط(٢) ، مؤسسة الرسالة ،بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٣- التفاحة في النحو ،أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨هـ) ، تحقيق، كوركيس عواد ، مطبعة العاني ، بغداد ١٣٨٦هـ/١٩٦٥م.

٤- التفسير في القراءات السبع ؛ أبو عمر عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) عنى بتصحيحه اوتوبرتزل ، مطبعة الدولة ، استانبول ، ١٩٣٠م.

٥- المدارس النحوية ؛ د-خديجة الحديثي، ط(٣) ، دار الامل للطباعة والنشر ، أربد- الأردن ، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٦- المذكر والمؤنث ؛ أبو بكر محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٨هـ) ، بتحقيق ؛ الشيخ محمد عبد الخالق عضيمة ، راجعه ، د- رمضان عبد التواب (ت٢٠٠١م) ،وزارة الأوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،لجنة احياء التراث ، القاهرة ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م.

٧- أبو زكريا الفراء ومذهبة في اللغة النحو ؛ د- احمد مكي الانصاري ، المؤسسة العليا لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، القاهرة ، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

٨- تطريب اللغة ؛ أبو منصور الازهري (ت٣٧٠هـ) ى، بتحقيق ؛ إبراهيم الأنباري (ت١٩٩٤هـ) ، دار الكتب العربية ، بيروت ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

٩- ديوان امرئ القيس ، دار بيروت ، ودار صادر ، بيروت ، ١٣١٧هـ/١٩٥٠م.

١٠-شرح الرضي لكافيه ابن الحاجب : محمد بن الحسن بن رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) ، دراسة وتحقيق : د. حسن بن محمد بن إبراهيم الحفظي ، ط (١) ، الناشر : جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية ، ١٤١٧ هـ / ١٩٦٦ م .

١١-شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ؛ أبو بكر محمد بن القاسم ابن الانباري (ت٣٢٨هـ) ، بتحقيق ؛ عبد السلام محمد هارون (ت ١٩٩٨م) ،(٥)، دار المعارف ، القاهرة .

١٢-مجالس ثعلب ؛ أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب (ت٢٩١هـ) ، بتحقيق ، عبد السلام محمد هارون (ت ١٩٨٨م) ،ط(٢) ،دار المعارف ، مصر ،١٩٦٠م.

١٣-معاني القران ؛الو زكريا يحي بن زياد الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) ،بتحقيق ؛ احمد يونس نجاتي ومحمد علي النجار (ت ١٩٦٢م) وعبد الفتاح إسماعيل شبلي ،ط(١) ، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، (د-ت) .

١٤-ابن السكيت اللغوي : محي الدين توفيق إبراهيم ، ط(١) ، دار الجاحظ ، بغداد ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م.

١٥-التبصرة في القراءات ، أبو محمد بن ابي طالب (ت ٤٣٧ هـ) ، حقق نصه وعلق على حواشيه : د محي الدين رمضان ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، الكويت ، ط(١١) ، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م .

١٦-التعريفات : البو الحسن علي محمد بن علي الجرجاني المعروف بالسيد الشريف (ت٨١٦هـ) ، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط (١) ، والناشر ؛ دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٧-التعليقة على كتاب سيبويه ، أبو علي الحسن بن احمد بن عبد الغفار الفارسي ، بتحقيق : عوض بن محمد الفوزي ، ط(١) ، سنة النشر ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م .

١٨-الجمل في النحو : أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي (ت ٣٣٧ هـ) ، بتحقيق : د . علي توفيق الحمد ، ط (١) مؤسسة الرسالة ، دار الامل ، الأردن ، ١٤٠٤ هـ ، ١٩٨٤ م .

١٩-الخصائص : أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) ، بتحقيق : عبد الحميد هناوي ، ط (٢) ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .

٢٠-الزاهر في معاني كلمات الناس : أبو بكر محمد بن القاسم الانباري (ت ٣٢٨ هـ) ، بتحقيق : د حاتم صالح الضامن (ت ٢٠١٣ م) ، ط(١) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م .

٢١-الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ؛ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ) ، ط (١) ، الناشر ؛ محمد علي بيضون ، ١٤١٨هـ - ١٩٨م .

٢٢- الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية : إسماعيل بن حماد الجوهري (ت ٣٩٨ هـ) ، ط(٤) ، بتحقيق : احمد عبد الغفور عطار (ت ١٩٩١ م) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

٢٣-العين : أبو عبد الرحمن بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) ، بتحقيق ، د مهدي المخزومي (ت ١٩٩٣م) و د . إبراهيم السامرائي (ت ٢٠٠١) ، دار ومكتبة الهلال .

٢٤-القاموس المحيط ؛ مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ايادي (ت ٨١٧هـ)، بتحقيق ؛ مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف ؛ محمد نعيم العرقوسي ، ط(٨) ، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان .

٢٥-الكتاب ؛ أبو بشر ، عمرو بن عثمان سيبويه (ت ٩٨٠ هـ) ،بتحقيق ؛ عبد السلام محمد هارون (ت ١٩٨٨م) ،ط(٤) ، مكتبة الخانجي ،القاهرة ، ١٤٢٥هـ -٢٠٠٤م .

٢٦-اللّمع في العربية ؛ ابو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ) ، بتحقيق : حامد المؤمن ، ط (١) ، مطبعة العاني ، بغداد ، ١٤٠٢هـ \١٩٨٢م.

٢٧-المدارس النحوية : شوقي ضيف (ت ٢٠٠٤ م) ط (٤) ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م .

٢٨-المصطلح النحوي عند ابي بكر ابن الانباري (ت ٣٢٨ هـ) ، صبيحة حسن طعيس الزوبعي ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، بأشراف د. علي جميل السامرائي ، ١٤٢٤ هـ / ٢٠٠٣ م .

٢٩-المفصل في علم العربية : أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) ط (٢) ، دار الجبل ، بيروت – لبنان ، (د – ت) .

٣٠-المقتضب ؛ أبو العباس محمد بن يزيد المبرّد (ت ٢٨٥هـ) ، بتحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة (ت١٩٨٤م) ، جمهورية مصر –العربية، وزارة الاوقاف ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ،لجنة أحياء التراث الإسلامي ، ط (٢) ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ\ ١٩٧٩م.

٣١-النشر في القراءات العشر ؛ أبو الخير شمس الدين بن محمد المعروف بـ (أبن الجزري) (ت٨٣٣هـ)، بتحقيق ؛ علي محمد الضباع (ت ١٣٨هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،(د-ت) .

٣٢-إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل : أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الانباري (ت ٣٢٨ هـ

) ، بتحقيق : محي الدين عبد الرحمن رمضان ، مطبوعات مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .

٣٣-أوضح المسالك الى الفية ابن مالك : أبو عبد الله جمال الدين بن هشام الانصاري (ت ٧٦١ هـ) ، بتحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد (ت ١٩٧٣ م) ، ط (٦) ، دار ، دار الندوة الجديدة ، بيروت – لبنان ، ١٩٨٠ م .

٣٤-تاج العروس من جواهر القاموس : السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت ١٢٠٥ هـ) ، مجموعة من المحققين ، دار الهداية .

٣٥-تاج العروس من محيط القاموس : السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ) ، مجموعة من المحققين ،دار المراية .

٣٦-تشكيل المصطلح النحوي بين اللغة والخطاب : دراسة صناعة المداخل الاصطلاحية في تفكير الزمخشري : د . رياض عثمان ، تقديم : د . هاشم الايوبي ، ط (١)، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ٢٠١١ م.

٣٧-تطور المصطلح النحوي البصري من سيبويه حتى الزمخشري : د .يحيى عباينة ، ط (١)، ، جدارا للكتاب العالمي وعالم الكتب الحديثة ، عمان واربد – الأردن ، ٢٠٠٦ م .

٣٨-جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري) : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ) ، تعليق : احمد محمد شاكر (ت ١٩٩٧ م) ، ط (١) ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٢٠ هـ / ٢٠٠٠ م .

٣٩-جامع لاحكام القرآن (تفسير الطبري) ؛ أبو عبد الله محمد بن احمد القرطبي (ت ٦٧١ هـ) ، نشره ؛ عماد زكي البارودي وخيري سعيد ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، مصر .

٤٠-حاشية الصبان على شرح الاشموني على الفية ابن مالك : أبو العرفان محمد بن علي الصبان (ت ١٢٠٦ هـ) ، ط(١) ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م .

٤١-شرح ابن عقيل ؛ لبهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي (ت٧٦٩هـ) ، بتحقيق ؛محمد محيي الدين عبد الحميد ((ت١٩٧٣م) ، ط (٢٠) ،دار التراث ، القاهرة ١٤٠٠هـ \ ١٩٨٠م.

٤٢-شرح الحدود النحوية ؛ عبد الله بن احمد الفارسي (ت٩٧٢هـ) ، بتحقيق ؛ د.المتولى رمضان أحمد الدميري ، ط (٢)، مكتبة هية ، ١٤١٤هـ\١٩٩٣م.

٤٣-كتاب شرح الالفيات ؛ أبو بكر محمد بن القاسم الانباري ، نشره أبو محفوظ الكريم معصومي ، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، المجلد الرابع والثلاثون ، الجزآن الثاني والثالث ١٩٥٩ م .

٤٤-كشاف لمصطلحات الفنون ؛ محمد بن علي الفاروقي التهانوي (المتوفي في القرن الثاني عشر – الهجري)، بتحقيق؛ رفيق العجم، علي دحروج ، ط(١) ، الناشر؛ مكتبة لبنان ، ١٩٩٦م.

٤٥-لسان العرب : أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي منظور (ت ٧١١ هـ) ، ط(١) ، دار صادر بيروت ، الناشرون ، (د – ت) .

٤٦-مباحث المصطلح النحوي في حواشي شرح القطر ((الفيشي –، السباعي الآلوسيان)) ،دراسة نقدية : محمد ذنون يونس فتحي الراشدي ، رسالة ماجستير ، جامعة الموصل ، كلية الآداب ، بإشراف ؛ د-عبد الوهاب محمد علي العرواشي، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .

٤٧-مجالس ثعلب : أبو العباس احمد بن يحيى ثعلب (ت ٢٩١ هـ) بتحقيق : عبد السلام محمد هارون (ت ١٩٨٨ م) ، ط(٢) ، دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٠ م .

٤٨-مقاييس اللغة ؛ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (ت٣٩٥هـ) ، بتحقيق وضبط :عبد السلام محمد هارون (ت ١٩٩٨٨م)، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، ١٣٩٩هـ\١٩٧٩م.

٤٩-من إشكاليات العربية ؛ المصطلح النحوي – رواية اللغة : د. سعيد جاسم الزبيدي ،ط(١)، دار كنوز المعرفة النشر والتوزيع ، عمان ، ١٤٣٤هـ\٢٠١٣م.

٥٠-موسوعة المصطلح النحوي من النشأة الى الاستقرار ؛ د . يوخنا مرز الخامس ،ط (١) ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،١٤٣٣هـ\٢٠١٢م.

٥١-نحو الفرّاء الكوفيين ؛ خديجة احمد مقي ، ط (١) ،المكتبة القيصرية ، مكة المكرمة ،١٤٠٦هـ\١١٩٨٥م .١٣٠

قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان

مصدر لدراسة النصوص الضائعة من تاريخ اربل لابن المستوفي

م.د . حنان عبدالخالق علي السبعاوي

الملخص

يهدف البحث الى دراسة النصوص او التراجم الضائعة من كتاب (تاريخ اربل) لابن المستوفي (ت ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩م) المذكورة في كتاب (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان) لابن الشعّار الموصلي (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦م) . وقد تبين لنا مدى قيمة هذه التراجم واهميتها بحكم العلاقة التي كانت بين ابن الشعّار وابن المستوفي، لأنه استفاد ابن الشعّار من قربه ومعاصرته لابن المستوفي فقد كان احد الرواة البارزين الذين روى عنهم في تراجمه، كل ذلك مكنه من الاطلاع على كتابه (تاريخ اربل)، ونقله عن الأجزاء المفقودة منه، وهي غير موجودة في الجزء الثاني المطبوع حالياً، كما تنوعت الميادين العلمية لهذه التراجم ما بين واعظ وقاضي ومحدث وكاتب انشاء وشاعر ومؤدب واديب ووزير ونحوي.

Qalaid al_Juman fi Faraid Shúare Hadha al_Zaman asource for study the lost texts of a book (Tarikh Arbil) by Ibn_ al – Mustawfi

Dr. Hanan Abdul Khalek Ali

Abstrct

The Research aims to study the texts or the lost biographies of a book (Tarikh Arbil) li abn al mustawfi (637 AH/ 1239 AD) which mentioned in a book (Qalaid al-juman fi faraid shúara' hadha al_Zaman) li'abn al_Sha'ar al-Maysill'y (654AH/ 1256 AD) we have shown the value of this biographies and its importance because of relationship between Ibn al-sha'ar and Ibn-al-Mustawfi, Ibn alSha'ar benefited from his closeness and contemporary for Ibn-al-Mustawfi because he was one of the most prominent narrators who told about them in his biography and he enabled him to read a book (tarikh Arbil) and transfer the missing parts that were not present in the second part of book that is currently printed. The scientific fields of these biographies varied between a preacher, judge , teller, writer, poeter, minister and grammar man.

المقدمة:

يمكن القول ان المؤرخين العرب قد اعتنوا عناية كبيرة بتاريخ مدنهم، لان المدن تمثل مراكز للنشاط السياسي والاقتصادي والعمراني، ومصادر للاشعاع الديني والفكري والادبي. وفيها اقيمت معاهد العلم التي بدأ وجودها في المساجد ثم تطورت الى مدارس وربط وزوايا. والى المدن كانت الرحلة في طلب العلم، تلك الرحلة التي صارت من التقاليد الاسلامية للمجتمع الاسلامي، فاذا برز عالم في مدينة ما جلب لها الشهرة، وصارت مقصد الرجال. وبذلك نستطيع ان نقول ان الحضارة العربية الاسلامية هي حضارة مدن، ومنها اشتقت كلمة "تمدن" التي تعني جميع الانجازات التي حققها الانسان في مختلف الميادين.[1] من هذا المنطلق نشط التأليف في التواريخ المحلية للمدن، والامثلة على ذلك كثيرة منها على سبيل المثال: (تاريخ الموصل) للازدي (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م)، (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ/١٠٧٠م)، (تاريخ دمشق) لابن عساكر (ت٥٧١هـ/١١٧٥م)، (تاريخ اربل المسمى نباهة البلد الخامل بمن ورده من الاماثل) لابن المستوفي (ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م)، (بغية الطلب في تاريخ حلب) لابن العديم (ت٦٦٦هـ/١٢٦٧م).

ولأهمية كتاب (تاريخ اربل)، لكونه من ابرز كتب التواريخ المحلية التي الفت في القرن (السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد). والتي تحوي على مجموعة من التراجم لعدد كبير من الشخصيات البارزة التي وردت اربل، ولا أهل المدينة التابهين انفسهم في تلك الفترة. فقد ارتأينا ان يكون هذا الكتاب هو محور الدراسة في هذا البحث، وبالتحديد النصوص الضائعة منه، لان الموجود من هذا الكتاب هو الجزء الثاني فقط.

وبالرغم من وجود اكثر من مؤرخ تاريخي نقل من الاجزاء الضائعة من (تاريخ اربل) مثل ابن الشّعار (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م) في كتابه (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان)، وابن خلكان (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م) في كتابه (وفيات الاعيان وأنباء أبناء الزمان)، وابن سعيد الاندلسي (ت٦٨٥هـ/١٢٨٦م) في كتابه (الغصون اليانعة في محاسن شعراء المئة السابعة)، واليونيني (ت٧٢٦هـ/١٣٢٥م) في كتابه (ذيل مرآة الزمان)، واليافعي (ت٧٦٨هـ/١٣٦٦م) في كتابه (مرآة الجنان وعبرة اليقظان). إلا إني اخترت كتاب (قلائد الجمان) مصدراً لدراسة النصوص الضائعة من (تاريخ اربل) نظرا لملازمة ابن الشّعار لابن المستوفي فترة طويلة في اربل لمدة ستة سنوات، فاستفاد كثيراً من وجوده فيها تمكن

من خلالها من الاطلاع على كتاب (تاريخ اربل) ونقل منه في كتابه (قلائد الجمان) .

وقد قسّم البحث الى عدة فقرات: تضّمنت الفقرة الاولى التعريف بكتابي (قلائد الجمان) و(تاريخ اربل) وعدد اجزائهما واهمية الكتابان، واعطاء نبذة مختصرة عن المؤلفان فيما يخص حياتهما، والنشأة العلمية المتعلقة بالعلوم التي برعا فيها والشيوخ والمؤلفات. اما الفقرة الثانية فتم الحديث فيها بشكل مفصل عن العلاقة الحميمة التي كانت تربط ابن الشّعار بأبن المستوفي، اذ كان ابن الشّعار هو احد تلامذة ابن المستوفي، والاخير بدوره استفاد من تلميذه اثناء وجوده في السنين الاخيرة من حياته في الموصل، تمكن خلالها من الاطلاع على كتابه (قلائد الجمان) ونقل منه تراجماً تخص الشعراء الذين زاروا اربل . في حين شملت الفقرة الثالثة التعرف الى التراجم الموجودة في الاجزاء الضائعة من (تاريخ اربل) والتي اشار اليها ابن الشّعار في كتابه وعددها وتنوع هذه التراجم ومنهجه في طريقة النقل .

اولاً: التعريف بكتابي (قلائد الجمان) و (تاريخ اربل):

ان مؤلف كتاب (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان) هو ابو البركات المبارك بن ابي بكر، احمد بن حمدان بن احمد بن علوان بن ماجد بن حسين بن علي بن حامد .[٢] ويلقب بكمال الدين الموصلي المعروف بأبن الشّعار في اغلب المصادر التاريخية التي تحدثت عنه[٣] وقد ولد بالموصل في مستهل شهر صفر من سنة (٥٩٥هـ/١١٩٨م)[٤] . ولم تورد المصادر التاريخية التي ترجمت لابن الشّعار شيئاً عن قبيلته واسرته.

وفيما يخص نشأته العلمية، فلا شك انه اتجه الى طلب العلم منذ صغره، فتتلمذ في الموصل على يد شيوخ عدّة منهم: الامام عمر بن احمد بن ابي بكر الضرير النحوي العينسفني الذي قال عنه بأنه ((شيخنا)) وقد ورد هذا الشيخ الى الموصل ولازم الشيخ مكي بن ريان بن شبة النحوي (ت٦٠٣هـ/١٢٠٦م)، وبرع فيما قرأه عليه حتى صار اعلم اهل زمانه بالنحو واللغة وفنون الادب، وكانت وفاته سنة (٦١٣هـ/١٢١٦م)، ومما لاشك فيه ان ابن الشّعار قد استفاد من العلوم التي حصل عليها من شيخه الآنف الذكر وان لم يصرح بذلك.

وكذلك الشيخ مكي بن ريان بن شبة النحوي (ت٦٠٣هـ/١٢٠٦م) الذي كان عارفاً بالنحو والقراءات[٦] . وكان ابن الشّعار يتردد على مجلسه في الموصل ويسميه ((شيخنا))[٧] . وايضاً الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله بن رشيد الموصلي المعروف بالصيقل (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، وقال عنه ابن الشّعار : ((كتبت عنه كثيراً من قوله ورواياته))[٨] .

وفضلاً عن ذلك فقد حصل ابن الشّعار على اجازات علمية في الموصل من علمائها وشيوخها الاخرين في اثناء وجوده فيها ومنه: الشيخ عبد المحسن بن عبد الله بن احمد الخطيب الطوسي الموصلي (ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م) كان من خطباء الموصل المشهورين[٩]، فضلاً عن كونه فقيهاً ومحدثاً[١٠]، لذلك فقد دَرَسَ ابن الشّعار عليه الفقه والحديث وحصل منه على اجازة علمية فقال: ((ولي منه اجازة كتبها بخطه))[١١] . والشيخ عبد الرزاق بن رزق الله بن ابي بكر الرسعني الذي كان حياً سنة (٦٢٣هـ/١٢٢٦م) وهو فقيه ومحدث وشاعر، وكان ابن الشّعار يتردد عليه للدراسة والتحصيل، لذلك حصل منه على اجازة عامة فقال عنه: "اجازني جميع رواياته ومصنفاته ومقولاته)[١٢] . أما وفاته فكانت في حلب في شهر جمادي الآخرة في يوم الاحد منه[١٣] من سنة (٦٥٤هـ/١٢٥٦م)[١٤] .

آلف ابن الشّعار كتابين في الادب والشعر: الاول عنوانه (تحفة الوزراء المذيل على معجم الشعراء للمرزباني) والثاني (قلائد الجمان) وما يتعلق الامر بكتابه (قلائد الجمان) فانه يعد من ابرز اثاره الادبية والتاريخية لدى المؤرخين القدامى والمحدثين الذين تحدثوا عن ابن الشّعار[١٥] وتكمن قيمته التاريخية بأن المؤلف لم يهتم بالشعراء فحسب، بل ختم كتابه عدداً كبيراً ممن ينتمون الى طبقة رجال العلم والقضاة وارباب الدولة ليس لمدينة الموصل فقط وانما لمدن كثيرة وردت في ثنايا تراجمه والذي يجمع بينهم قول الشعر، فوصف حياتهم بمختلف جوانبها فضلاً عن تدوين الجوانب السياسية والدينية والاجتماعية الخاصة بذلك العصر[١٦] . والكتاب يتألف من عشرة اجزاء ينقصها الجزءان الثاني والثامن بسبب فقدهما .

اما مؤلف كتاب (تاريخ اربل) فهو المبارك بن احمد بن المبارك بن موهوب بن غنيمة بن غالب ابو البركات بن ابي الفتح المستوفي الاربلي اللخمي[١٧] . وقد ولد بقلعة اربل في النصف من شهر شوال من سنة (٥٦٤هـ/١١٦٨م)[١٨] اما اسرته فكان جده الرئيس ابو البركات المبارك بن موهوب من الموصل، ومن ابناء رؤسائها، وقد انتقل هو واولاده في ايام حاكم اربل ابو الهيجاء الحسين بن الحسن بن موسى الكردي الهذباني (ت٥٢٨هـ/١١٣٣م) الى اربل فتولى له الاستيفاء في ديوانه ولقبه شرف الدين. وهم من اهل بيت معروف بالجلالة والرئاسة والاصالة، ويعرف هو وابوه وجده وعمه واخوانه كل يعرف بالمستوفي[١٩]، لانهم تولوا عملاً رسمياً وهو وظيفة المستوفي .

وفيما يتعلق بصباه فانه قد دَرَسَ كل ما تيسر له من العلوم سواء كانت ادبية او دينية او ديوانية[٢٠] . فحفظ اولاً القران الكريم، ثم سمع الكثير من الاحاديث

النبوية، واغري بنظم الشعر حتر صار له فيه الباع العريض، وقرأ العلوم الادبية، وجالس العلماء وحاضر الفقهاء . كما انه دَرَسَ علوم الاداب، فصار اعلم اهل زمانه بعلمي المعاني والبيان ومعرفة الاشعار النادرة، والامثال السائرة والرسائل، والاطلاع على التواريخ وسير المتقدمين، وعلم التصرف الذي له علاقة بفن المساحة والاشغال الديوانية[٢١] . وقد اشار الى ذلك هو نفسه،بأنه كان يرافق والده الى المسجد لسماع المشايخ الواردين الى اربل ومناظراتهم . ويبدوا ان الجو العائلي الذي عاش فيه، والبيئة التي وجد نفسه فيها، قد يسرا له سبل التعلم والتقدم. فمن شيوخه الذين دَرَسَ عليهم العلوم السابقة الذكر[٢٢]: –

١. محمد بن محمد بن ابي حنيفة الفرضي البغدادي، وقد توفي بالقاهرة في سنة (٦٠٢هـ/١٣٠٥م)، وكان هذا الشيخ المؤدب الاول لابن المستوفي[٢٣] .

٢. الشاعر محمد بن يوسف بن محمد الملقب بموفق الدين البحراني الاربلي (ت٥٨٥هـ/١١٨٩م)، كان إماماً مقدما في علم العربية والعروض ونقد الشعر والمشهورين بمعرفة جيده من رديئة . وقد درس عليه ابن المستوفي علوم الشعر وبه تخرج ويسميه "شيخنا"[٢٤] .

٣. المقرئ المبارك بن طاهر الخزاعي البغدادي الذي توفي باربل سنة (٦٠٠هـ/١٢٠٣م)، كان من الزهاد، وقد انقطع لتعليم القران الكريم ، كما انه سمع الحديث الشريف وله اجازات كثيرة وقد اثنى عليه كثيراً ابن المستوفي وترجم له، ويسميه دائماً "شيخنا"، وروى عنه بعض الحديث والشعر، الا انه لم يذكر الموضوع الذي درسه على الخزاعي هذا ولعله قرأ عليه القرآن[٢٥] .

٤. عبد اللطيف بن عبد القاهر السهرودي المتوفى بأربل سنة (٦١٠هـ/١٢١٣م)، كان قد سكن اربل، وبها لقي حظوة كبيرة لدى حاكمها مظفر الدين كوكبري. وقد قرأ عليه ابن المستوفي كتاباً من تصنيفه وسمع عليه الحديث واجاز له وكان يسميه "شيخنا"[٢٦] .

وبالاضافة لذلك فهناك شيوخ اخرين اجازوا لابن المستوفي رواية مصّنفاتهم منهم:–

١. ابو الفرج عبد الرحمن بن علي البغدادي المعروف بابن الجوزي (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، كان مؤرخاً مشهوراً وله عدة مؤلفات منها كتاب (المنتظم في تاريخ الملوك والامم) . وقد

اجاز لابن المستوفي الرواية عنه في كتابه المنتظم)[٢٧] . ؟

٢. الكاتب محمد بن حامد بن محمد العماد الاصفهاني (ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) صاحب المؤلفات الشهيرة ومنها (خريدة القصر وجريدة العصر) و (الفتح القسي في الفتح القدسي) . وقد ذكر ابن المستوفي بانه اجازه الرواية من كتاب لم يذكر اسمه[٢٨] .

٣. احمد بن عثمان الكردي الزرزاري (ت٥٩١هـ/١١٩٤م)، كان من اهل اربل، ومن الائمة الزاهدين واهل العلم، سمع الحديث وبرز في القرءات، وصنف فيها اكثر من كتاب، وسمع عليه ابن المستوفي وسأله ان يجيزه فاجازه[٢٩] .

ونظراً للعلوم الكثيرة التي درسها ابن المستوفي، وثقافته الواسعة والمتنوعة التي تمتع بها، ولمكانته العالية في نفوس معاصريه، لما كان يتصف به من حسن الخلق ورحابة الصدر، ولذا كان اصحاب الحاجات يلوذون به ليقدمهم الى الملك. كل ذلك أهله لتولي الوظائف السلطانية المهمة على اختلاف انواعها في عهد حاكم اربل الملك المعظم مظفر الدين كوكبري (٥٨٦-٦٣٠هـ/١١٩٠-١٢٣٣م)، وهذه الوظائف هي:

١. النظر في ديوان الوقوف الخاص بادارة شؤون المؤسسات العامة كالمدارس والربط ودور العجزة ودار الحديث والبيمارستان والعناية بالاوقاف المحبوسة عليها .

٢. ديوان الاستيفاء أي مستوفي الديوان وهو الذي يضبط الديوان وينبه على ما فيه مصلحته من استخراج امواله ونحو ذلك. ووظيفة الاستيفاء في المشرق لها منزلة علية وهي تلي الوزارة.

٣. كتابة الانشاء حيث كتب ابن المستوفي الانشاء للملك المعظم أربعين سنة .

٤. الوزارة فقد تولاها في المحرم من سنة(٦٢٩هـ/١٢٣١م)[٣٠] .

-هجرته الى الموصل ووفاته فيها:

ترك ابن المستوفي اربل على اثر هجوم التتر عليها في شوال من سنة (٦٣٤هـ/١٢٣٦م) وقتلهم للسكان الامنين، وتخريبهم للمباني والأسواق وإحراقهم الدور، وحصارهم للقلعة التي التجأ اليها ابن المستوفي. وقد انتهز فرصة تراجع التتر بعد فشل الحصار الذي ضربوه حول القلعة، فرحل مع المهاجرين الى الموصل. فسمع به حاكمها بدر الدين لؤلؤ، فأكرم مثواه وانزله في دار هيئت له، ورتب له جاريا[٣١] . فقضى ابن

المستوفي بقية حياته في الموصل الى ان توفي فيها يوم الاحد في الخامس من شهر المحرم من سنة (٦٣٧هـ/١٢٣٩م)[٣٢] .

-مؤلفاته:

يمكن القول أن المعارف المتنوعة التي درسها واطلع عليها ابن المستوفي،جعلته يُصنف ويؤلف مصنفات كثيرة منها كتاب(الامثال والاضداد في سرقات الشعراء) وكتاب في (صناعة البديع) وكتاب(حاجة الكاتب والشاعر) وكتاب(الممتع المؤنس) وكتاب(سر الصنعة) وكتاب(نباهة البلد الخامل بمن ورده من الامثال) ويعد هذا الكتاب الاخير من اهم كتبه حيث يتضمن اسماء من وقع اليه ممن ورد اربل لا سيما من الاماثل، وولاتها من الملوك والامراء والزهاد والعلماء والشعراء والكتاب[٣٣] ممن عاشوا في اواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع للهجرة ممن اتيحت الفرصة للمؤلف ان يلقاهم شخصيا وينقل عنهم[٣٤] . ويقع الكتاب في اربع مجلدات[٣٥]، الا ان الموجود منه حاليا هو الجزء الثاني فقط أما بقية اجزاء الكتاب فهي مفقودة.

والجزء الثاني من الكتاب خاص بذكر الاخيار والصلحاء، ولا سيما المنقطعين الى الزهد والموسومين بالعدالة والمعروفين بالرواية واهل الحديث، ولكن الفئة الاخيرة هي الغالبة[٣٦] . وتكمن القيمة التاريخية لهذا الكتاب بان الشخصيات التي ترجم لها ابن المستوفي كانوا من المعاصرين له، ويندر العثور على تراجمهم في الكتب الاخرى. وفضلا عن ذلك فان الكتاب يساعدنا في التعرف على وجود حركة ادبية علمية واسعة ازدهرت لا في العراق فحسب، بل وفي مختلف انحاء العالم الاسلامي، لا سيما في القرن(السادس للهجرة/الثاني عشر للميلاد) وبعض القرن(السابع للهجرة/الثالث عشر للميلاد) . فقد تناول الكتاب مختلف المعارف المعروفة آنذاك من قرآن وحديث وتاريخ وادب ولغة وشعر. وايضا(تاريخ اربل) له اهمية كبيرة في تكوين المادة التاريخية المتعلقة بالعصر الذي تناوله ابن المستوفي سواء اكان ذلك في المجالات الدينية او الاجتماعية او الفكرية او الاقتصادية[٣٧] .

ثانيا: علاقة ابن الشّعار بابن المستوفي:

يمكن القول أن علاقة ابن الشّعار بابن المستوفي بدأت منذ رحيل ابن الشّعار الى اربل سنة(٦٢٥هـ/١٢٢٧م)[٣٨] . فالمعروف ان الرحلة العلمية لابد منها لطلاب العلم من اجل مقابلة الشيوخ واكمال التحصيل العلمي. لذلك فان ابن الشّعار بعد دراسته في الموصل بدأ يتنقل ويسافر بعد تجاوزه سن السابعة والعشرين من عمره، فزار العديد من المدن الاسلامية لعوامل عدة منها: قربها من الموصل وبعدها عنها، أو

أن فيها مشاهير الشيوخ، أو من أجل اتمام كتابه(قلائد الجمان) لغرض الحصول على معلومات كافية للمترجم لهم عن طريق لقائه بالعلماء وبالشخصيات التي يروم الترجمة لها، وهذا السبب ينطبق على المدن التي زارها ابن الشّعار بعامة[٣٩] . وقد يكون هناك سبب اقتصادي يتعلق بمهنة ابن الشّعار في الموصل وهي مهنة الشعارة حيث كانت مهنة متواضعة، واراد أن يحسن رزقه فسافر الى اربل حيث وجد في كنف الوزير ابن المستوفي رفاهية العيش وهناءة العمر[٤٠]، وفي ذلك قال: ((ثم شاهدت من افضاله وفضله، وسعة صدره وغزارة عقله واحسانه الى الانام، ما حبب الي السكن بها والمقام، فعند ذلك استوطنت كنفه الرحب، ووردت منهل بره العذب، فصحبته ستة أعوام في أرغد عيش وأهنأه. . .))[٤١] . وكانت لابن الشّعار اكثر من رحلة الى اربل، فقد سافر اليها أولا في سنة(٦٢٥هـ/١٢٢٧م) وبقى فيها ستة سنوات الى سنة(٦٣٠هـ/١٢٣٢م)[٤٢]، والرحلة الثانية كانت في سنة (٦٣٣هـ/١٢٣٥م)[٤٣]، أما المرحلة الثالثة والاخيرة فكانت في سنة (٦٣٩هـ/١٢٤١م)[٤٤]، غير ان اهم تلك الرحلات كانت الرحلة الاولى في سنة (٦٢٥هـ/١٢٢٧م)، فقد استطاع خلال وجوده فيها أن يتعرف على شيوخ وعلماء مشهورين في اربل التقى بهم وأخذ منهم العلم، كما حرص على الاستفادة من الشيوخ الواردين اليها . ومن ابرز هؤلاء الشيوخ ابن المستوفي. أما عن علاقة ابن الشعار بابن المستوفي فهو أحد شيوخه التقى به في أربل، وتتلمذ عليه، وكان من رواد مجلسه حيث لازمه ستة اعوام في اثناء اقامته باربل، وقد ذكر ذلك في سياق ترجمته له اذ قال عنه: ((وردت محروسة اربل في اوائل المحرم سنة خمس وعشرين وستمائة فقصدت منزله المعمور لاشاهده فابتهجت برؤيته. . . فصحبته ستة اعوام في ارغد عيش وأهنأه، وأطيب زمان وأسناه. . .))[٤٥] . ويبدو ان ابن الشّعار لم يكن فقط من رواد مجلس ابن المستوفي والمنتفعين بما كان يدور فيه من مناقشات علمية، بل كان واحدا من تلامذته، وقد اعترف صراحة بانه سكن اربل لغرض ملازمة ابن المستوفي الذي يكن له الاحترام والتقدير الكبيرين[٤٦]، كما حصل ابن الشّعار على اجازة منه(٤٧) . والسبب في ذلك ان ابن المستوفي كان محبا لاهل العلم يكثر من مجالستهم، ويتواضع لهم، ويكرم وفادتهم. ويبدو ان داره كانت مفتوحة للقاصدين[٤٨] استنادا لوصف ابن الشّعار له لقوله: ((ربعه مقصد الوافدين، وجنابه كعبة القاصدين. . .))[٤٩] .

وقد استفاد ابن الشّعار من قربه ومعاصرته لابن المستوفي من الاطلاع على كتابه تاريخ اربل) حيث وقعت مخطوطة الجزء الثاني منه بيده فعلا، بالاضافة الى أن بعض صفحات مخطوطة(تاريخ اربل) بخط ابن

الشّعار، لانها تشبه الى حد كبير خط بعض اجزاء كتاب (قلائد الجمان) كما تشبه خط التعليقات والاضافات التي كتبها ابن الشّعار على صفحات(تاريخ اربل) وذكر فيها اسمه صراحة، وكذلك فقد صحح ابن الشّعار بعض العبارات بما يتفق وما جاء في كتابه، ولا سيما ماله علاقة بالمواصلة من اهل بلدته. واحيانا اكمل معلومات لم يكملها ابن المستوفي، كتلك المتعلقة بنسب ابن الشّعار نفسه الوارد في ترجمته التي كتبها ابن المستوفي، كما صحح فيها تاريخ ولادته[٥٠]. وفضلا عن ذلك فانه يعد احد المصادر المكتوبة المهمة التي اعتمد عليها ابن الشّعار في كتابه (قلائد الجمان)، وابن المستوفي هو احد الرواة البارزين الذين روى عنهم ابن الشّعار في تراجمه. وفي نفس الوقت ادرك ابن المستوفي ما يتمتع به ابن الشّعار من الاطلاع الواسع على اخبار شعراء زمانه، اذ الف كتابا ضخما عنهم، فاستعان به في استقصاء بعض الاخبار عن تراجمه وتدوينها في كتابه(تاريخ اربل)، وقد نقل منه في اربعة مواضع[٥١].

ثالثا: التراجم الموجودة في الاجزاء الضائعة من(تاريخ اربل):

سبق وان بينا اهمية كتاب(قلائد الجمان) إلا انه في هذا الموضوع تضاف ميزة اخرى الى قيمته، وهي انه حفظ لنا نصوصا خاصة ببعض تراجمه من الضياع، لانه نقلها من الاجزاء المفقودة من كتاب(تاريخ اربل)، وهي غير موجودة في الجزء الثاني المطبوع حاليا. وكان عدد هذه التراجم تسعة عشر ترجمة [٥٢]، وقد تبين لنا من خلال هذا الجدول تنوع هذه التراجم التي نقلها ابن الشعار من(تاريخ اربل) ما بين واعظ وفقيه وقاضي ومحدث وكاتب انشاء وشاعر واديب ووزير ونحوي. كما كانت هذه التراجم من مدن متعددة ولم تقتصر على الموصل، فكان هناك من سنجار وأربل وميافارقين وواسط وبغداد وحلب ودمشق، وحتى من فرغانة، واقتصرت ولادتهم ووفياتهم ما بين القرن السادس والسابع الهجريين.

وفضلاً عن ذلك فقد تنوعت طريقة النقل ما بين نقل الترجمة كلها من بدايتها الى نهايتها من ابن المستوفي كما هو الحال في ترجمة احمد بن محمد بن صدقة الضرير الموصلي(ت٦١٨هـ/١٢٢١م) لقول ابن الشّعار: ((حدثني الصاحب ابو البركات المستوفي في تاريخ اربل...)) وتتحدث الترجمة عن سفر المترجم له الى اربل وانه كان ضريرا ويعظ الناس وعن شعره الذي انشده لابن المستوفي[٥٣]. وكذلك ترجمة محمد بن ابي حنيفة البغدادي المعروف بابن الفرضي المؤدب(ت٦٠٢هـ/١٢٠٥م) لقول ابن الشّعار: ((أجرى ذكره الصاحب ابو البركات المستوفي في تاريخه...)) وتتحدث الترجمة عن ورود المترجم له الى اربل ثم سفره

الى مصر ووفاته بالطريق فدفن بالقاهرة وعن صفاته ودينه وانه كان ينسخ المصاحف وأخيرا شعره[٥٤] .

ونقل جزء من الترجمة من ابن المستوفي وباقي الترجمة من مصادر اخرى مثل ترجمة الفقيه الياس بن جامع بن علي الاربلي(ت٦٠١هـ/١٢٠٤م) حيث ان هذه الترجمة كان مصدرها في البداية من ابن المستوفي لقول ابن الشّعار: ((حدثني الصاحب شرف الدين ابو البركات المستوفي-رحمه الله تعالى- وهو مما ذكره في تاريخ اربل...)) فحصل ابن الشّعار من ابن المستوفي على معلومات تخص العلم الذي برع فيه المترجم له وشيوخه في الفقه والحديث ورحلاته العلمية ومؤلفاته وولادته ووفاته ثم شعره، أما باقي الترجمة فمصدر ابن الشّعار رواية شفوية غير مباشرة من يوسف بن ضوء بن علي الأربلي[٥٥] . وايضا ترجمة الكاتب عبد الباقي بن محمد بن علي الموصلي(ت٦١٣هـ/١٢١٦م) لقول ابن الشّعار: ((وحدثني الصاحب أبو البركات المستوفي-رحمه الله- في تاريخ اربل من تأليفه...)) حول رحلة المترجم له ووظيفته ووفاته، وما تبقى من الترجمة فمصدرها رواية شفوية غير مباشرة من القاضي الإمام عمر بن أحمد بن أبي جرادة الحلبي[٥٦] .

وفضلا عن ذلك فقد اعتمد ابن الشّعار صيغا مختلفة للنقل من(تاريخ اربل)، فهو قد اشار في بعض التراجم بشكل واضح الى المصدر، في حين صرح في تراجم اخرى باسم المؤلف واختصر اسم الكاتب في تراجم اخرى، وفي احيان اخرى اختصر اسم المؤلف والكتاب معا، وقد ذكر اسم المؤلف ولم يشر الى اسم كتابه، أو ذكر اسم الكتاب ولم يذكر اسم المؤلف. ومن الامثلة على ذلك ماذكره ابن الشّعار في ترجمة ابراهيم بن علي بن محمود الكفرعزي الاربلي(ت٦٢٠هـ/١٢٢٣م) اذ نقل الترجمة كاملة من ابن المستوفي فيما يتعلق بالولادة والنشأة العلمية والوفاة ومكان الدفن وما ورد من ابيات شعرية، وقد افصح ابن الشّعار عن اسم الكتاب ومؤلفه، الا ان اشارته جاءت مختصرة، فقال: ((حدثني الصاحب ابو البركات في تاريخه...))[٥٧] وكذلك ماورد في ترجمة يعقوب بن عبد الله ابي يوسف الدمشقي(ت٦٢٣هـ/١٢٢٦م) الذي نقل ابن الشّعار جزءاً من هذه الترجمة من كتاب(تاريخ اربل)، ويبدو ان المعلومة التي اقتبسها كانت حرفية مشيرا في ذلك الى بداية النص المقتبس وانتهائه فقال: ((ذكره الوزير الصاحب ابو البركات المستوفي-رضي الله عنه- في تاريخه...هذا اخر كلامه))، وقد ركز في اقتباسه على المواضيع التي تخص المترجم له وهي اسمه ونسبه وشيوخه في الحديث الشريف وعمله ووفاته ومكان دفنه[٥٨] .

وفي ترجمة يوسف بن يوسف ابي الحجاج الفارقي الذي كان حيا سنة(٦١٨هـ/١٢٢١م) نقل ابن

الشّعار الترجمة كاملة من ابن المستوفي مع نقد الشعر الذي نقله وبيان رأيه فيه وأشار الى اسم المؤلف ولا يذكر اسم كتابه لقوله: ((ذكره الصاحب الوزير ابو البركات المستوفي-رضي الله عنه- في كتابه...))[٥٩].

وفي حالات اخرى اشار بوضوح الى اسم الكاتب كما في ترجمة يعقوب بن محمد بن ابي الحسن الموصلي[٦٠](ت٦٤٥هـ/١٢٤٧م)[٦١]، حيث نقل ابن الشّعار الترجمة كلها من ابن المستوفي مشيرا الى بداية النص المقتبس وانتهائه لقوله: ((قال الوزير الصاحب ابو البركات المبارك بن احمد المستوفي-رضي الله عنه- في تاريخ اربل...هذا آخر كلامه))، ويتحدث هذا النص المقتبس عن اصل اسرة المترجم له ونسبها ثم ولادته ونشأته بالموصل وشيوخه في اللغة والنحو ووظيفته، اذ كان يخدم جنديا عند حاكم الموصل في وقتها وهو عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي الذي حكم(٦٠٧-٦١٥هـ/١٢١٠-١٢١٨م) ثم سفره من الموصل الى دمشق لاجل طلب الرزق[٦٢].

وقد نقل ابن الشّعار الابيات الشعرية فقط من كتاب(تاريخ اربل) كما في ترجمة علي بن الحسين بن كرم الحلي الذي قال عنه ابن الشّعار: ((انشد له الصاحب أبو البركات هذه الابيات في تاريخ اربل من تأليفه...))[٦٣] ويبدو ان السبب في ذلك هو ان ابن الشّعار لم يعثر على معلومات اخرى تخص المترجم له مذكورة في الكتاب.

الخاتمة:

تبين لنا مما سبق القيمة التاريخية لكتاب (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان) لاسيما نقله لتراجم ضائعة من (تاريخ أربل) غير موجودة في الجزء الثاني المطبوع منه الذي حققه سامي الصقار ورتبه إلى قسمين، وهذا النقل لم يكن ليحدث لولا العلاقة الطيبة والوطيدة التي جمعت ابن الشعار بابن المستوفي عندما رحل إلى أربل وبقى بها فترة طويلة تمكن من خلالها من الاطلاع على كتاب (تاريخ أربل) ونقله منه، فضلاً عن ذلك كان ابن المستوفي شيخ ابن الشعار تلمذ على يديه وأخذ منه علوم عدة.

جدول بالتراجم الضائعة من (تاريخ اربل) المذكورة في كتاب (قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان):

ت	اسم المترجم له	الولادة والوفاة	المدينة التي ولد أو توفي فيها	التخصص	الوظيفة ان وجدت	المصدر: قلائد الجمان
١	إبراهيم بن علي بن محمود	(ت ٦٢٠هـ/ ١٢٢٣م)	ولد وتوفي في باربل	–	–	مج١ ج١/ ٩٧– ٩٨
٢	احمد بن محمد بن صدقة الضرير الموصلي	(ت ٦١٨هـ/١٢٢١م)	الموصلي	واعظ	–	مج١ ج١/ ٢١٢
٣	احمد بن الخضر بن حسكويه	(ت٦١٣هـ/١٢١٦م)	ولد وتوفي باربل	فقيه	–	مج١ ج١/ ٢١٩– ٢٢٠
٤	اسعد بن يحيى بن موسى السلمي السنجاري	ولد سنة (٥٣٣هـ/ ١١٣٨م) وتوفي سنة (٦٢٤هـ/١٢٢٦م)	توفي في سنجار	شاعر وفقيه	قاضي	مج١ ج١/ ٣٧٩– ٣٨٨
٥	الياس بن جامع بن علي الاربلي	ولد سنة (٥٥١هـ/ ١١٥٦م) وتوفي سنة (٦٠١هـ / ١٢٠٤م)	ولد وتوفي باربل	محدث وفقيه شافعي	–	مج١ ج١/ ٤٤٦–٤٤٨
٦	عبدالباقي بن محمد بن علي الموصلي	(ت٦١٣هـ/١٢١٦م)	ولد وتوفي في الموصل	شاعر	كاتب انشاء ووزير	مج٣ ج٤/ ١٤٩– ١٥٤
٧	علي بن الحسين بن كرم	–	الحلي	شاعر	–	مج٤ ج٥/ ٤٤
٨	محمد بن محمد بن ابي حنيفة	(ت ٦٠٢هـ/ ١٢٠٥م)	توفي بالقاهرة	شاعر		مج ٥ ج٦/ ٧٧– ٨٠
٩	محمد بن اصطفان بن عبدالله	ولد سنة (٥٧٤هـ / ١١٧٨م) وتوفي سنة (٦٢٣هـ – ١٢٢٦م)	ولد بحلب وتوفي باربل	شاعر	متولي أستاذ الدارية باربل	مج٥ ج٦ /١٦١–١٦٣

١٠	محمد بن الحسين بن محمد الطغرائي	ولد سنة (٥٤٩هـ – ١١٥٤م) وتوفي سنة (٦٠٧هـ – ١٢١٠م)	ولد في الموصل وتوفي بحلب	اديب	كاتب ووزير	مج٥ ج٦/ ٢٦٤ – ٢٦٧
١١	محمد بن علي بن عمر القرشي	عاش في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي	ولد بدمشق	شاعر	–	مج٦ ج٧/ ٢٦٢ – ٢٦٣
١٢	محمد بن محمد بن احمد البرزي	عاش في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي	ولد بواسط	شاعر	–	مج٦ ج٧ /٣٠٨–٣٠٩
١٣	محمد بن محمد بن محمد الفرغاني	عاش في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي	ولد بفرغانة	فقيه	–	مج٦ ج٧/ ٣١٣–٣١٤
١٤	هبة الله بن بطرس بن بلوطس النصراني	ولد سنة (٥٦٣هـ/ ١٢١٧م) وتوفي سنة(٦٢١هـ/ ١٢٢٤م)	ولد بمصر وتوفي باربل	شاعر	تولى الاشراف على ديوان الارتفاع باربل	مج٧ ج٩/ ١٤٢–١٤٤
١٥	هارون بن الحسين بن كُرجي	ولد سنة(٥٦٠هـ/١١٦٤م) وتوفي سنة(٦٠٨هـ/١٢١١م)	ولد وتوفي باربل	فقيه	–	مج٧ ج٩/ ١٨١–١٨٣
١٦	يعقوب بن سنقر بن عبدالله التركي	عاش في القرن (السادس الهجري/	ولد باربل	شاعر	–	مج٨ ج١٠/ ٨٩–٩٠

		الثاني عشر الميلادي)				
١٧	يعقوب بن عبدالله أبو يوسف الكندي	(ت ٦٢٣هـ/ ١٢٢٦م)	ولد بدمشق وتوفي ببغداد	نحوي	–	مج٨ ج١٠/ ١٠٠–١٠٢
١٨	يعقوب بن محمد بن عيسى	عاش في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي	ولد بالموصل وتوفي بمصر	نحوي	–	مج٨ ج١٠/ ١٠٤–١٠٥
١٩	يوسف بن يوسف أبو الحجاج الفارقي	ولد سنة (٥٤٠هـ/ ١١٤٥م)	ولد بميافارقين	واعظ وشاعر	–	مج٨ ج١٠/ ٣١٠–٣١١

الهوامش:-

(١) الصقار، سامي بن خماس، امارة اربل في العصر العباسي ومؤرخها ابن المستوفي، دار الشواف، (الرياض: ١٩٩٢)، ص٢٨٩-٢٩٠.

(٢) ابن المستوفي، شرف الدين ابو البركات المبارك بن احمد اللخمي الاربلي، تاريخ اربل المسمى نباهة البلد الخامل بمن ورده من الاماثل، تحقيق: سامي السيد خماس الصقار، دار الرشيد للنشر، (بغداد: ١٩٨٠)، ٣٨٤/١.

(٣) الذهبي، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت، (الكويت:١٩٦٦)، ٢١٩/٥؛ الكتبي، محمد بن شاكر، عيون التواريخ، تحقيق: فيصل السامر ونبيلة عبد المنعم داؤد، دار الرشيد للنشر، (بغداد:١٩٨٠)، ١٠١/٢٠، اليافعي، ابو محمد عبد الله بن اسعد التميمي المكي، مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة مايعتبر من حوادث الزمان، ط٢، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، (بيروت:١٩٧٠)، ١٣٦/٤.

(٤) ابن المستوفي، تاريخ اربل، ٣٨٤/١.

(٥) ابن الشّعار، كمال الدين ابو البركات المبارك الموصلي، قلائد الجمان في فرائد شعراء هذا الزمان المشهور بعقود الجمان في شعراء هذا الزمان، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، (بيروت:٢٠٠٥)، م٤ج٥/٢٠٧.

(٦) ابن الاثير، ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد بن محمد عبد الكريم الشيباني، الكامل في التاريخ، راجعه: محمد يوسف الدقاق، ط٤، دار الكتب العلمية، (بيروت:٢٠٠٦)، ٣٣١/١٠.

(٧) قلائد الجمان، م٣ج٤/٢٧١، م٨ج١٠/١٠٥.

(٨) نفسه، م٢ج٣/٣١١/٣١٢.

(٩) نفسه، م٣ج٤/٨٣-٨٤.

(١٠) المنذري، زكي الدين عبد العظيم بن عبد القوي، التكملة لوفيات النقلة، تحقيق: بشار عواد معروف، مطبعة عيسى البابي الحلبي، (القاهرة،١٩٧٥)، ٢١١/٥.

(١١) قلائد الجمان، م٣ج٤/٨٣-٨٤.

(١٢) نفسه، م٣ج٤/١٩٥-١٩٦.

(١٣) اليونيني، قطب الدين ابو الفتح موسى بن محمد البعلبكي الحنبلي، ذيل مرآة الزمان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، (حيدر اباد الدكن: ١٩٥٤)، ٣٣/١.

(١٤) اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٣٣/١؛ الكتبي، عيون التواريخ، ١٠١/٢٢؛ اليافعي، مرآة الجنان، ١٣٦/٤.

(١٥) ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان، تقديم: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار احياء التراث العربي، (بيروت:١٩٩٧)، ٢٧٢.٢٣٩/٣؛ ابن الفوطي، كمال الدين ابو الفضل عبد الرزاق بن تاج الدين البغدادي، تلخيص مجمع الاداب في معجم الالقاب، تحقيق: محمد عبد القدوس القاسمي، (لاهور:١٩٤٠)، ج٥ق٢/٢٤٢؛ اليونيني، ذيل مرآة الزمان، ٣٣/١؛ بروكلمان، كارل، تاريخ الادب العربي، نقله الى العربية: يعقوب بكر ورمضان عبد التواب، دار المعارف، (القاهرة:١٩٧٧)، ٤٧/٦، الزركلي، خير الدين، الاعلام، دار العلم للملايين، (بيروت:١٩٧٩)، ٢٦٥/٥.

(١٦) طه، عبد الواحد ذنون، العلوم التاريخية والجغرافية، موسوعة الموصل الحضارية، ط م، دار الكتب للطباعة والنشر، (الموصل:١٩٩٢)، ٩٥/٣.

(١٧) ابن الشّعار، قلائد الجمان، م٥ج٦/٣٥.

(١٨) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، (د.م:١٩٦٥)، ٢٧٢/٢.

(١٩) ابن الشّعار، قلائد الجمان، م٥ج٦/٤٠.

(٢٠) الصقار، امارة اربل، ص١٩٦.

(٢١) ابن الشّعار، قلائد الجمان، م٥ج٦/٣٦.

(٢٢) الصقار، امارة اربل، ص١٩٦.

(٢٣) الصفدي، صلاح الدين خليل بن ايبك، الوافي بالوفيات، دار صادر، (بيروت:١٩٧٢)، ١٤٣/١.

(٢٤) السيوطي، بغية الوعاة، ٢٨٦/١.

(٢٥) الصقار، امارة اربل، ص٢١٧.

(٢٦) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ٦٦/٤.

(٢٧) ابن كثير، عماد الدين اسماعيل بن عمر، البداية والنهاية، دار ابن كثير، (بيروت:١٩٦٧)، ٢٨/١٣.

(٢٨) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٧٦/٣-٧٨؛ الصقار، امارة اربل، ص٢١٩.

(٢٩) المنذري، التكملة لوفيات النقلة، ٤٢٦/١.

(٣٠) ابن الشّعار، قلائد الجمان، م٥ج٦/٤٠-٤١؛ الصقار، امارة اربل١٤٤، ١٥٠، ١٩٨-٢٠٠.

(٣١) ابن الشّعار، قلائد الجمان، م٥ج٦/٣٧.

(٣٢) ابن خلكان، وفيات الاعيان، ٣٠٥/٢.

(٣٣) ابن الشّعار قلائد الجمان، م٥ج٦/٣٨-٣٩.

(٣٤) الصقار، امارة اربل، ص٣٠٤.

(٣٥) ابن خلكان، وفيات الاعيان ٣/٢٩٤.

(٣٦) الصقار، امارة اربل، ص٣٠٨.

(٣٧) نفسه، ص٣٨٢-٣٨٧.

(٣٨) ابن الشّعار، قلائد الجمان، م٥ج٦/٤٠.

(٣٩) السبعاوي، حنان عبد الخالق عي، المنهج التاريخي عند ابن الشّعار الموصلي (ت٦٥٤هـ) في كتابه (قلائد الجمان في فرائد هذا الزمان)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية الاداب، (جامعة الموصل: ٢٠١٠)، ص٣١.

(٤٠) الداقوقي، حسين علي، (مورخان من القرن السابع)،مجلة دراسات للاجيال، نقابة المعلمين، (بغداد:١٩٨١)، ع٣/١٦١.

(٤١) قلائد الجمان، م٥ج٦/٤٠.

(٤٢) نفسه، م٥ج٦/٤٠.

(٤٣) نفسه، م٣ج٤/٣٥٥، م٤ج٥/٤٤، م٥ج٦/٢٦٥، م٦ج٧/٧٤، ١٦٣.١٦١-١٦٤.

(٤٤) نفسه، م٤ج٥/١١٦.

(٤٥) نفسه، م٥ج٦/٤٠.

(٤٦) الصقار، سامي، (ابن الشّعار الموصلي، مؤرخ الشعراء وكتابه ((عقود الجمان في شعراء هذا الزمان))، مجلة كلية الاداب، جامعة الرياض، (الرياض:١٩٧٩)، ع٦/٢٢٥

(٤٧) قلائد الجمان، م٦ج٧/٢٩٤.

(٤٨) الصقار، امارة اربل، ص٢٦٥-٢٦٦.

(٤٩) قلائد الجمان، م٥ج٦/٣٦.

(٥٠) ابن المستوفي، تاريخ اربل، ١/١٥ (مقدمة المحقق).

(٥١) نفسه، ق١/٣٨٦، ٤٠٤، ٤٢١-٤٢٢، ٤٤٧-٤٥١.

(٥٢) ينظر: جدول التراجم الضائعة من (تاريخ اربل) في كتاب (قلائد الجمان).

(٥٣) ابن الشّعار، قلائد الجمان، م١ج١/٢١٢.

(٥٤) نفسه، م٥ج٦/٧٧-٨٠.

(٥٥) نفسه، م١ج١/٤٤٦-٤٤٨.

(٥٦) نفسه، م٣ج٤/ ١٤٩-١٥٤.

(٥٧) نفسه، م١ج١/ ٩٧-٩٨.

(٥٨) نفسه، م٨ج١٠/١٠٠.

(٥٩) نفسه، م٨ج١٠/٣١٠-٣١١.

(٦٠) نفسه، م٨ج١٠/١٠٤.

(٦١) ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٥/٢٣٣.

(٦٢) ابن الشّعار، قلائد الجمان، م٨ج١٠/١٠٤-١٠٥.

(٦٣) نفسه، م٤ج٥/٤٤.

The Role of Discourse markers in Achieving Persuasive Goals (Trump Clinton (2016) debate as a sample)

Alaa Salahuldeen Aziz

Abstract

This study adopts a functional approach to investigate the use of DMs in achieving the persuasive function. It relies on Fraser's (2009) and Hyland (2005) taxonomy to represent the targeted DMs. This text-based qualitative study was carried out to compare political speech of the two candidates in the last presidential debate and to find out the probable similarities and differences in the use of discourse markers (DMs) between the two parties. The findings of the study help us understand the importance of DMs in organizing political discourse and how that these markers function as persuasion ways. The analysis also revealed that both Trump and Clinton managed to use DMs as a means of persuasion as far as possible.

آلاء صلاح الدين عزيز

الخلاصة

تعتبر علامات الخطاب هي من اهم الوسائل التي تسهم في تسهيل عملية الكلام من خلال التفاعل الذي يحصل بين المتكلم والمتلقي ويعتمد هذا على قدرة المتكلم في استخدام تلك العلامات بالشكل الذي من خلال ربط الجل والكلمات بالشكل الذي يجعل القارئ او المستمع قادر على فهم ما ينوي المتحدث ايصاله وبذلك تتم عمية الاقناع.

يتناول هذا البحث دراسة علامات الخطاب كوسيلة للإقناع وخصوصا في الخطاب السياسي من خلال تحليل آخر مناظرة اجريت بين المرشحين السياسيين ترمب وكلنتون بالاعتماد على تصنيف فرايزر ٢٠٠٩ وهايلاند ٢٠٠٥ وقد تم تسليط الضوء على الخصائص التي تتميز بها علامات الخطاب ووظائفها اضافة الى الخائص التي يتميز بها الخطاب السياسي وهل هناك فرق بين استخدام تلك العلامات بين بين الرجل والمرأة. وقد اثبتت النتائج ان هناك اختلاف في استخدام تلك العلامات لكلا الجنسين في بعض المواقع وتشابه في مواقع اخرى وعموما فقد نجح المرشحين في استخدام علامات الخطاب كوسيلة للأقناع بقدر الامكان

.

1.1 Introduction

The term "discourse marker" is used in a wide range of meanings and for many different phenomena. Lewis (2011: 419 – 420) states that the status of discourse markers, hereafter DMs, is uncertain for there is little agreement on whether they belong to a syntactic or a pragmatic category. They can be interjections, connectives, adverbials, modal particles, speaker-oriented particles, and so on. Thus, they are used as alternatives to "discourse connective", "pragmatic marker" or "pragmatic particle". No fixed label is given to discourse markers; they are known under a larger number of different names. Deri (2010: 5) claims that 42 different English terms are being used for DMs.

Since the 1980s, many studies concerning discourse markers have been carried out. This study, however, sheds the light on the use of DMs in political debates. Trump-Clinton third presidential debate is chosen as a sample for the study. In debates, each part tries their best to convince the audience of their parties' attitude and point of view.

1.2 The Problem

DMs are commonly used in daily communication as far as spoken/written conversations are concerned. However, in debates as a highly formal type of speech, speakers are more alert to the vocabulary and expressions they employ. Thus, the study addresses the following question: "Which DMs are used more in the debate understudy?"

1.3 Hypotheses

Since the sample debate involves a male (Mr. Trump) and a female (Mrs. Clinton), the study hypothesizes that gender differences in using DMs might emerge. Also, due to having opponents from different parties (Republican Party and Democratic Party), the study hypothesizes that each speaker employs DMs according to the interest and needs of their parties, i.e. some DMs will be used more than others.

1.4 Aims of the Study

The current study aims at:

1. Describing the occurrences and frequencies of DMs used by both Trump and Clinton.
2. Providing an account for the prevailing functions of DMs that are used in the debate.

1.5 Procedure and Data Collection

The transcript of final presidential debate between Mr.Trump and Mrs. Clinton was downloaded from the website of Washington Post Newspaper. The debate was held on Wednesday, Oct. 19, 2016 at University of Nevada in Las Vigas City. It lasted more than two hours. The hosted channel was Fox News. Employing Fraser's (2009) model, the speaking – turn of each

opponent is studied and analyzed apart in order to investigate the DMs used by each along with their functions.

1.6 Limits of the Study

The emphasis in this study is on verbal linguistic units that build up the debate. The paralinguistic (i.e. nonverbal) strategies involved are excluded because it is not easy to reach reliable assumptions about paralinguistic cues which are rapid and numerous. Although, the term "paralinguistic" includes both the audible vocal and the visible non-vocal features; the current study depends on the audible features.

1.7 The Model

The model adopted in this study relies on Fraser's (2009) model. It is chosen for it best suits the genre of data we have. In this model, Fraser distinguishes three functional classes for DMs. The first is contrastive discourse markers (CDMs). They includes expressions like (*alternatively, but, contrariwise, although, conversely, despite (this/that), even so, however, in spite of (this/that), in contrast (to this/that), in comparison (with this/that), instead (of this/that* …etc.) (Fraser, 2009: 8)

The second is elaborative discourse markers (EDMs). Fraser (ibid: 9) lists the following expressions under this kind of DMs: (*and, after all, also, for example, above all, alternatively, by the same token, analogously, besides,* ……etc.). The third functional class of DMs is inferential discourse markers (IDMs). According to Fraser (ibid), it encompasses the following: (*so, as a conclusion, as a result (of this/that), as a consequence (of this/that), because (of this/that), for this/ that reason, consequently* ,…etc.).Moreover, Fraser (2005:197) adds another one that is the temporal discourse markers (TDMs). They include:(*then, as soon as, after, before, finally, eventually, first, second, meantime,....etc.)* Hyland's interpersonal model of meta-discourse is also used in this this research. For him, meta-discourse is the term, covering all the self-reflective expressions that are used to deal with interactional meanings in a text, and thus can assist the speaker to present his opinion as well as engage with his audiences as a member of a particular community.

2. Discourse Markers

2.1 Definition of Discourse Markers

Schiffrin (1987:31) defines DMs as "sequentially dependent elements which bracket units of talk". Accordingly, DMs contribute to making utterances provider by speakers joined and connected. Redeker (1991:1168) explains them as words and phrases (conjunctions,

interjections, comment clause, adverbials) which are uttered to attract attention of the hearer to a specific type of upcoming utterance in the same discourse context.

As for Maschler (1994: 325), he maintains that DMs are subcategories of metalingual expressions, i.e. expressions that are used to mark boundaries of discourse. However, Brinton (1996:1) claims that although these expressions are grammatically optional and semantically empty, she stresses that pragmatically they are not optional because they serve many pragmatic functions which she (ibid:38) groups into two main categories: textual (in the sense of building up cohesive discourse) and interpersonal in the sense of referring to the roles assigned to speaker and hearer in the social exchange).

Correspondingly, Aijmer (2002: 95) asserts the context-specificity and indexation of DMs to attitudes, participants and text. Swan (2005:19) refers to this point through describing DMs as expressions that are employed to show connection between what is being said and the context. Hence, DMs can be compared to the term "landmark", which refers to a feature or object that can be recognized easily from a distance. Stevenson (2010: 992) holds this conception due to the fact that DMs do the same in conversation; they are signs and hints provided by speakers for the listeners to recognize according to the context of discourse.

2.2 Characteristics of Discourse Markers

Schiffrin (1987:31) points out that DMs can be either independent of the sentential structure and/or included within it. Hölker (1991, cited in Algouzi, 2014:14) explains that DMs semantically do not affect the truth conditions of an utterance, and at the same time they do not add anything the propositional content of it. Pragmatically, he continues, they are context-related and therefore they have expressive and emotive functions rather that denotive, referential or cognitive functions.

As for Brinton (1996: 33- 35), she adds some other features of DMs. She states that DMs:

o are syntactically optional;

o are typically oral rather than written;

o are difficult to put within a traditional grammatical classes of words;

o are multifunctional;

o form a separate tone unit.

Other features that Schourup (1999: 230) realizes in these expressions are: optionality, connectivity, non-truth-conditionality, initially, weak clause association, orality, and multi-categoriality. It is obvious

that there are some common features

2.3 Types and Functions of Discourse Markers

Because we are adopting a model of Fraser, the classifications of DMs which will be illustrated here are only those presented by Fraser himself. Fraser (1993:9) mentions that any discourse marker must signal the function one of the following three comments: (a) Discourse Topic Marker (b) Discourse Activity Markers (c) Message Relationship Markers.

As for the first type, Fraser (ibid:10) maintains that it refers to the case when a current vital message to which the comment is applied involves the discourse topic in some way; such type of DMs, he adds, can have an introducing function (as in: *listen, just to update you, say, with regards to* ...etc.) or refocusing function (as in: *again, alright, but, indeed, in fact, now, OK* ...etc.). The second type refers to DMs that can have explaining or summarizing functions. Accordingly, a list of seven headings under this type is presented:

a) Clarifying: *to clarify, by way of clarification*

b) Conceding: *after all, all the same , admittedly, all in all , anyhow, anyway, besides, at any rate, for all that, in any case/event*

c) Explaining: *by way of explanation, if I may explain, to explain*

d) Interrupting: *if I may interrupt, to interrupt, not to interrupt*

e) Repeating: *to repeat, at the risk of repeating myself, once again*

f) Sequencing: *first, second, in the first place, next, finally, lastly, on the one/other hand, to begin, to continue, to conclude*

g) Summarizing: *in general, overall, in summary, so far, summarizing, thus far, to sum up, summing up, at this point, etc.*

Finally, the third type wherein the DMs signal the relationship of the message said to prior message. Anyway, this type involves the following four groups:

i. Parallel DMs: Their function is to indicate aspect parallism of the current basic message to the aspect of the prior discourse, for example: *also, alternatively, and, correspondingly, likewise, equally, or, similarly, otherwise, too*, etc.

ii. Contrasting DMs: Their function is to indicate contrasting of the current message with a prior one, as in: *despite, however, but, in comparison with, instead, in contrast, though, nevertheless, I may be wrong but, etc.*

iii. Elaborative DMs: Their function is to signal elaboration of a current message to a prior one, as in: *besides, in addition, in fact, more importantly, more specifically, moreover, namely,*

that is, for instance, furthermore, also, etc.

iv. Inferential DMs: Their function is to signal conveying a message that is somehow consequential to some aspect of the earlier one, for example: *accordingly, of course, therefore, thus, hence, consequently, as a result, etc.* (Fraser, ibid: 11 – 14)

2.4 Classification of Meta Discourse Markers

According to Hyland (2005) meta discourse markers are distinguished through the following categories:

1. **Code glosses** : items that are used to explain the intended meaning of the writer or the speaker by elaborating what has been said as *that means* , *that is, such as ,in other words ----etc. so* the reader or listener will be able to recover writer's intention through the additional information giving by those items.
2. **Hedgs** :items that withhold commitment and open dialogue: *might, possible, perhaps…etc.* They ensure that the statement is sometimes depend on the writer or speaker logic rather than certain knowledge .
3. **Attitude markers which express** affective evaluation of the writer or speaker's proposition .**speakers attitude to preposition as** *fortunately, I agree, I think, I believe* ----- etc.
4. **Engagement markers** : an explicit reference of the auther's preface which build a relationship with the reader like *: note, consider, you can see, look, let's* ------- etc.
5. **Boosters** : : items that emphasize certainty and close dialogue: *in fact, definitely--- etc.,*
6. **Self-mentions:** explicitly of the author presence in the text in order to build relationship with reader. It is represented by the pronouns *I, We*.
7. **Evidential :** refer to source of information from other texts items that indicate the sources of information, which guide the readers' interpretation and establish a reliable command of the subject.
8. **Transition markers:** items that express semantic relation between main clauses which comprises of additive, contrastive, and consecutive markers. As *but, in addition and* ------- etc.
9. **Frame markers** : sometimes called tropicalisers as (*I argue here, my purpose is, well, right, now, OK*) or sequencers as (*first, second, next, finally*) which are used to organize the text and signal text boundaries so that it is clear what arguments are discussed and will be discussed.

2.5 Characteristics and Main Features of a political Speech

Each discourse has its unique specific features which distinguishes it from other type of discourse, for example, specific feature of poetic discourse are the substantiality and otherness while in drama the context is full of fiction achieved through the characters communications. In this research it is necessary to mention the individual or characteristics that differentiate the political context from others. Taking into account the classification of various authors (Alekseeva, 2001; Karasik, 2004; Konkov, 2011; Hlevova, 1999) we suggest highlighting the most common semantic-pragmatic categories, i.e. inherited features as part of the political discourse:

1) **The image of the author**

As a rule, this category is important in characterizing both personal-oriented and status-oriented discourse. Depending on a communication situation the image of the author consists of the following components:

a) The author's abstraction when his personal characteristics and psychological states have no communicative priority
b) The author's personification when personal characteristics of the interlocutor and his psychological state considerably influence on communication process; Concepts of objectivity and subjectivity correspond to these two situational characteristics.
c) style of a statement.
d) para-textual components (photo of the author, a brief information about author, the image of the author).

2) addressee ability or factor of addressee

The structure of a discourse assumes existence of two roles: the speaker's and the addressee's therefore on the course of the analysis of a discourse it is possible to recreate the mental world of communicants, details and an assessment of reality from two points of view, from the point of view of creation of a discourse and from a position of its understanding. Therefore, the addressee ability as a category of a discourse is one of priority.

3- Intentionality

It is a category of a discourse which means communicative intention of the speaker. Any verbal work (from word to text) is said by the author with this or that intention. This category in relation to political discourse, as well as the previous one, is in direct dependence on the discourse purpose which already dictates

rules of verbal behavior to the addressee.

The purpose of a political discourse can not only be the suggestion of the need of actions to addressees, but also estimation. The following category of a political discourse is connected with the last component.

4- Estimation

The task while creating a political discourse is not set to objectively describe reality but to emphasize certain features of this phenomenon by convincing the recipient, prompting him to some action desired for the creator of a discourse in certain circumstances. Consequently, the formation is performed in a certain society to the political event and its evaluation, which is necessary for this subject, is carried out. For this purpose, in the political discourse the speaker can use axiological (estimated) vocabulary, which is a kind of center of gravity, which emphasizes the attention and influences on the consciousness of the reader.

5- Emotiveness / expressivity

The basis of this category is made by various combinations of syntactic elements which give to concrete discourses and texts, as productive embodiments of discourses, not only integrity and connectivity, but also an additional expression. In a political discourse expressional shades depending on the purpose of their use for giving these or those semantic characteristics can vary from friendly familiar to slightly sarcastic, so that standard canons of institutional, i.e official etiquette of formulations are quite often broken.

6- Modality

The category of a modality is understood as the attitude towards reality in the representation of the speaker. Expressions are implemented in the component of modality, which can be described as prescriptive (a reasonable expression of prescriptions). In another aspect, modality also implies a degree of confidence of the speaker that will demonstrate the level of knowledge, from which the seriousness of the impression produced by political performance of the addressee will be depended on.

e.g. *"And I actually think we can go higher than 4 percent. I think you can go to 5 percent or 6 percent. And if we do, you don't have to bother asking your question, because we have a tremendous machine. We will have created a tremendous economic machine once again. To do that, we're taking back jobs. We're not going to let our companies be raided by other countries where we lose all our jobs, we don't make our product anymore. It's very sad. But I'm going to create a -- the kind of a country that we were from the standpoint of industry.*

We used to be there. We've given it up. We've become very, very sloppy. " (Trump & Clinton, 2016)

7- Socio-cultural context

This category represents ability to activate and involve the complex of socio-cultural contexts (knowledge) of recipients (Filonenko, 2005) in the process of perception. Understanding the political oral and written texts depends on the ability of the reader to instantly identify the subject, the subject matter and to involve allusions that are needed to understand the content.

8- **Competitiveness**

The basis of a political discourse is made by continuous dialogue duel between the party in power and opposition in which opponents attack at each other from time to time, hold the fort, reflect blows and take the offensive. Convergence of political discourse on this feature with sports discourse is shown in the reflection of all the basic elements of sports and gaming competition in the sphere of politics: the presence of the enemy, fight of rivals, ethics of fight, legal regulations (rules and regulations), the strategy and tactics of fight, victory, defeat, triumph of the winner, winning. The competitiveness of a political discourse with the greatest evidence is shown in such forms, as parliamentary debates and the pre-election companies.

9- Aggressiveness

Aggression is one of the most important components of a political speech. In English explanatory dictionaries the word "aggression" is defined as "violent or hostile feelings, behavior or attitude" (Oxford, 2000). Thesaurus list of this word is one of the most numerous: antagonism, assault, attack, bellicosity, belligerence, combativeness, destructiveness, encroachment, hostility, impingement, incursion, injury, intrusion, invasion, jingoism, militancy, offense, onslaught, provocation, pugnacity, raid, etc. (Wordsworth,1993). Trump, for example, always try to attack Clinton in the debate and impose his opinion

CLINTON: *And I think that's the smartest way to grow the economy, to make the economy fairer. And we just have a big disagreement about this. It may be because of our experiences. You know, he started off with his dad as a millionaire...*
TRUMP: *Yeah, yeah, we've heard -- we've heard this before, Hillary*.
CLINTON: *I started off with -- my dad was a small-business man.*
TRUMP: *We've heard this before*.
CLINTON: *And I think it -- you know, it's a difference that affects*

how we see the world and what we want to do with the economy.
WALLACE*: Time.*
TRUMP: *Thank you, Hillary. Could I just respond*? (trump &Clinton 2016)

10- Theatricality: The ideological character represents the system of social representations, group knowledge, beliefs and opinions based on group values, norms and interests. This feature brings the political discourse with the military. War, as we know, is continuation of policy by other means. The scope of their interaction is such genres as military doctrine, military and political agreement, an ultimatum, peace negotiations, i.e. genres, providing the ideology and course of the war from the perspective of the warring parties.

Hence there are two important elements speakers and receivers in political discourse through them the process of communication is achieved.(Grabias,2001:290) states that for politicians, language is a very important tool used to achieve their goals. The speakers try to address all people in his process and the receivers try to interpret the texts delivered by politicians making use of their intertextual and political knowledge.

So, as a tool, language will be used to achieve political aims and discourse markers will be part of this tool to indicate the speaker's attitude toward the audience.

3. Data Analysis and Discussion

3.1 Data Analysis

In order to address the aforementioned research questions, the samples of political debate were analyzed qualitatively and quantitatively. In the first place, the DMs were classified based on Frasers model (2009) of DMs in general and Hyland's interpersonal model (2005) meta-discourse framework. According to this functional classification, DMs are analyzed according to the following categories:

1- ***Discourse Makers in general as:***

a- Contrastive. (concession and qualification) e.g. but , or

b- Elaborative (additional) e.g. and, in addition

c- Temporal. e.g. first of all , then

d- Inferential (cause and effect) e.g. because , so

2- ***Meta discourse markers as:***

a- Engagement DMs : e.g. you can see, look

b- Boosters e.g. : in fact, definitely,

c- self mentions : e.g. I , We

d- Code glosses : that is, such as ,in other words

e- Hedges : : might, possible, perhaps

A few researchers have combined the study of meta-discourse with that of persuasion but, in this research, it is found that most the elements used by the two politicians refer to this kind of DMs, e.g. they made use of self-mentions *I, We* more frequently than others. The DMs used by the politicians in the last debate of Trump and Clinton were compared and judged based on three criteria The first is the *frequency* of the use of DMs, therefore, the number expressions used by the two speakers counted manually to find out the ratio of DMs and its percentage. The second criterion is the *functions* that DMs serve in order to achieve persuasion to the audiences as far as possible. The third criterion is to find the were *differences and similarities* of the speakers' use of DMs. according to their gender.

3.2 Results and Discussions

A total of 852 DMs was used in the third presidential race held between Trump (Republican Party) and Clinton (Democratic party). The first candidate employed 457 while the second employed 395. Here follows the presentation of the frequency of the use of the DMs in the debate. They are actually the results of the investigation which are presented below.

DMs.	Trump	Clinton
And	83	79
But	52	27
Well	20	27
First of all	7	16
Because	28	15
That is	7	16
I , it means	7	2
Now	9	5
You know	5	5
I, you see	7	16
I think	25	19
So	18	19
I say	9	7
(un) fortunately	7	2
I believe	2	12
Frankly	3	2

Look	2	2
Let's (me)	7	6
Actually	1	6
I	73	96
We	158	112
Total number	457	395

Table (1)

The overall presence of DMs and the number of times the elements occurred in the debate between Trump and Clinton are shown in Table 1. The results indicate that the degree of the use of DMs by the two candidates is almost the same. The analysis of the collected data reveals that the absolute frequency of each type or division of DMs. is different. In other words, Table 2 shows the variations in the use of discourse markers and their percent according to the classification of Fraser (2006) and Hyland (2005). This variation arranges the DMs in an order of frequency which shows the ability of the speakers to achieve the persuasion functions. The tables below represent the frequency of each discourse markers and its percentage as they are functioned in the text:

1- Contrastive DMs. (concession and qualification)

	But	Percentage
Trump	52	11.3
Clinton	27	6.8

2- Elaborative DMs. (additional)

	And	Percentage
Trump	83	18. 1
Clinton	79	20

3- Changing the subject

	I say	Percentage
Trump	9	1.9
Clinton	7	1.7

4- Temporal DMs.

	First of all	Percentage
Trump	7	0.6
Clinton	16	4.0

5- Attitude Markers:

	Frankly	Percentage
Trump	3	1.0
Clinton	2	0.7

	I think	Percentage	I believe	Percentage
Trump	25	5.4	2	0.4
Clinton	19	4.8	12	2.6

	I, you See	Percentage	(un) Fortunately	Percentage
Trump	7	1.5	7	1.5
Clinton	16	4.5	2	0.5

6- Inferential (cause and effect)

	So	Percentage	Because	Percentage
Trump	18	3.9	28	6.1
Clinton	19	4.8	15	3.7

7- Engagement DMs

	Look	Percentage	Let's (me)	Percentage
Trump	2	0.4	7	1.5
Clinton	2	0.5	6	1.5

8 - Code glosses

	That is	Percentage	I, it means	Percentage
Trump	7	1.5	7	1.5
Clinton	16	4.0	2	0.5

9- Conversation management of discourse (Frame Markers)

	Well	Percentage	You know	Percentage
Trump	20	4.3	5	1.0
Clinton	27	6.8	5	1.2

	Now	Percentage	Actually	Percentage
Trump	9	1.9	1	0.2
Clinton	5	1.2	6	1.3

10- Self-mentions

	I	Percentage	We	Percentage
Trump	73	15.9	158	34.5

Clinton	96	24.3	112	28.3

Following Fraser's (2009) classification of DMs. The results of the analyzed political debate reveal that the most frequently used markers are *" Elaborative"*, and is used 162 times Trump 18.1%, Clinton 20% which serve the function of coherence and coherent between the participants in the speech event also it indicates a speaker's continuation. so Clinton used this expression more frequently than Trump:

Clinton : *it just shows you're not up to doing the job. And let's -- you know, let's be clear about what he is saying and what that means. He is denigrating -- he's talking down our democracy. And I, for one, am appalled that somebody who is the nominee of one of our two major parties would take that kind of position.*

In this paragraph Clinton accused her opponent that he denigrates democracy. As for the contrastive DMs., "but " it refers to the speaker intended to say something which was in contrast with what was stated before. It is used 79 times Trump 11.3%, Clinton 6.8%. However, the most frequent user of such markers was Trump. The paragraph below trump try to convince the hearers that Clinton does not make anything new to Mosul just to look good for election but he will do his best for this town:

Trump*: But you know who the big winner in Mosul is going to be after we eventually get it? And the only reason they did it is because she's running for the office of president and they want to look tough. They want to look good. He violated the red line in the sand, and he made so many mistakes, made all the mistakes. That's why we have the great migration. But she wanted to look good for the election. So they're going in. But who's going to get Mosul, really? We'll take Mosul eventually. But the way -- if you look at what's happening, much tougher than they thought. Much, much tougher.*

Much more dangerous. Going to be more deaths that they thought.

Temporal DMs serve the function of signaling structural relations between the segments that host them and prior discourse segments. The frequency of the marker *first of all* which used to give a conclusive relationship of the context ideas is 23 times ,7 for Trump and 16 for Clinton. The *inferential* category, on the other hand, is allotted to the markers which indicate the cause of events such as *so* and *because*. Both markers contribute to the coherence of discourse by signaling relations between discourse units. The marker "because" is used by the speaker to indicate a relation of " cause and result' while "so" is used to indicate a relation of 'premise and conclusion' It was shown that Trump's use of contrast marker *because* (6.1) was higher than Clinton (3.7%) as it is shown in the example below:

Trump: *Because she takes a tremendous amount of money. And you take a look at the people of Haiti. I was at a little Haiti the other day in Florida. And I want to tell you, they hate the Clintons, because what's happened in Haiti with the Clinton Foundation is a disgrace. And you know it, and they know it, and everybody knows it.*

Here Trump try to diminish Clinton when he speaks about her business in certain countries especially in Saudi and Florida taken money and treating certain groups of people so horribly so he reminds the hearers of those disgraceful woks as he said.

As for the marker so the two candidates have almost the same frequency.

Among meta-discourse categories that used in this debate "*self-mention*" markers are the most frequently once. The total number of the times they are occurred is (429) but Trump used the self-pronoun We (34.5) more than Clinton (28.3) . By using plural form (we) the speaker manage to build relationship with the hearer because it indicates the government or institution the speaker represent while The singular form is associated with the degree of explicit presence of the speaker in the speech, like *I*, *my*, and *mine* :

Trump: *Let me tell you, Mosul is so sad. We had Mosul. But when she left, when she took everybody out, we lost Mosul. Now we're fighting again to get Mosul. The problem with Mosul and what they wanted to do is they wanted to get the leaders of ISIS who they felt were in Mosul.*

About three months ago, I started reading that they want to get the leaders and they're going to attack Mosul. Whatever happened to the element of surprise, OK? We announce we're going after Mosul.

I have been reading about going after Mosul now for about -- how long is it, Hillary, three months? These people have all left. They've all left.

Another kind of meta discourse markers is "shared knowledge markers" such as "*you know, well, now, actually* " which are used as a markers of meta knowledge about what speakers and hearers share and what is generally known. As for the marker *well* the speakers have a little difference in their frequency Clinton (6.8) , Trump (4.3) while "you know" has the same percentage :

Wallace: *Can you really say that you kept your pledge to that Senate committee? And why isn't what happened and what went on between you and the Clinton Foundation, why isn't it what Mr. Trump calls pay to play?*

Clinton : *Well, everything I did as secretary of state was in furtherance of our country's interests and our values. The State Department has said that. I think that's been proven.*

But I am happy, in fact I'm thrilled to talk about the Clinton Foundation, because it is a world-renowned charity and I am so proud of the work that it does. You know, I could talk for the rest of the debate -- I know I don't have the time to do that.

In the example above "*Well*" is used as a preface to refocus responses to questions arises by Wallace. Clinton talks about her achievements and how she is a proud of it. Also she uses "*you know*" as she is sure that the hearers share some knowledge about the information she talks about. Discourse markers *"now, actually"* are functional elements of discourse management used in initiating discourse. The percentage of the marker *(now)* is almost the same for the two candidates but with *"actually"* Clinton showed the lower percentage in using such marker, see page (9).

Showing the attitude of what you are saying ,sentence adverb like "*frankly* " is used to contribute to the explicit side of communication the frequency of using this marker for Clinton and Trump is almost the same, the first 3 times and the latter 2 .

Expressions like "think, believe, guess, suppose" are used as attitude markers which reflect the speaker's ideas whose function is to show the degree of trustworthiness attached to the statements (as cited in Simon-Vandenbergen, 2000). The marker "*I think*" express two functions either uncertainty or certainty as (Holmes 1990; cited in Furko, 2013) .The result of the investigation in the debate revealed that "*I think*" is used to

express the speaker's opinion and self-confidence rather than their uncertainty as the examples below:
Trump : *Well, I think it's terrible. If you go with what Hillary is saying, in the ninth month, you can take the baby and rip the baby out of the womb of the mother just prior to the birth of the baby*.
Clinton : *So the plan I have I think will actually produce greater opportunities. The plan he has will cost us jobs and possibly lead to another Great Recession*.

Trump (5.4) used this marker higher than Clinton (4.8). Another attitude Marker like "*unfortunately*" is used as an opener marker to describe the situation while *"I, you see*" used to attract the attention of the hearers . The frequency of the marker "*unfortunately* is almost the same for Trump and Clinton. However, some differences were observed in the frequency of using " *I, you see* " Clinton used them more frequently than him (see ----) .

Along with meta-discourse markers, the code glosses category is used represented by terms *that is, it means* which explain the intended meaning of the writer or the speaker by elaborating what has been said. For example:
Clinton: *We will not have open borders. That is...*
Wallace: *Well, let me -- Secretary...*
Clinton: *That is a rank mischaracterization*.
Wallace: *Secretary Clinton...*
Clinton: *We will have secure borders, but we'll also have reform. And this used to be a bipartisan issue. Ronald Reagan was the last president...*
In the example above Clinton tries to persuade the hearers by his opinion about the borders. Under her plan borders should be opened and immigrants should be received. The number of times of those terms is used for Trump is (7) and Clinton is (16).

The last category of meta-discourse markers is the engagements or reminders *let's, look* which functions as opening and closing the topics in order to draw the audience attention and focus on a certain point in the discussion. The number of times of the term *look* is the same for the two candidates (7). However, some differences were observed in using such markers with Trump who used *let's(me)* (7) more frequently than Clinton (6):
Trump*: Well, let me just say -- let me just say.*
Clinton*: We're going to pull the country together. We're going to have trade agreements that we enforce. That's why I'm going to have a trade prosecutor for the first time in history. And we're going to enforce those agreements, and we're going to look for businesses to help us by buying American products.*

Wallace*: Secretary Clinton? Go ahead, Mr. Trump.*
Trump*: Let me ask a simple question. She's been doing this for 30 years. Why the hell didn't you do it over the last 15, 20 years?*

By using the marker *let me* Trump try to attract the audience attention that what she (Clinton) had done over those years is just an experience so he wants to persuade them that she talks more than she does.

4. Conclusion

When you're trying to persuade, the chances of your success depend a lot on whether your arguments make sense, or are logical. All the discourses markers mentioned above, general and meta- discourse contribute to the persuasive function of the discourse by guiding the audience in the discourse and making the contents easier to understand.

Considering the total number of DMs used by the politicians in this study, it was revealed that the frequency of using DMs is different. Trump used them more frequently than Clinton in certain places and vice- versa. This result, to some extent, is due to the different characteristics of male and female speaking. As mentioned in result section, the most focuses on Trump' and Clinton ' use of DMs in their debate is on self-mentions, one of the meta-discourse categories introduced by Hyland (2005). However, the most use of self-mentions (we) belongs to Trump which means that he turns to his public status more frequently than his personal status. In political speeches this characteristic helps in shortening the distance between the speaker and the audience and implies that there is a stronger interaction between him and listeners than Clinton.

Results also show that use the most metadiscoursal markers occurred by Trump to achieve persuasive goal. Attitude markers, as *frankly*, (*un)fortunately*, *I think* used more frequently by him than Clinton while the frame markers as *well*, *now*, *actually* have the higher frequency with Clinton which are used to initiating the speech and to indicate the upcoming shift in talk e.g. when Trump accuses Clinton that she and Obama were the main reason of violence in America and other countries and she replied the opposite mentioning some disgraceful acts he had done as his attempt of assaulted on some women in Chicago. By using those frame markers Clinton manage to attract the attention of the hearers and to persuade them that he does not reserve the presidency.

Elaborative markers were used with the high frequency rate in the candidates' talk. such markers have a pragmatic effect in the sense that it indicates a speaker's continuation and the coherent of

the text. The numbers of the time they are used is almost the same by the two opponents.

Among the contrast markers like "but" were used to show that the speaker intended to say something which was in contrast with what was stated before. The result showed that the two politicians used contrast markers in their talk. It was also shown that Trump's use of contrast marker (11.3) were higher than Clinton (6.8). Also, a difference observed in using *temporal markers* like *first of all* which that indicate the links and transitions between the topics and used to signal continuation of the topic, and summary of the opinions Clinton (16) used it more frequently than Trump (7).

To sum up, the highly frequent use of DMs by the candidates in this study denotes that DMs are considered as a significant linguistic device used by both male and female, but it presents inconsistencies in the frequency use of DMs for the two genders i.e. the compassion revealed that there is similarities in their use in some places and differences in others but they both managed to use them as a means of persuasion as far as possible.

References:

- Aijmer, K. (2002). *English Discourse Particles: Evidence from a corpus*. Amsterdam: John Benjamins Publishing Company.
- Alekseeva, M. V (2001). *Scientific text as polylogue* (Monograph). Moscow: Signal.
- Algouzi , Sami (2014). Discourse markers in Saudi English -and British English: A comparative investigation of the use of English discourse markers. University of Salford, Salford UK. <<www>> http: //www.google.com//
- Lewis, Diana M. 2011. A discourse-constructional approach to the emergence of discourse markers in English. Linguistics 49(2). 415–443.
- Brinton, Laurel J. 1996. Pragmatic markers in English: Grammaticalization and discourse functions (Topics in English Linguistics 19). Berlin & New York: Mouton de Gruyter.
- Dér, Csilla Ilona. 2010. On the status of discourse markers. Acta Linguistica Hungarica 57(1). 3–28
- Filonenko, T. A. (2005). *Genre and stylistic characteristics of an English-speaking scientific and methodical discourse* (abstract of a thesis of cand. Phil.sciences). Samara.

- Fraser, B. 1993. Discourse Markers Across Language: Pragmatics and Language Learning Monograph Series, Vol.4: Internet: ERIC database: http://www.eric.ed.gov

- Fraser, Bruce. 1999. What are discourse markers? Journal of Pragmatics 31(7). 931–952.
- Fraser, B. (2005). Towards a theory of discourse markers. In: Fischer, Kerstin (Ed.), Approaches *to discourse particles*, (pp.189-204). Amsterdam: Elsevier Press.
- Fraser, B. (2009). An account of discourse markers. *International Review of Pragmatics, 1,*1–28.
- Furkó, B. P. (2013).The functional spectrum of pragmatic markers in political news interviews and celebrity interviews. Topics in Linguistics, 11, 12-21.
- Grabias, Stanisław (2001).*Language in Social and Cultural Behaviors.* Lublin: Skłodowskiej.
- Hlevova, Yu. A. (1999). Types of modal meanings. *Bulletin of the Amur state university.* Vol. 7. URL: http://www.amursu.ru/vestnik/7/9_
- Holmes, J. (1990). Hedges and boosters in women's and men's speech. *Language and Communication*, *10*(3), 185-205

- Karasik, V.V. (2004). *Language circle: personality, concepts, discourse.* Moscow, Gnosis .

- Konkov, V.I. (2011). *Speech structure of the newspaper text* (abstract of a thesis of doctors of phil. sciences). St.-Petersburg .

- Maschler, Y. (1994). Mitigating and discourse markers in bilingual conversation. *Language in Society*, 23, 325-366.
- Oxford Advanced Learner's Dictionary (5th Ed). (2000). Oxford University Press.
- Redeker, Gisela. "Linguistic markers of discourse structure," *Linguistics* 29(6) (1991): 1139-1172.
- Schiffrin, Deborah. 1987. Discourse markers. (Studies in Interactional Sociolinguistics 5) Cambridge: Cambridge University Press.
- Simon-Vandenberg, A. M. (2000). The functions of I think in political discourse. *International Journal of Applied Linguistics*, *10*(1)*,* 41-63. Discourse Markers in Political Interviews.

- Stevenson, A. (ed.). (2010). Oxford Dictionary of English. Oxford: Oxford University Press.
- Schourup, L. C. 1999. Discourse markers, Lingua, 107: 227-265.
- Swan, Michael (2005). *Practical English Usage*. Oxford: Oxford University Press